

# فقهُ الوَاقِعِ

تأليفُ  
د. محمد بن عبد الله بن عثمان  
قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت

مشرع وطباعة الكتب السلفية (١٦)

# فقه الواقع

تأليف  
د. محمد بن إبراهيم العجمان  
قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الناس أنواع في «فقه الواقع»: فمنهم من ليس له اهتمام إلا بما يتعلق بشأنه الخاص، ضعيف الاهتمام بشئون المسلمين وأحوالهم، غير ساع في بذل أسباب إعزاز هذا الدين ونصرة الإسلام وهداية الخلق إليه.

وهناك صنف عنده زهو بما يظن أو يتوهم نبوغه في «فقه الواقع»، فمال على العلماء هو وأتباعه انتقاصاً، وأخذ يجعل من ذلك سبباً في عزل الشباب عن علماء الأمة، وما يجهله هو من فقه الواقع ربما هو أكثر مما يعلمه، وما تحرصه من تحليلات لكثير من الحوادث تبين مخالفته للواقع.

وبعض الشباب عنده غلو في الخوض في «فقه الواقع»، و«السياسة»، جعل مادة علمه أخبار الإذاعات والصحف والمجلات، وضيع وفرط كثيراً في طلب العلم الشرعي، وانحرف عن سلوك منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ولم يلزم منهجهم في إصلاح واقع المسلمين.

والناس لا بد أن يتأسسوا بالعلم الشرعي خصوصاً علم العقيدة، ويتأملوا الواقع في ضوء أحكام الشريعة، ويشاوروا العلماء ويتعاونوا معهم؛ لدرء الأخطار عن بلاد المسلمين أو تخفيفها، وليسلكوا أفضل السبل لعلاج واقعهم وإصلاحه.

وكنت قد تكلمت عن «فقه الواقع» باختصار في «النبذ في آداب طلب العلم»، ورأيت في هذه المرحلة الحاجة الملحة إلى إفراد هذا الموضوع بالتصنيف؛ طلباً لترشيد العمل الدعوي، سائلاً الله عزَّجَلَّ السداد والتوفيق، آمين.

والحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

**منزلة فقه الواقع**

**وأدلته في القرآن والسنة**



معرفة فقهه الواقع هو جبلة فطر الله خلقه وطبعهم على حب معرفته؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش دون أن يعرف ويفهم ما يجري حوله، وهذا ما لم يصبر بسببه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على تصرفات الخضر؛ قال تعالى عن موسى وفتاه وما كان من شأنها في لقي الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ٧٤﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَجِّبْنِي فَدَّ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيِلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٨﴾ [الكهف: ٦٥ - ٧٨].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٦١ هـ) <sup>(١)</sup>: «لم يكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مِرْيَةٍ من أمر الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه معصومٌ معلّمٌ



من جهة الله تعالى، مخصوص بنوع من العلم أوجب رحلته إليه، لكنّه رأى أمراً منكراً في ظاهر الشرع، وفعلاً يوجب نفور الطبع، فانتفض باعث الشرع وداعي الطبع حامليّن لموسى على إنكار ما شاهده؛ عملاً بظاهر الشرع الذي بعثه الله تعالى به، مستفهماً عن وجه الحكمة والعلم المغيب المودع في غضون هذا الفعل، الصادر من هذا المؤيد بالعلم اللدني، فجمع بين المصلحتين، وعمل لكلا الدليلين».

والنبي ﷺ لما فاجأه الوحي في غار حراء، ذهبت به زوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى ابن عمها ورقة بن نوفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لتعرف حقيقة ما جرى لزوجها رسول الله ﷺ، فقال ورقة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا الناموس الذي أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثم أخبر النبي ﷺ بما يكون من واقعه الذي يستقبله، فقال له: يا ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مخرجي هم؟» قال ورقة: نعم؛ لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة أبو شامة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٦٥ هـ)<sup>(٢)</sup>: «وهذه سنة الله تعالى في الأنبياء والمرسلين مع قومهم غير الموفّقين للإيمان منهم، فإنهم يُظهرون لهم العداوة والأذى على الجملة، ويشتدُّ عليهم الفِطام عمّا كان أبأؤهم عليه، فيبَالغون في أذى نبيّهم والذين آمنوا به، فيضطرونهم إلى الخروج عنهم، كما جرى لنبيّنا وأصحابه».

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (ص ١ - رقم ٣).

(٢) شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى ﷺ، ص (١٦٥).

ومن أقوى الأدلة دلالة في تطلب فقهه الواقع حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت».

فكلما قوي علم العبد بالشيء قوي تحققه به، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبره الله بعبادة قومه للعجل، فلما رأى ذلك معاينة اشتد غضبه.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «دَلَّ عَلَى أَنْ الْمَعَايِنَةَ أَكْبَرُ مِنَ الْخَبْرِ، مَعَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ الْخَبْرُ كَمَا وَقَعَتْ مِنْهُ الْمَعَايِنَةُ، وَفِيهِ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ الْمَرَادُ لَيْسَ أَثَرُ الْخَبْرِ عِنْدَ الْمَخْبَرِ كَأَثَرِ الْمَعَايِنَةِ، وَإِنْ كَانَ سِوَاءً فِي قُوَّةِ التَّصْدِيقِ، لَكِنْ يَصْدُرُ عَنِ الْمَعَايِنَةِ مَا لَا يَصْدُرُ عَنِ الْخَبْرِ، وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ أَلْيَقُ بِالِاسْتِدْلَالِ بِقِصَّةِ الْكَلِيمِ».

ولا يتأتى الحكم الصحيح إلا بمعرفة الواقع على ما هو عليه، وهذا واجب على أهل الفتوى الذين تحملوا فرض الكفاية عن سائر الأمة، فكما أنه لا بد للفقهاء من فقهه في كليات الأحكام، فكذلك ينبغي أن يكون فقيهاً في أحكام الحوادث الكلية والوقائع وأحوال الناس.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «فالحكم بالحق يقتضي العلم

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٥، ٢٧١)، والحاكم (٢/ ٣٢١). وصححه العلامة الوادعي في الصحيح

المسند من دلائل النبوة ص (٢٨٤).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٢٧٧).

(٣) تيسير اللطيف المنان، ص (١٩٨).

بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الأحكام الشرعية الكلية، فالجاهل بواحد من هذه الأمور لا يحل له الإقدام على الحكم بين الناس».

ومن فقه الواقع: الواجب معرفته على المفتي والفقير والقاضي - أعراف البلد، فبالجهل بأعرافهم قد يقع الفقيه والقاضي في الخطأ في أحكام معاملاتهم؛ قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «قال العلماء: إذا جاء قاضٍ إلى بلد وهو غريب عنها ليس من أهلها، لا يجوز له أن يحكم ولا أن يفتي حتى يسأل عن عرفهم وعاداتهم في ماذا يريدون بالصيغ والفاظ المعاملات؛ لأن الأحكام تختلف باختلاف الأعراف، قد يكون الناس يطلقون هذه الكلمة على معنى معين لا يريدون غيره، فيحملها القاضي على لفظها اللغوي فيظلمهم، ويُجْمَلُهُمْ ما لا يقصدون».

والنبي ﷺ كان يتذاكر أحوال المسلمين وشئونهم وفقه واقعهم مع خاصة أصحابه، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه»<sup>(٢)</sup>.

فمذاكرة أحوال الأمة وشئونها متأكد في حق ولائها وعلماؤها؛ للسعي في إصلاح أحوالها، وتدبير شئونها على أحسن ما يكون في لزوم شرع رب

(١) العذب النمير (١/١٧٨٩، ١٧٩٠).

(٢) رواه الترمذي (ص ٤٧ - رقم ١٦٩)، وقال: حديث حسن.

العالمين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ متحدثاً عن سمر النبي ﷺ مع أبي بكر الصديق في مدارس أحوال المسلمين<sup>(١)</sup>: «فإنه كان يسمر عنده عامة الليل، يُحدِّثه في العلم والدين ومصالح المسلمين».

ومن أعظم نعم الله على عبده أن يرزقه النور والفرقان فيجتنب الفتن، ويكون داعية خير في صيانة مجتمعات المسلمين من الشرور، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وكان النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً...».

قال العلامة الوزير ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «فيصر الإنسان حينئذ جواد الطريق، ويعرف أين المهاي منيها، وأين سبيل السلامة التي ليس فيها مهواة».

ومن الأدلة على حسن تطلب فقهه الواقع ما امتدح الله به أوليائه من حسن الفراسة الذي يؤخذ مضمومًا إلى علم الوحي غير مستقل عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «خص الله تعالى بالآيات والانتفاع بها هؤلاء؛ لأنهم يستدلون بما يشاهدونه منها على حقيقة ما أخبرت به الرسل من الأمر والنهي، والثواب والعقاب».

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٠٠).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٣٨).

(٣) بدائع التفسير (٢/٣١).

وذكر ابن القيم أيضاً رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ نور الفراسة ينضاف إلى نور الوحي، فيزداد صاحبه نوراً على نور<sup>(١)</sup>.

والفراسة أو استشراف المستقبل من خلال أمارات الواقع وقراءته قراءة صحيحة - تأتي من قوة الإيمان، وكمال الصدق؛ فلذلك هي قراءة صحيحة لمعطيات الواقع، وليست من الخوض في الغيب، فهو حدس وملكة يتحسس من خلاله المؤمن ما يستقبله من حوادث مستقبلية.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: إنه أخبر أصحابه بدخول التتر الشام سنة تسع وتسعين وست مئة، وأن جيوش المسلمين تُكسر، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبع مئة لما تحرك التتر وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن النصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله. تحقيقاً لا تعليقاً، بل إنه أطعم بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا لا بد من الحذر والحيطه في الكلام في النوازل والفتن لمقتضى الفراسة، ولا بد من الرجوع إلى كبار العلماء ومشاورتهم.

وفي القرآن تعليم لفقه الواقع والاستعداد له، فقد ذكر الله المنافقين في بعض السور المكية؛ لتتهدأ النفوس لمعرفة هذه الفئة العظيمة الضرر على

(١) بدائع التفسير (٢/٣١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٩٣).

الإسلام والمسلمين، فلا يفجأ المؤمنون بهم، فيأخذوا حذرهم منهم، وليعاملوهم المعاملة الخاصة بهم؛ من ذلك قوله تعالى فيهم: ﴿بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «ما الذي كانوا يخفونه من قبل، هل هو تصديق الرسل بما جاءوا به، ولكن جحدوا، والجحد إخفاء ما كان معلوماً؟ أو ما كانوا يخفون من قبل من الكفر الذي كانوا يكتُمونه؛ حيث إنهم كانوا يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر؟

فعلى الأول يكون السياق في الكافرين، وعلى الثاني يكون السياق في المنافقين.

فإن قيل: هل يمكن أن نقول: إن الآية شاملة للمعنيين؟

فالجواب: نعم؛ لأنه لا منافاة.

لكن يشكل على كونها في المنافقين أن السورة مكية؛ لأن سورة الأنعام مكية نزلت في مكة جملة واحدة، فكيف يكون فيها إشارة للمنافقين؟

والجواب عن هذا الإشكال: أن لا إشكال؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَنَا عما يكون يوم القيامة، ويوم القيامة يكون قد حصل النفاق، وأيضاً يذكر الله المنافقين في السور المكية تحسباً لما يقع واستعداداً لهم، قال الله عزَّوَجَلَّ في سورة العنكبوت: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وهي مكية، وعليه فلا إشكال، وتكون الآية شاملة للمعنيين.

(١) تفسير سورة الأنعام، ص (١٤٧، ١٤٨).

وأرشدنا النبي ﷺ إلى طلب ومعرفة واقع الأعداء الكفار، فإنه في غزوة الأحزاب قال للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة، فقال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا. فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارياً، وإن حوارِيَّ الزبير».

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «المسلمون قد أرشدتهم الله أن يسعوا إلى مصالحهم، وعلمهم كيفية الوصول إليها بإعمالهم لأفكارهم مجتمعين، فإذا تعينت المصلحة في طريق سلوكه، وإذا ظهرت المضرة في أمر من الأمور سعوا إلى دفعها ومدافعتها، وإذا اشتبهت المصالح بما ينافيها من المضار وتعارضت قدموا راجحها على مرجوحها، فلا يدعون مصلحة داخلية ولا خارجية صغيرة ولا كبيرة إلا تشاوروا فيها، وقدموا ما تقتضيه المصلحة».

وقد أوجب الله على المسلمين أمرين عظيمين عليهما مدار الجهاد: الاستعداد لعدوهم بما يستطيعون من قوة عقلية ومعنوية ومادية، ويدخل في ذلك تعلم الفنون الحربية من الرمي والركوب وعمل السلاح المناسب للوقت والمكان، وبما لا تتم هذه الأمور إلا به من تعلم الصناعات المعينة على هذا الأمر.

وأمرهم بأخذ الحذر من عدوهم وهو التحرز والتحصن منهم، وأن

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (ص ٦٩٧ - رقم ٤١١٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير (ص ١٠٦٥ - رقم ٦٢٤٣).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٦ / ٩٠، ٩١).

يكونوا منهم أبداً على حذر في وقت السلم، فضلاً عن وقت الحرب، وأن تكون لنا العيون والأرصاد عليهم؛ لنعلم كل حركاتهم العلمية والحربية حتى لا يسبقونا إلى الأعمال والصنائع النافعة، فإن ضعف المسلمين وقصورهم وجهلهم بالصنائع وعمل الأسلحة من فرص الأعداء، فلنأخذ عليهم هذا الطريق الذي منه يدخلون علينا، لعل الله أن يكف بأس الذين كفروا، ولا نكون عالة فيها وفي غيرها عليهم، فإنهم بذلك يتمكنون مما يريدون، فإن الله في هذه الدنيا سنناً لا تتغير، وإن الحياة العزيزة لا تكون لمن أذل نفسه وخذلها وتسول غيره».

وكان النبي ﷺ يتطلب معرفة واقع أعداء الإسلام بنفسه، خصوصاً من عُرف عنه إفساد عقائد الإسلام وتغيير شرائعه وتحريف أحكامه، فابن صياد لما كان يدّعي أنه رسول الله، جهد النبي ﷺ في معرفة حاله، قال عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>: انطلق رسول الله ﷺ وأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النخْلِ التي فيها ابن صياد، وهو يُحْتَلُّ<sup>(٢)</sup> أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ﷺ وهو مضطجع - يعني: في قטיפة له فيها رمزة أو زمرة<sup>(٣)</sup> - فرأت أمُّ ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجدوع النخل فقالت لابن

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه؟ هل يعرض على الصبي الإسلام (ص ٢١٦، ٢١٧ - رقم ١٣٥٥).

(٢) أي يطلب أن يأتيه من حيث لا يعلم فيسمع ما يقول في خلوته.

(٣) تحريك الشفتين بالكلام.



صَيَّاد: يا صَافٍ - وهو اسم ابن صَيَّادٍ -، هذا محمد ﷺ، فثار ابن صَيَّاد، فقال النبي ﷺ «لو تركته يَبِين»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠٤ هـ) في فوائد الحديث<sup>(٢)</sup>: «في حديث ابن صياد من الفقه: جواز التجسس على من يخشى منه فساد الدين والدنيا، وهذا الحديث يبيِّن أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، ليس على العموم، وإنما المراد به عن التجسس على من لم يخش القدح في الدين، ولم يضر الغل للمسلمين واستتر بقبائحه، فهذا الذي ترجى له التوبة والإنابة، وأما من خشي منه مثل ما خشي من ابن صياد ومن كعب ابن الأشرف وأشباههما ممن كان يضر الفتك لأهل الإسلام - فجائز التجسس عليه، وإعمال الحيلة في أمره إذا خشي.

وقد ترجم له البخاري في الجهاد، باب ما يجوز من الاحتيال والحذر على من تخشى معرفته».

ومن الأدلة على تطلب فقه واقع الأعداء ما أخبرنا الله به من طرق معرفتهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وقد أخبر النبي ﷺ حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأعيانهم، وكان عمر بن

(١) قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «يقول لو وقف عليه من يفهم كلامه لتبين من قوله ذلك الزمزمة، فيعرف ما يدعي من الكذب، إن كان الذي يقول في وقته ذلك هو الذي أظهر من دعواه أنه رسول الله». التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/٩٥).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/١١٠).

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينظر إلى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنْ شَهِدَ جَنَازَةً مِمَّنْ يَظُنُّ بِهِ شَهِدَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَشْهَدِهِ.

ومن الأدلة على طلب فقه الواقع أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعِبْرِيَّةَ لُغَةَ الْيَهُودِ؛ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: «وَكَانَ زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيَ وَغَيْرَهُ، وَكَانَتْ تَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُتُبًا بِالسَّرْيَانِيَّةِ، فَأَمَرَ زَيْدًا فَتَعَلَّمَهَا فِي بَعْضَةِ عَشْرِ يَوْمًا، وَكُتِبَ بَعْدَهُ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وروى البخاري تعليقًا مجزومًا به عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن زيد ابن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ حَتَّى كُتِبَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ كُتُبُهُ، وَأَقْرَأَتْهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كُتِبُوا إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>: «أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَعَلَّمَ خَطَّ الْيَهُودِ؛ لِيَقْرَأَ لَهُ كُتُبَهُمْ، قَالَ: «فَإِنِّي لَا أَمْنُهُمْ»».

على كل حال معرفة أحوال الأعداء وما يكيدونه للأمة من أوجب الواجبات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>: «يَنْبَغِي لِلْوَالِي وَالْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ خَبِيرًا بِالْأَشْيَاءِ وَأَسْبَابِهَا وَعِلْمَاتِهَا، مِثْلَ الْخَبْرَةِ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ، وَأَحْوَالِ

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص (٢٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحُكَّام، وهل يجوز ترجمان واحد.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٨).

(٤) السياسة الشرعية ص (١٨٨-١٩٠).

العدو في دينهم ودنياهم؛ ليحترس من شرِّ ذلك.

وكان من أعظم المصالح: إزجاء العيون - الذين هم الجواسيس - إلى العدو، والمعرفة بطريق الكفر، كما قد ورد عن بعض السلف أنه قال: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لأن من لا يعرف الأمراض وأسبابها قد يغتر بالعافية، ولا يجترز من أسباب المرض أو ذاته، ومعرفة سببه وعلامته فإنه يصلح للطبيب.

والولاية والعلماء أطباء الخلق، كما كتب سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا تَوَلَّى الْقَضَاءَ: بلغني أنك قعدت طبيباً، فإياك أن تقتل مسلماً. وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: لست بخبٍّ، ولا يخدعني الخب. وقالوا: كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أروع من أن يُخدع، وأعقل من أن يُخدع. وسلامة القلب المحموده هي سلامته من الأمراض؛ كالشبهات، والأخلاق الرديئة من النفاق والغُلِّ والحسد والبخل والجبن وشهوة الزنا والكبر، ونحو ذلك.

فأما الجهل بالحقائق فليس في نفسه محموداً؛ إذ العلم صفة كمال، وما ينتفع به إما واجب وإما مستحب، والسياسة بالرأي والخبرة أعم من السياسة بالشجاعة والقوة وأنفع، وبذلك يرفع الله الدرجات، كما قال في خبر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) [يوسف: ٧٦]، وقال في ذي القرنين: ﴿وَأَنبَتْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤) [الكهف: ٨٤]، قالوا: علماً.

وتحدّث شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن إقامة بعض المسلمين في بلاد الكفر من أجل هذا المعنى، فقال<sup>(١)</sup>: «أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين، والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذّر الناس من الاغترار بهم، ويبيّن للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا؛ لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه؛ لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن مُنِع من نشر ما هم عليه والتحذير منه؛ فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسبب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام؛ وجب الكف؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغِيرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنَالْاِكْلِ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ويشبهه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكائد فيحذّرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

ومن فقه الواقع: ما أخبر به النبي ﷺ مما سيقع من ظهور الأحزاب، وظهور الاختلاف، وظهور البدع، ومن التفرق في شرع الله ودينه، فقد قال ﷺ: «فإنه

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٣٤-١٣٥).

من يعيش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»<sup>(١)</sup>.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>: «ذكرت في أول الكتاب ما قصّه الله علينا في كتابه من اختلاف الأمم، وتفرق أهل الكتاب وتحذيره إيانا من ذلك، وأنا أذكر الآن ما جاءت به السُّنَّةُ، وما أعلمنا نبينا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كون ذلك؛ ليكون العاقل على حذر من مسامحة هواه، ومتابعة بعض الفرق المذمومة، وكى يتمسك بشريعة الفرقة الناجية، فيعض عليها بنواجذها ويضمها بجنبه، ويلزم المواظبة على الالتجاء والافتقار إلى مولاه الكريم في توفيقه وتسديده ومعونته وكفايته، فإننا قد أصبحنا في زمان قلّ من يسلم له فيه دينه، والنجاة فيه متعذرة مستعصية إلا من عصمه الله، وأحياه بالعلم».

وحضّ الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على طلب فقه واقع أهل الضلال والشر؛ لمحاذرتهم، فقال: «إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»<sup>(٤)</sup>.

(١) يأتي تخريجه (ص ١٧١).

(٢) رواه أحمد (٤/١٠٢)، وأبو داود (رقم ٤٥٩٧)، والترمذي (رقم ٢٦٤٠) وصححه، وصححه كذلك ابن حبان، والبيهقي، وابن حجر، وابن كثير، والذهبي، وغيرهم، انظر دفع المراء عن حديث الافتراق.

(٣) الإبانة (١/٣٦٦).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/١٢٩)، والحاكم في المستدرک (٤/٤٢٨)، وصححه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ شَارِحًا عبارة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «وهذا لأن من لا يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمّه، وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريده التوحيد، ويدّع بتجريده متابعة الرسول ﷺ ومفارقته الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيّ يرى ذلك عياناً، والله المستعان».

وبنحو تحذير عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الجاهلية لمن جهلها حذر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فإنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]»<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة الوزير ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث من الفقه تنبيه ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا على أن يتعرف جهل من جهل من العرب؛ ليحذر ما وقعوا فيه».

ومن أدلة القرآن على تطلب فقه الواقع خصوصاً واقع المبتدعين والكافرين قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

(١) عيون الرسائل (٢/٧٢٧).

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أو شك أن يظنَّ في بعض سبيلهم أنَّها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل، هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفَّر من خالفها، واستحلَّ منه ما حرَّمه الله ورسوله ﷺ، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم، ممَّن ابتدع بدعةً، ودعا إليها، وكفَّر من خالفها».

ومن أعظم ما أخبرنا الله به عن واقع المشركين هو عدم وجود الدليل على الشرك وتعدد الآلهة مع الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «قوله: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾، إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهان على تعدد الآلهة، فهذه الصفة ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾ صفة كاشفة مبيّنة للأمر، وليست صفة مقيّدة تخرج ما فيه برهان؛ لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إلهًا آخر».

ومن فقه الواقع الواجب التنبيه عليه هو أن كمال الشريعة واضح من صدق أخبارها وعدل أحكامها، وأنه لا ينبغي أن نجعل نقص المسلمين عيارًا عليه، بل الواجب أن نجعل الشريعة معيارًا وميزانًا لأفعال وأحكام

(١) الفوائد، ص (١٥٩).

(٢) شرح ثلاثة الأصول ص (٥٥).

البشر عموماً والمسلمين خصوصاً.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «دين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملاً مبنياً على الكتاب والسنة؛ عرف أنه دين الحق، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة، وارتكبوا محاذير عظيمة، حتى كأن العائش بينهم في البلاد الإسلامية يعيش في جو غير إسلامي».

ومع هذا لا بد من ذكر بعض النماذج الإيجابية التي كانت من أسباب دخول الناس في دين الله أفواجا، فهذه دول شرق آسيا - خصوصاً إندونيسيا - دخل أهلها في الإسلام بسبب أخلاق تجار المسلمين الذين تعاملوا معهم، فوجدوا منهم الصدق والأمانة، فكان هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

وكثير ممن أسلم في أمريكا وأوروبا من الكفار كان سببه خلطته لبعض المسلمين من المقيمين أو الدارسين بديارهم، مع ما في بعض هؤلاء المسلمين من النقص، فكيف إذا كانوا على أكمل سيرة وأحسن طريقة؟!

وهذا كله يبرهن على أن الإسلام انتشر بنور القرآن وهدى الفرقان.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «ولا يُعرف الدين بتتبع

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ٤٤ - ٤٥).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٦/٦٧).



أحوال من ينتسب إليه وهو منحرف عنه، فإن هذا من أعظم الظلم وأنكر المنكر، وقد صار هذا المسلك طريقاً لأعداء الإسلام الظاهرين والباطنين، فقد حملوا الإسلام أوزار من ينتسب إليه من ملوك جائرين، وأمراء مستبدين، وأدعياء منحرفين عن عقائده وأخلاقه ومتفلتين عن أحكامه حتى صاروا أعظم حجاب للمغترين وأعظم حجة للمعاندين العارفين.

وإنما الواجب معرفة الإسلام من منابعه وينبوعه الأصلي، وهو كتاب الله وسنة رسول الله القولية والفعلية وعمل الخلفاء الراشدين والصالحين من أمة محمد ﷺ، فإن هذا هو الدين، وهو الأنموذج الصحيح لمن يريد الإنصاف».

ومن فقه الواقع الضروري التنبيه عليه في هذه الأيام لضراوة وخطر الدعوة للعلمانية، وما يُراد من ورائها من تعطيل الشريعة وإقصائها؛ هو أنه إذا تم فصل الدين عن الدولة اختل أمر الناس واضطربت أمورهم وفسدت، ناهيك عما يحيق بهم من سخط الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «إن الشرع جعل العلم والدين والولاية والحكم متآزرات متعاضدات، فالعلم والدين يقوم الولايات،

(١) السياسة الشرعية (ص ٢٤٠).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٣/٤٠٢).

وتبني عليه السلطة والأحكام، والولايات كلها مقيدة بالعلم والدين الذي هو الحكمة، وهو الصراط المستقيم، وهو الصلاح والفلاح والنجاح، فحيث كان الدين والسلطة مقترنين متساعدين فإن الأمور تصلح والأحوال تستقيم، وحيث فصل أحدهما عن الآخر اختل النظام، وفقد الصلاح والإصلاح، ووقعت الفرقة، وتباعدت القلوب، وأخذ أمر الناس في الانحطاط، يؤيد هذا أن العلوم مهما اتسعت، والمعارف مهما تنوعت، والاختراعات مهما عظمت وكثرت، فإنه لم يرد منها شيء ينافي ما دلّ عليه القرآن، ولا يناقض ما جاءت به الشريعة، فالشرع لا يأتي بما تحيله العقول، وإنما يأتي بما تشهد العقول الصحيحة بحسنه أو بما لا يهتدي العقل إلى معرفته جملة أو تفصيلاً».

والعلمانيون شأنهم معلوم في قلب الحقائق وشن الغارة على الشريعة والترهيب والتهويل من تطبيقها، فهم يصيحون ليل نهار مصرخين زاعمين أن تطبيق الشريعة من أسباب التأخر والتخلف، وكأن هؤلاء نسوا أو تناسوا أنه لم يكن للعرب والمسلمين شأن وحضارة إلا لما دخلوا في الإسلام وأقاموه.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، مهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إنه هو الدين الصالح

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٣/٤١١).

لكل زمان ومكان، وإنه لم يدخل ولن يدخل على الخلق نقص ولا ضرر في دينهم وديناهم إلا من تضييع هذا الدين».

والواقع خير برهان على ما يصيب البلاد والعباد من الشرور بسبب فوضى الأفكار والأخلاق والعقائد والقوانين.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن حرية الأفكار وإعطاء كل أحد حريته فيها قد تبين أنها السبب في الفوضوية، وأنها أعظم من حرية الأفعال، بل هي أصلها، فإنه متى أعطي الناس حريتهم فيها انحلت أخلاقهم وعقائدهم، ومرجت أعمالهم وصارت البهائم أحسن حالاً منهم، وهذا هو الواقع في كل قطر أطلقت فيه الحريات، ولم تُقيد بالقيود الشرعية العقلية.

فإن النفوس أمارة بالسوء، وطبيعتها الأشر والبطر، والانطلاق خلف كل شهوة ضررت الأفراد والجماعات أو لم تضرهم.

فكما أن إطلاق الحريات في الأفعال مطلقاً لا يمكن البقاء معه، فلو ترك لكل أحد حريته، وأن له أن يقتل أو يجرح أو يضرب، أو يأخذ أموال الناس وأعراضهم؛ لفسدت الأحوال، واختلت الدنيا، ووقع الهرج والمرج والضرر الكبير، فكذلك حريات الأفكار متى أُطلقت أتت بالمنكرات والفظائع الشنيعة، وكان من ثمرتها الخبيثة الاستغناء عن الدين، وعن الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وإنكار ما جاءوا به، وكذلك إنكار ما دلَّت عليه العقول

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٣/ ٥٠١-٥٠٢).

الصحيحة من وجوب التقيد والتحرز عن الأمور الضارة في الاعتقادات والأخلاق والأعمال.

ومن جرّاء حريات الأفكار ما تسمعه في الصحف الإلحادية والصحف الخليعة من المقالات التي تقشعرُّ منها قلوب العقلاء وقد ضرتُّ ضرراً كبيراً في العقائد والأخلاق، بل ضرت الحكومات والجماعات والأفراد).

وأحكام الإسلام وشرائعه كما لها يبهر العقول، ونهضة أمة الإسلام بها لمّا أقامته ينادي على الخير الذي تهتدي به الأمم في صلاحها ورقيتها إذا لزمته.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «الشرائع والأوامر والنواهي كلها على وفق الميزان الصحيح؛ لأنها تضمنت الأمر بكل خير نافع والنهي عن كل شر ضار، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه. ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أخبر بشيء فجاء على خلاف المحسوس المعقول.

وما من علم صحيح يوجد في أمة كانت إلا وقد دعا إليه وأرشد، ونبه الخلق على سلوك طريقه، وما من عمل صالح نافع إلا وقد أمر به وأرشد إليه، وكلما ازدادت الجماعات أو الأفراد في القيام به علت درجاتهم وارتقوا في درج الكمال».

فالواقع خير برهان وشاهد على استقامة وصلاح أحوال البلاد والعباد إذا أقاموا شرع الله.

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٣/٤١٣).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وما حصل النقص على المسلمين إلا بتركهم لبعض دينهم، فحيث كان قيامهم بالدين تاماً كانت أحوالهم كلها مستقيمة، وحيث ضعف قيامهم به حصل النقص بحسب ذلك، فهذا برهان على أن الصلاح يدور مع دين الإسلام وجوداً وهدماً».

وكل من يعرف حقائق دين الإسلام والقوة الكامنة في المسلمين يعلم أنهم أفضل الأمم وأهداها سبيلاً وأقومها طريقاً، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالأمة الإسلامية متى أخذت بدينها بقوة، وشمرت عن ساعد الجد في طلب علوم الصناعة والحضارة فإنها تكون رائدة الأمم.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «إن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي والرقمي الصحيح؛ لأن دينهم كله عروج وصعود في عقائده وآدابه، وأخلاقه ومقاصده وأسبابه، وجمعه بين مصالح الدنيا والآخرة، ومنافع الروح والجسد».

ومن النصوص الدالة على طلب معرفة فقه الواقع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]، قال العلامة المجدد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «أنزلنا إليكم أيضاً مثلاً

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٣/٤١٤).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٦/١٣٠).

(٣) تيسير الكريم (٣/١١٦٧).

من الذين خلوا من قبلكم: من أخبار الأولين، الصالح منهم والطالح، وصفة أعمالهم، وما جرى لهم وما جرى عليهم، تعتبرونه مثلاً ومعتبراً لمن فعل مثل أعمالهم أن يجازى مثل ما جُوزوا».

وقد أخبرنا الله بأحوال أهل الملل معنا؛ لنعرف واقعهم على الحقيقة التي أطلعنا الله عليها، لا على ما نتوهم خلافه، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَآءًا وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَاتُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومن فقه الواقع: المعلوم المتيقن عند المسلمين أنه ما تنزل بهم نازلة إلا وفي القرآن بيانها، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم: أتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «ليس تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيه».

فالمؤمنون العارفون بمعاني القرآن يدركون حقيقة ما قاله الإمام الشافعي

(١) الرسالة (ص ٤٧٧، رقم: ١٣٢٦).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، ص (١٢).

رَحْمَةُ اللَّهِ، قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>: «إن ما لم يكشف عنه القرآن الذي جعله الله لكل شيء تبيانا - لم يكشف عنه سواه».

والواجب على أهل العلم بذل الجهد في استنباط معاني التنزيل، ورد مسائل النوازل إلى القرآن والسنة، والاجتهاد في طلب حكمها من منطوق ومفهوم النصوص.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>: «أمر برد كل ما تنازع الناس فيه، من أصول الدين وفروعه، إلى الله والرسول ﷺ؛ فإن فيها الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما، أو إيحاء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما».

وسمى النبي ﷺ من لا يفقه واقعه على ما هو عليه مغبوناً، فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>: «قد يكون الإنسان صحيحاً، ولا يكون متفرغاً؛ لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً، ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا،

(١) نكت القرآن الدالة على البيان (١/ ٨١، ٨٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (١٤٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ (ص ١١١٣ - رقم: ٦٤١٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) عون الباري بحل أدلة البخاري (١٠/ ٢٨٥).

فغلب عليه الكسل عن الطاعة، فهو المغبون، وتما ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله، فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله، فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم.

ومن الأدلة المرشدة إلى تطلب فقه الواقع ما جاء في الحديث: «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم»<sup>(١)</sup>.

فمعرفة أحوال المسلمين هو من مقتضيات الأخوة في الله، ومن موجبات التراحم والتواد والتواصل بين المسلمين، وهو شأن الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؛ كما قال النبي ﷺ.

فمعرفة أحوال المسلمين في أقطار الدنيا هو شأن الأمة الواحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فالأمة الواحدة يتفقد بعضها أحوال بعض، ليتواصلوا بالحق والصبر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

(١) قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللهُ: «رواه الحاكم من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكلاهما ضعيف». تخریج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٢١٥ - رقم ١٨١٥).

وذكر الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦٧٠ - رقم ١١٨٢) أن البيهقي رواه في شعب الإيمان من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنه رواه أبو نعیم في الحلیة، وقد بسط الكلام فيه في الأجوبة الدمیاطیة.



فالأمة الواحدة تتواصى على الاعتصام بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وتتعاون فيما بينها لبذل أسباب سعادة المسلمين في أقطار الدنيا، وإزالة موانع ومعوقات قيامهم بدينهم وإصلاح شئونهم الدينية والديوية.

يتلمس المسلمون أحوال إخوانهم في أقطار الدنيا، فيعطف أغنياءهم على فقرائهم، ويقومون بسد حاجاتهم وسد خللتهم وتخفيف معاناتهم، يتعاونون على دفع الصائلين على ديارهم، ويقوم علماءهم ودعاتهم بتعليم إخوانهم في سائر نواحي الأرض، هذا شأن الأمة الواحدة.

وكذلك أخبر النبي ﷺ بما يكون من أحوال الناس في تضييع شرائع الإسلام، فذكر أن أول ما يرفع من الناس الأمانة، وأن آخر ما يرفع الصلاة. عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المَجَل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفظ فتراه منتبراً، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يُقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً. حتى يُقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس (ص ١٢٢١ - رقم ٧٠٨٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب (ص ٧٣ - رقم ٣٦٧).

قال العلامة ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «مدار هذا الحديث هو التنبيه على أن الأمانة التي تثبت وتنفع في الدنيا والآخرة هي التي كانت لله ومن أجل الله، وأن الأمانة التي يستعملها الناس لأجل الناس ولحراسة معاشهم ولحفظ أقوالهم بين الناس، لصالح دنياهم - فإنها هي التي تقبض من قلوبهم وترتفع لارتفاع أسبابها، ولانقضاء ما كانت لأجله، فأما ما كان لله تعالى، فإنه لا يزول. وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال<sup>(٢)</sup>: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة».

وما أكثر ما أخبرنا الله في القرآن عن جنابة الحاسدين على من حسدوه بأنواع الأذى، فذكر لنا الله قصة هابيل وقابيل كيف قتل هابيل قابيل؛ حسداً له على طاعته لله، وقبول الله أعماله الصالحة، قال تعالى: ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا أُقْبِلُكَ قَالِ إِنَّمَا تَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقصَّ الله علينا كذلك قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف حسده إخوته، وجمعهم ذلك على إلحاق أنواع الأذى به.

فالمقصود من بيان الله لنا عواقب الحسد وشرور الكافرين والمنافقين

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٢١٤).

(٢) رواه أحمد (٥/٢٥١)، والحاكم (٤/٩٢)، وصححه ابن حبان (٨/٢٥٣)، وصححه العلامة الألباني.

والشياطين - محاذرتهم والاستعداد لدفع أذاهم؛ قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «الإخبار بهذا؛ ليوطن نفسه كل مؤمن على قتال هؤلاء الأعداء، ومثاغرهم الحسود بالصبر عليه.

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

وعلى بغض المنافق؛ فإنه يعينك على ذلك معرفته أنه لم يبغضك إلا لإيائك بالله ورسوله ﷺ، ونستعد لإضلال الشياطين باتقاء مصايدهم، وللكافر بإعداد القوة لقتاله».

ومع وجوب محاذرة الإنسان من أهل الشر الذين يميلون على بعض خلق الله بالأذى حسداً، فإنه ينبغي التوسط في ذلك حتى لا يغلو المسلم في تفسير واقعه وما يجري له فيه من مقادير الله بسبب الحسد، قال عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>: «إن الرجل ليريد الأمر من الإمارة أو التجارة، فيذكره الله في سبع سموات، فيقول للملك: اصرفه عنه، فإني إن أُيسر له أدخله به النار. قال: فيتطير بجيرانه، إنه دهاني، إنه فعل بي، وما صرفه عنه إلا الله».

وحديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصل في معرفة فقه الواقع، قال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إننا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ١٠١).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٩٦، ١٩٧ - رقم ١٩١)، وفي إسناده انقطاع.

خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها»<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي جمة الأندلسي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «في الحديث حكمة الله في عباده؛ كيف أقام كلاً منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير؛ ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السؤال عن الشر؛ ليجتنبهه ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة؛ وفيه سعة صدر النبي ﷺ، ومعرفة بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه؛ ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق به غيره<sup>(٣)</sup>، ومن ثم كان حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خُص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية؛ ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه والقيام به، وأن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيراً، وكذا بالعكس».

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (ص ١٢٢١ - رقم: ٧٠٨٤).

(٢) فتح الباري (١٣/٤١).

(٣) إذا تحقق بعلم ما حُبب إليه.

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إنه حديث عظيم الشأن، فيه دلالة على المخلص وطريق النجاة عند الفتن وعند انقسام الناس، وكثرة الفرق الضالة.

واقع اليوم يمثل ما قاله النبي ﷺ، أنصار العرب، وأنصار المسلمين، ومن كل مكان يمثل هذا، تجد دعوات صالحة وتجد دعوات مضللة، فالمؤمن يميز بين الصادقة فيلزمها أينما كان، في أوروبا، في أمريكا، في آسيا، في أفريقيا، في أي مكان، ولو عشرة، ولو خمسة من بين ملايين، ويجذر من الدعوات الباطلة، أما آخر الزمان فسوف يأتي ما وعد من ذهاب الدين بالكلية، ولا يبقى من يقول: لا إله إلا الله. نسأل الله السلامة).

وقال سماحة الإمام ابن باز أيضًا رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «قال ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم» يعني: دعاة للنار - نسأل الله العافية - يدعون إلى معاصي الله، وإلى الشرك بالله، وإلى ترك أوامر الله، ويزينون للناس الباطل، ويصدونهم عن الحق في الأساليب التي يستطيعونها، وبالأساليب الواضحة، وبالأساليب المغلفة النفاقية، تارة، وتارة، قال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صفهم لنا؟ قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»؛ يعني عرب فصحاء يدعون إلى النار، وهذا هو الواقع منذ أزمان كثيرة، من خطباء ضالين، وأصحاب صحف سيارة، ومقالات رنانة، كلها في الباطل والشر والدعوة إلى النار، نعوذ بالله، ما

(١) التعليقات البازية على شرح الطحاوية (٢/٩٠٣، ٩٠٤).

(٢) التعليقات البازية على شرح الطحاوية (٢/٩٠٢، ٩٠٣).

بين مجالات فاسدة، وصحافات فاسدة، وإذاعات فاسدة، وخطب منحرفة إلى غير ذلك، كلها دعوة إلى جهنم، نعوذ بالله، ولكن لا تخلو الأرض من الخير».

ومن الأدلة التي أخبر بها النبي ﷺ بما يكون من واقع الأمة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المخرَج في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رِءُوسًا جَهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأُتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

فهذا غاية ما يكون في التحذير من حصول الفساد والضلال للخلق بسبب ذهاب العلماء، وفيه الحث على طلب العلم على سبيل بلوغ أعلى رتبة وهي رتبة العلماء؛ ليهتدي الناس بنور الوحي، ويرجع الناس إلى العلماء فيتلقون شريعة الله عنهم؛ لأنهم وسائل للفهم عن الله ورسوله، وليسلم الناس من الفتن والشور في النوازل، بسؤال الأكابر والرجوع إليهم.

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>: «قد أعلم رسول الله ﷺ أن آفة العلم ذهاب أهله، وانتحال الجهال، وتروؤسهم على الناس باسمه، وحذر الناس أن يقتدوا بمن كان من أهل هذه الصفة».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «الرسول ﷺ أخبر بأن

(١) العزلة، ص (٩٦).

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٥٥).

العلماء سيموتون، ويعني ذلك أن نحصر حتى لا يدركنا هذا الوقت الذي يموت به العلماء ولا يبقى إلا هؤلاء الرؤساء الجهال الذين يفتون بغير علم، فيضلُّون بأنفسهم ويضلُّون غيرهم».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «العلم أيضًا لا يتزع من صدور الرجال لكنه يقبض بموت العلماء، بموت العلماء الذين هم علماء حقيقة، ولا يبقى عالم، فيتخذ الناس رؤساء، يعني يتخذ الناس من يترأسهم ويستفتونه، لكنهم جهال يفتون بغير علم، فيضلُّون ويضلُّون - والعياذ بالله -، وتبقى الشريعة بين هؤلاء الجهال يحكمون بها بين الناس وهم جهلة، وحينئذ لا يوجد الإسلام الحقيقي الذي يكون مبنياً على الكتاب والسنة؛ لأن أهله قد قبضوا.

وفي هذا الحديث حث وتأکید على طلب العلم؛ حتى لا نصل إلى الحال التي وصفها الرسول ﷺ.

ومن الأدلة التي أخبر بها النبي ﷺ بما يكون من واقعنا - قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا. وشبك بين أصابعه!!

قال: فما تأمرني يا رسول الله؟

قال: «عليك بخاصة نفسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٥٤).

(٢) علقه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد (ص ٨٣ - رقم ٤٧٨، ٤٧٩،

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>: «قسم له كل واحد من أمر دينه وديناه إلى قسمين اثنين، فقال في الأول، وهو قسم أمر الدين: «خذ ما تعرف»، فكان هذا إشارة إلى معهود تعارفه فيما بينهم، وكان الذي تعارفه معهوداً من حقوق الأئمة، ومتعلقاً بها من أمور الدين: إقامة الصلاة خلفهم، وأداء الزكاة إليهم، وجهاد الكفار معهم، إلى ما يشبه هذا من الأمور التي يليها الأمراء، فأمره بطاعتهم فيها، ثم قال: «ودع ما تنكر». وهو كل ما حدث بعده من الفتن، ونشب بين بعض أصحابه من الحروب والتنازع في الملك، يقول: إذا دعوك إلى شيء منها فدعهم واعتزلهم ولا تكن معهم.

ثم قسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له القسمة الثانية التي هي قسم أمر دنياه، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عليك بأمر الخاصة»، وهو كل ما يخصه ويعنيه ويخص كل إنسان في ذاته، من إعالة أهله، وسياسة ذويه، والقيام لهم، والسعي في مصالحهم؛ ونهاه عن التعرض لأمر العامة والتعاطي لسياستهم، والترؤس عليهم، والتوسط في أمورهم، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «دع عنك أمر العامة».

فقد نظم له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل العريض من أمر دينه وديناه في القصير الوجيز من كلامه».

وعن مرداس الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يذهب الصالحون الأوّل فالأوّل، وتبقى حثالة كحثة الشعر أو التمر، لا يبالىهم الله باله»<sup>(٢)</sup>.

(١) العزلة ص (١٤، ١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين (ص ١١١٦، رقم: ٦٤٣٤).



فهذا خبر بواقع المسلمين في زمن الفتن وتغير أحوال الناس، وركوبهم أنواع المخالفات، وذهاب الصالحين، ويكون الحثالة هم عامة الناس، والحثالة لا تقيم لمكارم الأخلاق وزناً، ولا ترعوي عمّا يشين، فلا يباليها الله بالة، ولا يعبأ بها، وهذا من موجبات حلول سخط الله فيهم، وأعظم ما يكون من شرور هذا الزمان «الفرقة»، لذلك قال النبي ﷺ في وصفهم: «واختلفوا فصاروا هكذا. وشبك بين أصابعه»، وهو دليل على شدة اختلافهم.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «لذلك يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التي كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله».

وأخبر النبي ﷺ بوقوع ما هو أشد من ذلك، وهو أن يمّر الرَّجُل بقبر الرَّجُل، فيقول: يا ليتني مكانه<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «لما يرى من عظيم البلاء، ورياسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم واستحلال الحرام، والتحكم بغير حق في الأموال والأعراض والأبدان، كما في هذه الأزمان».

(١) شرح رياض الصالحين (٦/٦٣٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور (ص ١٢٢٦ - رقم ٧١١٥).

(٣) عون الباري (١٠/١٦٥).

وكان السلف يتذكرون أحوال صالحهم وذهاب أهل الخير، وتغير الزمان، قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: ثنا محمد بن مهاجر: ثنا الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: «يا ويح لبيد؛ حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم      وبقيت في خلف كجلد الأجرَبِ  
فكيف لو أدرك زماننا؟!».

قال عروة رَحِمَهُ اللهُ: عائشة، كيف لو أدركت زماننا؟!!

قال الزهري رَحِمَهُ اللهُ: عروة، كيف لو أدرك زماننا؟!!

قال الزبيدي رَحِمَهُ اللهُ: رحم الله الزهري، كيف لو أدرك زماننا لبيد ابن ربيعة بن عامر<sup>(١)</sup>.

ونحن نقول: رضي الله عن عائشة، ورحم الله عروة، والزهري، والزبيدي، كيف لو أدركوا زماننا؟!!

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «والإخبار بالواقع لا يعني إقراره، يعني إذا أخبر الرسول ﷺ عن شيء ليس معناه أنه يقره ويسمح فيه، كما أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأقسم: «لتبعن سنن من كان قبلكم»، يعني: لتركبن طرق من كان قبلكم، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «نعم، اليهود

(١) التاريخ الأوسط للبخاري (١/ ٨١).

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٥٤، ٤٥٥).

والنصارى». فأخبر أن هذه الأمة سوف ترتكب ما كان عليه اليهود والنصارى، إخبار تحذير لا إخبار تقرير وإياحة، فيجب أن نعلم الفرق بين ما يخبر به الرسول ﷺ مقررًا له ومثبتًا له، وما يخبر به محذرًا عنه.

والسلف كانوا يتذكرون مثل هذه النصوص في واقعهم عند نزول الفتن، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ظَهَرَ فِي زَمَنِهِ بَدْعَةُ خَلَقَ الْقُرْآنَ حَدَّثَ بِحَدِيثِ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، فَأَعِدُوا لِلْبَلَاءِ صَبْرًا»، رواه أحمد وصححه ابن حبان، وجعل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ (١): «اللهم رَضْنَا، اللهم رَضْنَا».

ومن الأدلة التي جاءت بالحض على معرفة الواقع قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» (٢).

فهذا خبر، وفيه حض على لزوم الشرع عند غربة الإسلام وتغير أحوال المسلمين.

وهذا الحديث فيه حض على نصره الإسلام بالحكمة عند تغير أحوال أهله.

ولساحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ تعليق رباني على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ﴾

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا (ص ٧٥ - رقم ٣٧٣).

أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ [آل عمران: ٥٢]؛ حيث قال (١):  
 ﴿مَنْ أَنْصَارِيٍّ إِلَى اللَّهِ﴾، يعني: من ينصر دين الله ويتابعني في نصر دين الله؟  
 فقال الحواريون - وهم الأنصار والأتباع الصادقون - : نحن أنصار الله.  
 والحواري هو الناصر، ومنه الحديث الصحيح في قصة الزبير: «لكل نبي  
 حوارِيٌّ، وحواريُّ الزبير». يعني: الناصر الخاص المتفاني في النصر، ومنه  
 الأنصار - الأوس والخزرج - الذين آووا المسلمين، ونصروهم، وجاهدوا  
 في سبيل الله، وصدقوا فيما عاهدوا عليه - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

وكل من ناصر الدين في أي مكان، وفي أي زمان، فهو من الأنصار في  
 المعنى، وليس خاصًا بالأوس والخزرج، ولا بالحواريين في عهد عيسى، ولكن  
 كل من نصر الحق وجاهد في سبيله، فإنه في الحقيقة من الأنصار، وله الفضل  
 العظيم في ذلك، وكلما اشتدت الغربة، وقلَّ من يساعد على الحق، صار فضل  
 الأنصار أكثر وأكمل، فمن عادى الأنصار وأبغضهم، فذلك علامة نفاقه، ومن  
 أحب الأنصار، ونصرهم، وأيدهم، وسار في ركبهم فذلك علامة الإيثار، ومن  
 ذلك الحديث الصحيح: «آية الإيثار حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

وإن كان هذا في الأنصار المعروفين وهم الأوس والخزرج، ولكنه في المعنى  
 يعمهم، ويعم غيرهم في كل زمان وفي كل مكان، فمن الإيثار حب من نصر  
 دين الله، وموالاته، وإعانتته، ومن علامات النفاق بغض من نصر دين الله،  
 ومعاداته في كل زمان ومكان.

(١) فوائد من التفسير، ص (١٧٠، ١٧١).

وفي هذا حث وتحريض على نصرة دين الله، والتأسي بالأخيار، والحذر من صفات الأشرار الذين من شأنهم إنكار الحق والكفر به، ومتابعة الهوى والشيطان، كاليهود وأشباههم ممن عرف الحق وأنكره، وابتغى العيوب لأهل الإيمان، وآثر حب العاجلة.

فمن جحد الحق لهوى في نفسه، فإنه مشابه لليهود في هذه الحادثة، والله أعلم، ومن نصر الحق وأيده وجاهد في سبيله، وآوى أهله، فقد شابه الأنصار من الأوس والخزرج، ومن قبلهم من أنصار دين الله، فله من الفضل ومن الأجر بحسب ما قام به من نصر دين الله جَلَّ وَعَلَا.

وكان النبي ﷺ يُخبر أصحابه بأحوال اليهود حتى لا يقعوا في مشابهتهم، من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»<sup>(١)</sup>.

وكذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يخبرون النبي ﷺ بما عينوه من أحوال الكفار خصوصاً فيما يتعلق بعقائدهم وكنائسهم وصوامعهم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ص ٥٨٢ - رقم ٣٤٦٢)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصبغ (ص ٩٤٠ - رقم ٥٥١٠).

وما أكثر ما أخبرنا الله في القرآن عن أحوال وشناعات اليهود والنصارى! كل ذلك عظة وتحذير لنا عن مشابهتهم في عقيدتهم الشركية وابتداعهم وعبادتهم لله بغير علم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «والمقصود هنا الاعتبار، فإن بني إسرائيل قد ذهبوا أو كفروا، وإنما ذكرت قصصهم عبرة لنا، وكان بعض السلف يقول: «إن بني إسرائيل ذهبوا، وإنما يعني أنتم»، ومن الأمثال السائرة: «إياك أعني واسمعي يا جارة». فكان فيما خاطب الله به بني إسرائيل عبرة لنا: أن لا نلبس الحق بالباطل، ونكتم الحق».

وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرُوا: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال رجل من القوم: هذا في بني إسرائيل. فقال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم الإخوة لكم إن كان لكم الحلو، والمُرُّ لهم، كلا والذي نفسي بيده حتى حدو السِّية بالسِّية<sup>(٢)</sup>.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «لَمَّا أَنْبَأَكُمُ اللَّهُ بِصُنْعِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ، بِأَعْمَالِهِمْ أَعْمَالَ السُّوءِ، وَبِحُكْمِهِمْ بغير ما أَنْزَلَ اللَّهُ - وَعَظَّ اللَّهُ نَبِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً شَافِيَةً، فَلْيَعْلَمُ مِنْ وَلِيِّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ يُعْطِيهِمْ بِهِ خَيْرًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ بِهِ سُوءًا إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ، فَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ صُنْعَ أَهْلِ الْكِتَابِ

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٠).

(٢) أخبار القضاة (١/ ٤٠)، وفي لفظ: «غير أي لا أدري أتعبدون العجل أم لا».

(٣) أخبار القضاة (١/ ٤٣، ٤٤).

وجورهم، قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، يقول: الكتب التي قد خلت قبله، ومهيمنًا عليه، وقال: شاهدًا على الكتب التي قد خلت قبله».

وقال الله عزَّجَلَّ أيضًا في اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٍ مِنَ اللَّهِ وَبَعْضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢): «ضُربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله هو الإسلام، أو بحبل من الناس وهو المساعدات الخارجية، والمشاهد الآن أن اليهود أعزاء بما يساعدهم إخوانهم من النصارى».

إن اليهود قد ضُربت عليهم المسكنة وهي الفقر، ويشمل فقر القلوب الذي هو شدة الطمع، بحيث إن اليهودي لا يشبع، ولا يتوقف عن طلب المال، ولو كان من أكثر الناس مالا، ويشمل أيضًا فقر المال وهو قتلته.

إن بني إسرائيل لا يقومون للمسلمين لو حاربوهم من قبل الإسلام؛ لأن ضرب الذلة بسبب المعصية، فإذا حاربوا بالطاعة والإسلام فلا شك أنه سيكون الوبال عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، وما يشاهد اليوم من مقاتلة اليهود

(١) آل عمران: (١١٢).

(٢) تفسير سورة البقرة (١/٢١٩، ٢٢٠).

للعرب فإنما ذلك لسببين:

الأول: قلة الإخلاص لله تعالى، فإن كثيرًا من الذين يقاتلون اليهود - أو أكثرهم - لا يقاتلونهم باسم الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وإنما يقاتلونهم باسم العروبة، فهو قتال عصبي قبلي، ولذلك لم يفلح العرب في مواجهة اليهود.

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من كبيرة، وصغيرة، حتى إن بعضها ليؤدي إلى الكفر، وقد حصل للمسلمين في أحد ما حصل بمعصية واحدة مع ما انضم إليها من التنازع، والفسل، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أُرْنَكُم مَّا تَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وكان الصحابة شديدي الملاحظة لمعاني ما تدل عليه النصوص من فقه الواقع، فأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم من نزول قوله تعالى بعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ (٣)﴾ [النصر: ١ - ٣]، قرب أجل النبي ﷺ، ونفعه ذلك لما قبض النبي ﷺ، ولم ينكر موته.

وتعيين واقع النوازل في نصوص الوحي فقه دقيق جدًا، فانظر إلى موقف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صلح الحديبية، فإن النبي ﷺ لما صالح مشركي قريش على أن يعتمر وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من قابل، جاءه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «ألست نبي الله حقًا؟»



قال ﷺ: «بلى». قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال ﷺ: «بلى».

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟

قال ﷺ: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري».

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال ﷺ: «بلى، فأخبرت أنك أنا نأتيه العام؟».

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا.

قال ﷺ: «فإنك آتية ومطوف به».

فرجع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متغيظاً، فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا بن الخطاب إنه رسول الله، ولن يضيعه الله

أبداً. فنزلت سورة الفتح<sup>(١)</sup>.

وفي بعض ألفاظه: «نزلت سورة الفتح، فدعا رسول الله ﷺ عمر ابن

الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقرأها عليه».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه

دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (ص ٤٤٧ - رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم ص (١٢٧٩).

الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل - وقع في نفس بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: «بلى، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟» قال: لا، قال النبي ﷺ: «فإنك آتية ومطوّف به».

وهذا أجاب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حذو القذة بالقذة، ولهذا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]، هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء.

ومن ذلك أيضًا ما أنزله الله من الوحي على نبيه ﷺ في شأن اقتتال الروم وفارس، وأن الغلبة ستكون للروم في آخر الأمر، قال تعالى: ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ (٢) فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) [سورة الروم: ١-٤].

قال الزجاج: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله؛ لأنه أنبأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله (١).

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): «كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينها من الحروب

(١) رموز الكنوز (٦/٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٦٧٤).

والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة، وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب يتسبون إلى التوراة والإنجيل، وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون - لاشتراكهم والفرس في الشرك - يحبون ظهور الفرس على الروم.

فظهر الفرس على الروم، فغلبوهم غلباً لم يحط بملكهم، بل بأدنى أرضهم، وفرح بذلك مشركو مكة، وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ<sup>٤</sup>﴾، تسع، أو ثمان، ونحو ذلك، مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم، ثم غلبة الروم للفرس، كل ذلك بمشيئته وقدره، ولهذا قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ<sup>٤</sup>﴾، فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر.

﴿وَيَوْمَئِذٍ<sup>٤</sup>﴾ أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ<sup>٤</sup>﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ<sup>٤</sup> وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ<sup>٤</sup>﴾ [الروم: ٤، ٥]، أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس، وإن كان الجميع كفاراً، ولكن بعض الشر أهون من بعض، ويحزن يومئذ المشركون».

ثم قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: ﴿وَعَدَ اللهُ لَّا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦]، فتيقنوا ذلك، واجزموا به، واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

فلما نزلت هذه الآيات، التي فيها هذا الوعد، صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون، حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها،

(١) تيسير الكريم الرحمن ص (٦٧٤ - ٦٧٥).

فلما جاء الأجل، الذي ضربه الله، انتصر الروم على الفرس، وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم، وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها، ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين».

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

ومما تذاكره النبي ﷺ مع أصحابه في فقهه الواقع ما رواه أحمد عن عوف ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فنظر في السماء، ثم قال: «هذا أوان العلم أن يرفع»، فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لييد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيرفع العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كنت لأظنك من أफقه أهل المدينة». ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين وعندهما ما عندهما من كتاب الله عزَّوَجَلَّ، فقال شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق عوف. ثم قال لجبير بن نفير: «وهل تدري ما رفع العلم؟» قال: لا أدري، قال: «ذهاب أوعيته». قال: «وهل تدري أي العلم أول يرفع؟» قلت: لا أدري. قال: «الخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٦/٦)، قال العلامة المحدث مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حديث صحيح، رجاله رجال ثقات، وهو مسلسل بالشاميين، إلا شيخ الإمام أحمد فبغدادي»، الصحيح المسند من دلائل النبوة ص (٣٦٩).

فهذا الحديث فيه تحذير لأمتنا أن يُرفع منهم العلم بذهاب أوعيته.

وأخبر الله عزَّجَلَّ في القرآن أصحاب نبيه ﷺ بما يستقبلونه من وقائع ونوازل شديدة، فقال تعالى: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، والمراد بذلك الاستعداد الإيماني والنفسي والبدني والعسكري لجهاد هؤلاء دون أن يتهاونوا في شأنهم، ولا أن يستولي عليهم الخذلان والخوف منهم لشدة بأسهم في القتال. وليستدرك من فاته الجهاد من قبل، فقد جعل الله له سبباً لتمحيص إيمانه وتكفير سيئاته، ونصرة دين الله.

قال رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «كنا نقرأ هذه الآية، ولا نعلم من هم حتى دُعي أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «فلا بد أن يكون هؤلاء الذين تقع الدعوة إلى قتالهم لهم اختصاص بشدة البأس».

وقال<sup>(٣)</sup>: «إذا فرض عليهم الإجابة والطاعة إذا دعوا إلى قوم أولي بأس شديد، فلا بد أن يجب عليهم الطاعة إذا دعوا إلى من ليس بذئ بأس شديد بطريق الأولى والأحرى، فتكون الطاعة واجبة عليهم في دعاء النبي ﷺ إلى مكة وهو ازن وثقيف».

(١) رموز الكنوز (٧/ ٣٠٤).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٦/ ١٩).

(٣) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٦/ ٢٠).

وقال أيضاً<sup>(١)</sup>: «قال تعالى: ﴿أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، وهنا صنفان: أحدهما: بنو الأصفر الذين دعوا إلى قتالهم عام تبوك سنة تسع، فإنهم أولو بأس شديد، وهم أحق بهذه الصفة من غيرهم، وأول قتال كان معهم عام مؤتة عام ثمان قبل تبوك، فقتل فيها أمراء المسلمين: زيد، وجعفر، وعبد الله بن رواحة».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ذَاكِرًا الصنف الثاني من أولي البأس الشديد<sup>(٢)</sup>: «المرتدين الذين قاتلهم الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصحاب مسيلمة الكذاب، فإنهم كانوا أولي بأس شديد، ولقي المسلمون في قتالهم شدة عظيمة، واستحَرَّ القتل يومئذ بالقراء، وكانت من أعظم الملاحم التي بين المسلمين وعدوهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مُحَرَّرًا وَمُحَقِّقًا وَمَرْجِحًا بَيْنَ الْأَقْوَالِ فِي تَعْيِينِ الْمَرَادِ بِأُولَىٰ الْبَأْسِ الشَّدِيدِ فِي الْقِتَالِ<sup>(٣)</sup>: «يقال: قوله: ﴿سَدَّعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، كلام حذف فاعله، فلم يُعَيَّن فاعل الداعي لهم إلى القتال، فدَلَّ القرآن على وجوب الطاعة لكل من دعاهم إلى قتال قوم أولي بأس شديد يقاتلونهم أو يسلمون».

ولا ريب أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاهم إلى قتال المرتدين ثم قتال فارس والروم، وكذلك عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاهم إلى قتال فارس والروم، وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (١٩/٦).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (١٩/٦ - ٢٠).

(٣) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٢٠/٦).

دعاهم إلى قتال البربر، ونحوهم، والآية تتناول هذا الدعاء كله».

وكذلك لاحظ الصحابة ما وقع من الفرق في واقع المنافقين ما بين عهد النبوة وعهد من بعدهم، قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقَ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «الذي يظهر: أن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يرد نفي الوقوع، وإنما أراد نفي اتفاق الحكم؛ لأن النفاق: إظهار الإيمان، وإخفاء الكفر، ووجود ذلك ممكن في كل عصر، وإنما اختلف الحكم؛ لأن النبي ﷺ كان يتألفهم، ويقبل ما أظهره من الإسلام، ولو ظهر منهم احتمال خلافه، وأما من بعده، فمن أظهر شيئاً، فإنه يؤاخذ به، ولا يترك لمصلحة التألف، لعدم الاحتياج إلى ذلك».

وقيل: غرضه: أن الخروج عن طاعة الإمام جاهلية - ولا جاهلية في الإسلام - أو تفريق للجماعة، فهو خلاف قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وكل ذلك غير مستور، فهو كالكفر بعد الإيمان.

وفي حديث حذيفة الآخر عند البخاري: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مَنْهُمْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَانُوا يَوْمئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ، فَيُخْرِجُونَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ، وَيُوقِعُونَ الشَّرَّ بَيْنَ الْفِرَقِ، فَيَتَعَدَىٰ شَرَّهُمْ لغيرهم».

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه (ص ١٢٢٥ - رقم ٧١١٤).

(٢) عون الباري (١٠/١٥٠).

وعند البزار من طريق أبي وائل: قلت لحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: النفاق اليوم شر، أم على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: فضرب بيده على جبهته، وقال: أوه! هو اليوم ظاهر، إنهم كانوا يستخفون على عهد رسول الله ﷺ... الحديث».

وإن شئت أن تعرف حقيقة مجاهرة منافقي اليوم بكفرهم فانظر إلى طعون بعض أبناء المسلمين في الإسلام، ودعوتهم لأن يتولى الكفار سيادة بلاد المسلمين، مع ما يتضمنه كلامهم من الطعن في شرائع الإسلام.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إنه في هذه الأوقات طمّ الإلحاد، وفشت دعايته بين المسلمين، وصار يدعو إليه الأجانب ويدعو إليه من تسمى بالدين، إما نفاقاً وخداعاً، وإما أن يكون صنيعه لغيره وأجيراً، وإما أن يكون ليس له بصيرة، سمع الناس يقولون شيئاً فقال، وهذا كثير في أهل الصحف الذين لا بصيرة لهم في الدين، ولا يباليون بسقوط صحفهم عن الاعتبار الديني».

ولقد عشنا زمناً أدركنا فيه حقيقة ما قاله حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صحابي رسول الله ﷺ، فكان من أبناء جلدتنا من يقول: إن تطبيق الشريعة رجعية!!! وما أكثر ما أخبر به النبي ﷺ بشأن واقع ما تستقبله الأمة الإسلامية، سواء فيما يتعلق بفقه الدعوة أو السياسة الشرعية.

ففي فقه الدعوة قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما بعثه إلى اليمن:



«إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ»، رواه البخاري ومسلم.

ومعرفة أحوال المدعوين المقصود به سلوك أوفق الطرق لهدايتهم، وهذا من الحكمة الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «فالحكمة وضع الدعوة في موضعها، ودعاية كل أحد بحسب ما يليق بحاله ويناسبه، ويكون أقرب لحصول المقصود منه».

ومن الأدلة على تطلب فقه الواقع قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «البصيرة: العلم والإيمان».

ومن أعظم ما ينبغي عليك فقهه من واقعك أن تعرف فضل الطاعة عليك وبركتها في بدنك وعقلك ورزقك خصوصًا توحيد الله، قال النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو غلام<sup>(٢)</sup>: «احفظ الله يحفظك»، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه؛

(١) تيسير اللطيف المنان ص (٣٧٩، ٣٨٠).

(٢) رواه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح. وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «ذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال، فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة». جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٥).

حفظه الله؛ فَإِنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ﴾ [محمد: ٧].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خَلُّوا عنه.

ثم قال ابن رجب متمماً<sup>(١)</sup>: «النوع الثاني من الحفظ - وهو أشرف النوعين - : حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفَّاه على الإيمان».

ومنة الله على المسلمين بسبب إيمانهم وتوحيدهم واقع يشاهده المسلمون، فما يصيب الكفار من النكبات والكوارث ينادي على شوْم الكفر والشرك والمجاهرة بالفواحش على أهله، وما يحفظ الله به المسلمين وديارهم بسبب إيمانهم ويدراً عنهم الأخطار بسبب إيمانهم فيه زيادة تثبيت لأهل الطاعة والتوحيد، وتحذير لأهل المعصية والتقصير.

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٦٨).

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله شيء يرجون أن يعطيهم الله به خيراً أو يدفع عنهم به سوءاً إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئاً».

ومنطوق هذا الواقع الذي يعيشه المؤمنون تجده واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup> «﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ الذي تولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته، وإنما تولاهم بسبب أعمالهم الصالحة، ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاهم، بخلاف من أعرض عن مولاه واتبع هواه، فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه».

ولتعرف قدر منة الله على عباده المؤمنين بسبب إيمانهم وتوحيدهم فانظر كيف متّعهم الله بعقولهم، وأضل الكافرين عن أوضح المعارف وهو توحيد الله وإن استعملهم في معرفة أنواع الصناعات، فعقل يتول بصاحبه إلى النعيم السرمدى والفوز العظيم لا ريب أنه خير من عقول يتول بأصحابها إلى جهنم وبئس المصير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «كل من استقرأ أحوال العالم

(١) رواه أبو داود في كتاب الزهد (ص ١٥٩ - رقم ١٥٠)، بإسناد صحيح.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٤).

وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلاً، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين، وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

ومن أهم ما ينبغي على عموم الناس معرفته هو حقيقة ما في الذنوب من الشرور، فإن النار حُفَّت بالشهوات كما قاله النبي ﷺ، رواه مسلم، وفي بعضها من اللذات المحرّمة ما يوقع فيها، وفيها من الشرور والسموم ما ينبغي معرفته واستحضاره لمحاذرتة، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن لذات الذنوب لا نسبة إلى ما فيها من الآلام والمفاسد البتة؛ فإن لذاتها سريعة الانقضاء، وعقوباتها وآلامها أضعاف ذلك، ولهذا قيل: «إن الصبر على المعاصي أهون من الصبر على عذاب الله».

وقيل: «رُبَّ شهوةٍ ساعةٍ أورثت حزنًا»، وما في الذنوب من اللذات كما في الطعام الطيب المسموم من اللذة، مغمورة بما فيه من المفسدة، ومؤثر لذة الذنب كمؤثر لذة الطعام المسموم الذي فيه من السموم ما يمرض أو يقتل.

ومن هاهنا يُعلم أنه لا يُؤثر لذات الذنوب إلا من هو جاهل بحقيقة عواقبها، كما لا يُؤثر أكل الطعام المسموم للذّته إلا من هو جاهل بحاله أو

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/٧٩٦).

غير عاقل، ورجاؤه التخلص من شرها بتوبةٍ أو عفوٍ أو غير ذلك كرجاء آكلِ الطعام المسموم الطيب للخلاص من شرِّ سُمِّه بعلاجٍ أو بغيره، وهو في غاية الحمق والجهل، فقد لا يتمكنُ من التخلص منه بالكلية، فيقتله سمّه، وقد لا يتخلص منه تخلصاً تامّاً فيطول مرضه، وكذلك المذنبُ قد لا يتمكنُ من التوبة، فإنَّ من وقعَ في ذنبٍ تجرّأ على غيره، وهان عليه خوضُ الذنوبِ، وعَسَرَ عليه الخلاصُ منها، ولهذا قيل: «من عقوبة الذنب: الذنبُ بعده».

وقد دلَّ على ذلك القرآن في غير موضع، وإذا قُدِّرَ أنه تاب منه فقد لا يتمكنُ من التوبة النصوح التي تمحو أثره بالكلية، وإن قُدِّرَ أنه تمكن من ذلك، فلا يقاومُ اللذة الحاصلة بالمعصية ما في التوبة النصوح المشتتة على الندم والحزن والخوف والبكاء وتجشم الأعمالِ الصالحة، من الألم والمشقة، ولهذا قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «تركُ الذنبِ أيسرُ من طلبِ التوبة»، ويكفي المذنبُ ما فاتته في حال اشتغاله بالذنوب من الأعمالِ الصالحة التي كان يمكنه تحصيل الدرجاتِ بها».

والعلم لا يُراد به الخطابة وشقشقة الكلام، بل يُراد به العلم الراسخ الذي يحصل به الخير في إصلاح عقائد المسلمين، وقد فرّق الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بين العلماء والخطباء، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنتم في زمان كثير قراؤه، قليل خطبائه، وسيأتي زمان كثير خطبائه، قليل قراؤه».

وصار القصاص والوعاظ والخطباء قادة الأمة في حشدها إلى الفتن والغوغائية والفوضى، إلا من عصم الله ممن عرف قدره، واستهدى بفتاوى كبار العلماء.

ومن فقه الواقع: الذي أخبر به النبي ﷺ ووقع قوله ﷺ في الحسن بن علي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الخبر أبلغ الرد على الرافضة الذين يكفرون معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفتته، ومن كفرهم فهو الكافر.

فالنبي ﷺ شهد بالإسلام لمعاوية والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حيث قال: «بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «ولعلَّ الله»، لعلَّ هذه إما أن تكون للترجي أو للتوقع، وأي كان فقد وقع الأمر كما ترجى أو كما توقع النبي ﷺ، فأصلح الله به بين المسلمين؛ لأنه في النهاية تنازل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فانطفأت الفتنة، فأصلح الله به بين المسلمين، وصدق توقع الرسول ﷺ.

وكذلك أخبرنا النبي ﷺ بأن أمر الأمة سيكون عزيزاً ما ولي اثنا عشر خليفة، رواه البخاري، والرافضة تعيَّنه فيمن تعتقد إمامتهم، والواقع عيَّن أن المراد بهم الخلفاء الراشدين الأربعة وخلفاء بني أمية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>: «وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله

أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (ص: ١٢٢٥، رقم: ٧١٠٩).

(٢) شرح صحيح البخاري (٧/٥٨٩).

(٣) منهاج السنة (٨/٢٣٨).

من النقص ما هو باقٍ إلى الآن، فإن بني أمية تولّوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزاً».

وقال أيضاً في مطابقة الحديث لواقع خلفاء بني أمية<sup>(١)</sup>: «فإنهم استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين، وكانت جيوشهم جيشاً بالأندلس يفتحه، وجيشاً ببلاد الترك يقاتل القان الكبير، وجيشاً ببلاد العبيد، وجيشاً بأرض الروم، وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزاً في جميع الأرض، وهذا تصديق ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «لا يزال هذا الدين عزيزاً ما تولّى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»».

وقال أيضاً<sup>(٢)</sup>: «ومن ظن أن هؤلاء الاثني عشر هم الذين تعتقد الرافضة إمامتهم؛ فهو في غاية الجهل؛ فإن هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلا عليّ ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومع هذا فلم يتمكن في خلافته من غزو الكفار».

وقال أيضاً<sup>(٣)</sup>: «فالإسلام عند الإمامية هو ما هم عليه، وهم أذلّ فرق الأمة، فليس في أهل الأهواء أذلّ من الرافضة، ولا أكرم لقوله منهم، ولا أكثر استعمالاً للتقية منهم، وهم - على زعمهم - شيعة الاثني عشر، وهم في غاية الذل، فأى عز للإسلام بهؤلاء الاثني عشر على زعمهم».

وأخبرنا الله كذلك بواقع الدنيا وحقيقة زخرفها ومآلها السريع إلى الفناء، وأن الفقهاء بحقيقة واقعها هم الذين اتخذوها حرثاً للدار الآخرة بالإيمان والعمل الصالح، وأن الغافلين فتنوا بها عن الآخرة فغرّتهم الحياة الدنيا، وغرّتهم

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٤٠-٢٤١). (٢) منهاج السنة (٨/ ٢٤١). (٣) منهاج السنة (٨/ ٢٤٢).

أمانها وزخرفها، فشغلتهم عما أمروا به من عبادة الله وتوحيده وطاعته.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَمَا هِيَ عَلَيْهِ، وَيَبَيِّنُ غَايَتَهَا وَغَايَةَ أَهْلِهَا، بِأَنَّهَا ﴿لَعِبٌ وَهَوٌّ﴾: تَلْعَبُ بِهَا الْأَبْدَانُ وَتَلْهُو بِهَا الْقُلُوبُ، وَهَذَا مُصَدِّقُهُ مَا هُوَ مُوجُودٌ وَوَاقِعٌ مِنْ أَوْلَادِ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ قَطَعُوا أَوْقَاتَ عُمْرِهِمْ بَلْهَوِ قُلُوبِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَمَّا أَمَامَهُمْ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَتَرَاهُمْ قَدْ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا، بِخِلَافِ أَهْلِ الْيَقِظَةِ وَعُمَّالِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مَعْمُورَةٌ بِذِكْرِ اللَّهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَقَدْ شَغَلُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ النِّفَعِ الْقَاصِرِ وَالْمُتَعَدِّيِّ.

وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾، أي: تزيين في اللباس والطعام والشراب والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾، أي: كلُّ واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبِّي الدُّنْيَا والمطمئنين إليها، بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرًا، ولم يجعلها مستقرًا، فنافس فيها

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ١٧٨١ - ١٧٨٢).



يقرُّبه إلى الله، وأتخذ الوسائل التي توصله إلى دار كرامته، وإذا رأى من يكاثره وينافسه في الأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للعالم مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار الذين قصرُوا نظرهم وهمهم على الدنيا، جاءها من أمر الله ما أتلّفها، فهاجت ويست وعادت إلى حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء ولا رُئي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها، وجد أبوابه مفتحة؛ إذ أصابها القدر، فأذهبها من يده، وأزال تسلّطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزوّد منها سوى الكفن، فتبّاً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع ويُدّخر لصاحبه ويصحّب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: حال الآخرة ما يخلو من هذين الأمرين».

وكذلك أخبرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ بأحوال قلوبنا، فقال النبي ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف شاء». متفق عليه، وكان النبي ﷺ يكثر أن يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

وتقليب القلوب له أسبابه بلا ريب، منها رد الحق وعدم قبوله كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَقْدَاتِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وأساس ميل القلوب وزيغها يأتي من الإعراض عن هدي الله ووحيه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

والقلب ترد عليه واردات الشهوات والشبهات كما جاء في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعرض الفتن على القلوب كعرض العود على الحصير عودًا عودًا»، رواه مسلم.

وواردات الشبهات أخطر؛ فبعضها كفر وإلحاد، كما قال النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم يقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول له: من خلق الله؟! فإذا وجد أحدكم ذلك فليستعد بالله من الشيطان وليتته». رواه البخاري.

وصلاح القلب هو الأساس؛ لأنه الملك الذي تأتمر الجنود بأمره، قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». رواه البخاري.

فالقلب تعرض له واردات في كل يوم لو لم يجاهد المسلم نفسه على حفظ إيمانه، وإلا ذهب دينه إلا أن يشاء الله؛ قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: «اعلم أن الإخلاص ليس بالأمر السهل، الإخلاص من أصعب ما يكون، حتى إن بعض السلف يقول: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص. ولهذا كان النبي ﷺ يستعيز بالله أن يشرك بالله وهو يعلم ويستغفره لما لا يعلم، فالشرك أخفى من ديب النمل على الصخرة السوداء،

(١) تفسير سورة المائدة (٢/١٦٨، ١٦٩).

لذلك يجب على الإنسان دائماً أن يغسل قلبه من أدران الشرك، ويتفقدته حتى لا يقع فيه وهو لا يعلم».

فالقلب هو الملك الذي تأتمر بأمره الجوارح، كما جاء في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها، وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح، فلم تنبث إلا إلى طاعة الله واجتناب سخطه، ففقت بالحلال عن الحرام».

وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها وانبعثت في معاصي الله عَزَّجَلَّ وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال، بل أسرع في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق، فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليماً عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه، ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته، ومحبة ما يحبه الله وإرادة ذلك، وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه».

والقلب الفاسد: هو القلب الذي فيه الميل إلى الأهواء المضلة والشهوات المحرمة، وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن اتباع هوى النفس، فالقلب ملك الجوارح وسلطانها، والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة

لأمره، فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المتقادة لأوامره، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له المتقادة لأوامره ونواهيها.

والقلوب ثلاثة، قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «فجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا، المفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي، والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه، الخاضع له، المستسلم المتقاد.

وذلك أن القلب - وغيره من الأعضاء - يراد منه أن يكون صحيحا سليما لا آفة به؛ ليتأتى منه ما هئى له وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ليسه وقساوته، وعدم التأتي لما يراد منه، كاليد الشلاء، واللسان الأخرس، والأنف الأخشم، وذكر العينين، والعين التي لا تبصر شيئا، وإما بمرض وآفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال، ووقوعها على السداد، فلذلك انقسمت القلوب إلى هذه الأقسام الثلاثة:

فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له.

(١) إغاثة اللفهان (١/٤٦، ٤٧).

والقلب الميت القاسي: لا يقبله ولا ينقاد له.

والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه، التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته، التحق بالسليم.

فما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب السليم الحي؛ لأنه يردُّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له، وكفرًا بالباطل وكراهة له، فلا يزال القلب المفتون في مِرْيَةٍ من إلقاء الشيطان، وأما القلب الصحيح السليم، فلا يضره ما يلقيه الشيطان أبداً».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «كان خيار الأمة والمعتنون بالإيمان منهم يتعاهدون إيمانهم كل وقت ويجتهدون في زيادته وتقويته، وفي دفع المعارضات المُنْقِصَةِ له، ويجتهدون في ذلك، ويسألون الله أن يثبت إيمانهم، ويزيدهم منه من علومه وأعماله وأحواله».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «في هذا المقام أدعوكم إلى مراقبة القلوب ومتابعتها؛ فإنها أشد من متابعة الجوارح، فمتابعة الجوارح تفسد الصلاة وتعيدها - مثلاً -، تترك واجباً في الحج وتفديه دم، لكن القلوب هي المشكلة - نسأل الله لنا ولكم الإيمان والثبات -، فيجب على

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص (٥٧).

(٢) شرح صحيح البخاري (٧/٥٦٧، ٥٦٨).

الإنسان أن يلاحظها، ولا تنزع الأمانة والإيمان من قلبه بل يلاحظ دائماً، ويسأل الله الثبات، ويأتي بالأعمال الصالحة؛ لأنها مثل سقي الشجرة، فالشجرة إذا يبست من قلة الماء فإنها تذبل، وتبدأ أوراقها تتساقط، فإذا أتى إليها بالماء ورواها عادت خضرتها وانتعشت، فالأعمال الصالحة بمنزلة سقي الماء للأشجار، فعليك بهذا، إذا رأيت من قلبك فتوراً أو ضعفاً ففوّ ذلك بالأعمال الصالحة».

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وتغيرات القلب تغيرات سريعة وعجبية، ربما ينتقل من كفر إلى إيمان، أو من إيمان إلى كفر في لحظة، نسأل الله الثبات؛ وتغير القلب يكون على حسب ما يحيط بالإنسان، وأكثر ما يوجب تغير القلب إلى الفساد حب الدنيا، فحب الدنيا آفة، والعجب أننا متعلقون بها، ونحن نعلم أنها متاع الغرور، وأن الإنسان إذا سرّ يوماً أسياً يوماً آخر، كما قال الشاعر:

ويوم علينا ويوم لنا  
ويوم نساء ويوم نسر

كل لذة في الدنيا فهي محوطة بمنغص، لذلك احرص على تطهير القلب من التعلق بالدنيا إلا فيما ينفعك في الآخرة، كأن تتعلق بالدنيا لتصبح غنياً تنفق مالك في سبيل الله وفيما يرضي الله عَزَّجَلَّ، فهذا شيء آخر، وطلب المال للأعمال الصالحة خير، لكن طلب المال لمزاحمة أهل الدنيا في دنياهم شر».

(١) تفسير سورة الحديد، ص (٣٧٣، ٣٧٤).

وكذلك أخبرنا الله بطبيعتنا - طبيعة الإنسان -؛ لنكون فقهاء بواقعنا حتى نتعامل مع أنفسنا بمقصود خلقها؛ فإن الله أخبرنا أن النفس أمارة بالسوء، وأنها لوامة، وأن الإنسان بطبيعته عَجَلٌ وَجَزَعٌ وَجَاهِلٌ وَظَالِمٌ، كل هذا لنسوس أنفسنا بما يصلحها؛ لترتاض على الخير والطاعة والعدل والطمأنينة، فإذا ارتاضت على الخير وصار ذلك ملكةً لها صارت نفساً مطمئنة، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يقال النفوس ثلاثة أنواع:

وهي: «النفس الأمارة بالسوء»، التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي.

و«النفس اللوامة»، وهي التي تذب وتذب، فعلها خير وشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر.

و«النفس المطمئنة»، وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده، وتبغض الشر والسيئات، وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقاً وعادة وملكة. فهذه صفات وأحوال لذات واحدة، وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه».

وقال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، قال العلامة عبد الرحمن

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٧/ ١١، ١٢).

السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت لوامة لكثرة تلونها وترددها، وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه من تفريط، أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة».

وما دام بنو آدم خطائين، وخير الخطائين التوابون فحقيق بكل مسلم أن يسعى في صلاح قلبه وحميته وصقله كذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور، ويزداد هدى، فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك، فيتوب مما تركه وفعله، والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب، كما قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زيد فيها حتى تعلق قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «إن العباد لا بد لهم من سيئات، ولا بد في حياتهم من تقصير، فلولا عفو الله لهم عن السيئات، وتقبله أحسن ما عملوا لما استحقوا ثواباً، ولهذا قال ﷺ: «من نوقش الحساب عُدب». قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/١٩١٠).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٦/٤٨٤).

(٣) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٦/٤٨٩).



قال: ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عُدِّبَ».

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بحال من نخالط لنعرف كيف نتعامل معه بما يقتضيه واقعه، من ذلك ما أخبرنا من شأن المرأة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنْ أَعْوَجَ مَا فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَ تَقِيمَهُ كَسَرْتَهُ، فَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ أَعْوَجَ وَلَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقَةٍ».

قال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «المراد من هذا الحديث أن قوله: «خُلِقَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ ضَلَعٍ»، إشارة إلى أن أصل خلقها زائع عن الاستقامة، فلا ينبغي للرجل أن يحملها على عقله، فلا يكلفها مقتضيات كل رأيه، بل يستمتع بها في علم بما خُلِقَتْ عليه مستوصياً بها خيراً من حيث عرفانه بفضلها عليها في الرأي والعقل، فيكون في ذلك كالراحم لها، فيبني أمرها على المسامحة.

وقوله: «أَعْوَجَ مَا فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ»، يعني به فيما أراه: أن حنوّها الذي يبدو منها إنما هو عن عوج خُلِقَتْ فيها، وهو أعلى ما فيها من حيث الرفة على ذلك، فإن أعلى ما فيها الحنوّ، وذلك الحنوّ فيه عوج.

وقوله: «لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ»، يعني ﷺ: أنها كثيرة التلّون والتقلّب

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ص: ٥٥٣، رقم: ٣٣٣١).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/١٦٠).

في أي طريقة أردت من سلوكها لم تستقم عليها كل الاستقامة، وهذا ينصرف إلى الغالب منهم والأكثر فيهن، ولا يمتنع مع ذلك أن تبرز فيهن الصالحات الحافظات بالغيب بما حفظ الله».

وقال النبي ﷺ عن النار: «عامه من يدخلها النساء». ويين سبب ذلك بقوله: «تكفرن العشير».

فهذا إعلام للمرأة بطبيعة حالها حتى لا تسترسل معها وتزم نفسها بزمam العدل وتقهرد داعي خلقتها بتهديب أخلاقها كما أمرها ربها، فتترك كفران العشير، وتترك اللعن.

وكذلك أخبرنا الله بواقع نفوسنا من المسارعة بالدعاء على أنفسنا بالبشر كأننا نسارع في الدعاء بالخير.

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يتسرع إلى ما لم تحمله نفسه عليه وطمعه إليه، من غير نظر في العواقب.

والمعنى: أن الله تعالى يرحمهم فلا يستجيب لهم ما يدعونه في حالة الغضب». وكذلك أخبرنا بشأن أنفسنا وما جبلنا عليه من الشره في حب الدنيا؛ لنكبح جماح أنفسنا حتى تعتدل عن الطمع الذي يوقع في طلب المال من غير حله، أو الانشغال به عن أداء حق الله.

قال النبي ﷺ: «لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»<sup>(١)</sup>.

وفي قوله ﷺ: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»، بيان أن طمع الإنسان لا حد له.

وكان النبي ﷺ يعظ أصحابه بما يكسر شره ما جُبلت عليه النفوس؛ لتعتدل في أخذها المال، فلا تتبعه نفوسهم، ويكون في أيديهم لا في قلوبهم، فقد قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان الذي يأكل ولا يشبع»<sup>(٢)</sup>.

ومن فقه الواقع: الذي أخبرنا به النبي ﷺ تغير أحوال الراعي والرعية، فقد قال النبي ﷺ: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال (ص ١١٧ - رقم ٦٤٣٦)، ومسلم كتاب الزكاة باب «لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً» (ص ٤٢١ - رقم ٢٤١٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال (ص ١١٧ - رقم ٦٤٣٦)، ومسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (ص ٤١٧ - رقم ٢٣٨٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (ص ١٢١٩ - رقم ٧٠٦٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص ٦٠٤ - رقم ٣٦٠٣). ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول (ص ٨٢٨ - رقم ٤٧٧٥).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلامات ميتة جاهلية».

وهذه نصوص الوحي المعصوم، فالله عزَّجَلَّ أعلم بالأصلح لعباده، ولا يأمر الله سبحانه ورسوله ﷺ إلا بالذي هو خير للعباد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «إن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم - هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد».

فالصبر على جور الولاة كلمة إجماع من أهل السنة والجماعة دونوه في مصنفاتهم في العقيدة؛ قال أبو بكر الإسماعيلي حاكياً إجماع أهل السنة في اعتقادهم<sup>(٣)</sup>: «ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم».

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٤)</sup>: «ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيث».

ولم يقل أحد بالصبر على جور الولاة تبريراً له، حاشا وكلا، ولكنهم

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (ص ١٢٢٩ - رقم ٧١٤٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (ص ٨٣١ - رقم ٤٧٩٠).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٥٣١).

(٣) شرح اعتقاد أئمة الحديث، ص (٤٧١).

(٤) عقيدة السلف، ص (٢٩٤).

قالوا: إن لزوم الجماعة تنتظم بها مصالح المسلمين، وفي الخروج عليهم تعم المفسدة، فتراق الدماء، وتنقطع السبل، وتستباح الحرمات، وفي ذلك من المفسد ما هو أعظم من جور الولاية.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «إن الناس لا يصلحهم إلا إمام برُّ أو فاجر، إن كان فاجرًا عبد المؤمن فيه ربه، وحمل الفاجر إلى أجله».

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «وأما أهل الحق وهم أهل السنة، فقالوا: هذا هو الاختيار: أن يكون الإمام فاضلاً عدلاً محسناً، فإن لم يكن، فالصبر على طاعة الجائرين من الأئمة أولى من الخروج عليه؛ لأنه في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، ولأن ذلك يحمل على هراق الدماء، وشن الغارات، والفساد في الأرض، وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه، والأصول تشهد والعقل والدين أن أعظم المكروهين أو لاهما بالترك».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «إن النبي ﷺ شرع لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ﷺ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله ﷺ - فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاية بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر؛ وقد استأذن

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٨٣.

(٢) فتح البر بترتيب التمهيد لابن عبد البر (١/١١١).

(٣) إعلام الموقعين (٣/١٥، ١٦).

الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا، ما أقاموا الصلاة».

وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعنَّ يداً من طاعة».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رأها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت وردّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء».

فالتغيير واقع من الراعي والرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ متحدثاً عن الفئتين<sup>(١)</sup>: «ونحن لا نقول: إنهم كانوا سالمين من المظالم والذنوب. كما لا نقول: إن أكثر المسلمين كانوا سالمين من ذلك».

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل».

(١) منهاج السنة (٤/١١٣، ١١٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٤٣).

فالشأن إذاً أن نسعى في صلاح أنفسنا ومجتمعاتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وأن ننظر في تزامم الشرور فلا نوقع في الأمة شرّاً أعظم من الشر الذي كانت تحتمله، وتأمل هذا الأصل العظيم الذي نطق فيه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في وقته الذي أكره فيه الخلفاء العلماء والرعية على بدعة مكفرة وهي القول بخلق القرآن.

قال أبو الحارث الصائغ<sup>(١)</sup>: «سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ في أمر كان حدث ببغداد، وهم قوم بالخروج، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟

فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله! الدماء! الدماء! لا أرى ذلك، ولا أمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه - يعني أيام الفتنة -؟!

قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان، فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمّت الفتنة وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك».

ومن فقه الصحابة في معاملة الولاة صبرهم على جورهم، قال الزبير بن عدي: أتينا أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج،

(١) السنة للخلال (١/١٣٢، ١٣٣).

فقال<sup>(١)</sup>: «اصبروا؛ فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم». سمعته من نبيكم ﷺ. قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «في هذا دليل على حال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وأنهم هم الفقهاء، وليسوا القراء، فإنه لما شكوا إليه ما يجدون من الحجاج - والحجاج معروف بظلمه وعدوانه وقتله بغير حق - لم يقل لهم اخرجوا فاقتلوه أو اغتالوه، أو ما أشبه ذلك. بل قال: اصبروا. وهذا هو هدي النبي ﷺ، وهدي السلف الصالح، قال النبي ﷺ لأصحابه: «إنكم ستلقون بعدي أثرة»، أي: استثناءً عليكم في كل شيء، «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، أما ما يفعله بعض الناس من النزعات التي تخالف هدي السلف إذا رأوا شيئاً، قالوا: اخرجوا في مظاهرات، واغتيالات إذا أمكنكم، واستنكارات وما أشبه ذلك مما يفرع الأمة ويصدها عما هي بصده، كما يجري في بعض الأحيان، حيث تجد إذا حدثت مسألة من المسائل ثارت فيها همم الشباب، وصاروا لا يتكلمون إلا بها، واشتغلوا بها عما هو أهم بكثير منها، وفرقت أفكارهم، وفرقت آراءهم، وتشتت شملهم على غير فائدة».

وقال: «وهذا لا شك أنه خلاف هدي السلف، ونحن لا نقول: إننا نقر الباطل. لكن نصبر عليه، فالشيء الذي لا يمكننا إصلاحه وليس في إمكاننا إصلاحه يجب أن نصبر عليه، وأن نسلك طرقاً أخرى غير الكلام والفوضى».

(١) رواه البخاري كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه (ص ١٢١٩، رقم ٧٠٦٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (٧/ ٥٥٣ - ٥٥٤).



والنزاع إلى التشتت والتفرق؛ فإن هذا لا شك ضرره أكثر بكثير من خيره إن كان فيه خير، فهذا أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماذا قال لأصحابه لما شكوا إليه؟ قال: اصبروا.

والأمور لا تدوم، وقبله النبي ﷺ قال لأصحابه: «اصبروا»، وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإن من نزع يده من طاعة فمات فميتته جاهلية».

فالحاصل: أن هذه المسألة في زماننا الآن ربما تُحدثُ فوضىً كثيرة، ضارة للشباب وللمجتمع من كونهم يتحدثون بما يحصل من الأمور التي لا يُقرُّ عليها، لكن الواجب علينا نحو هذا الأمر الصبر ومعالجة الأمور بالحكمة دون أن نجعلها على بساط البحث في كل مكان وفي كل مجلس، حتى نتلَّهَى بها عن أمور نحن بصددنا أكبر وأهم.

والشباب إذا نزع هذه النزعة ثقوا بأنه تُنزع بركة علمه، مثل أن يكون همّه أن يكون ثائراً على الأوضاع التي عنده وعلى الولاة الذين عنده، لكن إذا كان همّه في الحقيقة العلم وإرساخه في قلبه ومعالجة الأمور بالحكمة دون الإثارة - حصل على خير كثير.

ولو سألت هؤلاء الأخوة الذين لديهم هذه النزعة عن مسائل العلم التي يفهمها أدنى طالب علم لم تجد عندهم فيها خبراً ولا وقفوا فيها على علم.

ولكن ليس معنى هذا أننا نقول: ألا يوجد غيرة في قلوبكم؟! لا، فهذا خطأ؛ لأن هناك فرقاً بين أن يكون هناك غيرة في قلبه، ويتحسر لما يحصل ويصبر ويسأل الله الفرج، وبين إنسان عنده غيرة لكن يثور ويجعل هذا الأمر

حديث مجالسه وشغل فكره، فإن هذا ينقصه خير كثير».

ومن فقهه السابقين في الواقع مذاكرة مآلات وعواقب وشرور الفتن والخروج على الولاية بعد مضيها؛ ليزدادوا بصيرة بشرورها فيجتنبوها مستقبلاً، وليعرفوا قدر العلماء الراسخين فيهم فيشكروا لهم ما كان منهم من النصيحة لله ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا موسى بن إسماعيل عن جعفر، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: لقيتُ معبداً الجهني بمكة بعد ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل الحجاج في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والناس لم أر مثل الحسن، يا ليتنا أطعناه. كأنه نادى عليّ قتاله الحجاج<sup>(١)</sup>.

ومن فقهه الواقع معرفة ما يحصل من التمكين والاستخلاف لمن أقام شرع الله؛ لأن هذا وعد من الله، والله لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، ومتى ضيع الناس شرع الله أصابهم من الذل وتسلط الأعداء بحسب ما أضاعوا من شرع الله، كما قال النبي ﷺ: «وجعل الذلُّ والصغار على من خالف أمري»<sup>(٢)</sup>.

والصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لما أقاموا شرع الله استخلفهم الله وملكهم مشارق

(١) التاريخ الأوسط للبخاري (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٢) علقه البخاري، وهو في مسند أحمد (٢/ ٥٠)، (٢/ ٩٢).

الأرض ومغاربها، قال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن هذا وعد من الله عزَّجَلَّ لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء في الأرض أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم لفظاً ومعنى، والوعد من الله متحتم الوقوع على ما سأوضحه في هذا المجموع، فقد فعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك وله الحمد والمنَّة، فإن رسول الله ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة، وخيبر، والبحرين، وسائر الجزيرة العربية، وأرض اليمن بكماها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، والمقوقس صاحب مصر والإسكندرية، وملوك عمان، والنجاشي الذي تملك بعد أصحمة رَحِمَهُ اللهُ وأكرمه، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختاره الله لما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفة أفضل الأمة بعده، وكان أول من أسلم من الرجال على التحقيق أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بُويع في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ثم بُويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم وذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر، فلمَّ شعث ما وهى عند موته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأطدَّ جزيرة العرب ومهدها، وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً منها، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أرض مصر ففتح

(١) التماس السعد في الوفاء بالوعد (ص ٣٨-٤٥).

الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقها من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عزَّجَلَّ واختار له ما عنده، وذلك وهو موسوم في مساء يوم الاثنين لثمان بقين من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنتين ودون أربعة أشهر، ومنَّ الله على الإسلام وأهله بأن أهم الصديق أن يستخلف عمر بن الخطاب الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبُويع له يوم مات أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنص أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عليه، فقام بالأمر بعده قيامًا تامًّا لم يدر الفلك بعد الأنبياء - عليهم السلام - وصاحبه على قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى، وأهانه غاية الإهانة، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر، وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز إلى قسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ، إلى أن قُتل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ودُفن في يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين ونصف سنة، وهو أول خليفة تسمَّى بأمر المؤمنين، قال بعض السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حق في كتاب الله. ثم تلا هذه الآية<sup>(١)</sup>، وروينا في الحادي عشر من المجالسة عن ابن قتيبة أنه قال: هذه الآية شاهدة لخلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ خَلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: بعد النبي ﷺ، والمراد بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا الخائفين في صدر الإسلام وقبل الهجرة والمستضعفين،

(١) وهي قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

ثم وجدوا بعد هذا جميع ما وعدهم الله به من النصر والظفر والظهور والعز، ثم لما كانت الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، فتحت بلاد الغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس، وقبرص، وبلاد القيروان، وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقُتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخُذِل مَلِكُهُم الأَعمش خاقان، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذلك ببركة تلاوته وجمعه الأمة على حفظ القرآن وتلاوته، وكانت خلافته بإجماع الصحابة بعد موت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المحرم سنة أربع وعشرين، وقُتل بعد عصر الجمعة من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين، وكانت خلافته دون اثنتي عشرة سنة بأيام وبُويع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة بعده، وبما تقدم ظهر قوله ﷺ الذي ثبت في الصحيح: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»، وقوله ﷺ لعدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين وفد عليه: «أتعرف الحيرة؟»، قلت: لم أرها، وقد سمعت بها. قال: «فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز». قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: «نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد». قال عدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(١) عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله ﷺ قد قالها». ومن فقه الواقع: بيان كمال هذه الشريعة وصلاحها لكل زمان ومكان، والخير كله في لزومها كما قال الله عز وجل: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

فالواقع أكبر دليل على حصول الكرامة والعز والسعادة والنصر لمن أقام شرع الله، والشقاء وفساد الأحوال والصغار لمن كفر برب العالمين، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «لم يخطر بقلوب أكثرهم أن محاسن الدين الإسلامي فاقت بكمالها وجمالها وجلالها كل شيء، وأن محاسن غيرها - إن فرض فيه محاسن - فإنه يتلاشى ويضمحل إذا قيس بنور الدين وعظمته وبهائه، وإنه الطريق الوحيد إلى صلاح البشر وسعادتهم، ومحال أن تحصل السعادة بدونه.

أما سعادة الدين فواضح لكل أحد منصف، وأما سعادة الدنيا فإن الأمور المادية المحضبة إذا خلت من روح الدين فإنها شقاء على أهلها ودمار.

والمشاهدة أكبر شاهد على هذا، فإن أمور المادة قد ارتقت في هذه الأوقات ارتقاءً هائلاً يعجز الفصيح عن التعبير عنه، ومع ذلك فهل عاش هؤلاء مع أنفسهم ومع غيرهم ومع بقية الأمم عيشة سعيدة هنيئة طيبة؟ أم الأمر

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٩٧/٢٢).

بالعكس؟ وما يخرجون من طامة إلا تلتفتهم طامة أكبر منها، ولا خلصوا من كوارث وعذاب إلا دخلوا في عذاب أفظع منه!

ولا ينجيهم - والله - من هذا غير الدين الصحيح، وسيعلمون ويعلم غيرهم عواقبهم الوخيمة».

وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «ليس كل حاكم كاملاً في العقل والفهم والنظر حتى يُدرك جميع الأحكام بنظره، واجتماع جماعة من العقلاء لوضع القوانين لا يكفي؛ لقصر نظرهم، واحتمال ميلهم وتعصُّبهم، ولأن غالب القوانين تختلُّ الحكمة المقصودة منها في كثير من الجزئيات الداخلة فيها؛ فأما القوانين الشرعية فإنها يؤمن الغلط والميل والعصبية فيها، ويمثلها المتدينون تدينًا، ويقبلونها طيبةً أنفسهم منسرحة صدورهم؛ لأنهم يرون القبول خيرًا لهم في دينهم ودنياهم، ويلتزمونها غالبًا بدون إزام حاكم، لا فرق في ذلك بين قوَّيهم وضعيفهم».

على كل حال فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية الناس للتي هي أقوم وصيانتهم عن تجربة الأوضاع والرسوم والأحكام التي قد يكون فيها ضلال الخلق وضياع مصالحهم، ناهيك أنه لا يجوز التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ لأي سبب من الأسباب.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٠٦ هـ) في فوائد

(١) مجموع رسائل العقيدة المطبوع ضمن آثار العلامة عبد الرحمن المعلمي (٦/٧٢، ٧٣).

البعثة<sup>(١)</sup>: «إن من الأمور ما لا يستقل العقل بمعرفته، فاقضى ذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب.

ولأن الإنسان مدني بالطبع، والاجتماع مظنة التنازع المفضي إلى التقاتل فلا بد من شريعة يفرضها الشارع؛ لتكون مرغبة في الطاعات وزاجرة عن السيئات.

ولأنه لو فوض الأمر إلى الخلق لأتى كل طائفة بوضع خاص، ثم أخذوا يتعصبون لها فيفضي ذلك إلى الفتن، أما وضع الشريعة فينافي ذلك ما يفعله الناس مما هو من عاداتهم لا يكون معظمًا في القلوب كأحكام الشريعة.

والعقول متفاوتة والكمال نادر، والأسرار الإلهية عزيزة جدًا، فلا بد من بعثة الأنبياء، وإنزال الكتب عليهم، إيصالًا لكل مستعد إلى منتهى كماله الممكن له، بحسب شخصه».

وقال أيضًا العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهذا يشمل الكمال من كل وجه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، أي: أكمل وأتم وأصلح من العقائد والأعمال والعبادات والمعاملات والأحكام الشخصية، والأحكام العمومية.

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ص (٥١٠ - ٥١٦) باختصار.

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٢/١٩٨، ١٩٩).



وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وهذا يشمل جميع ما حكم به، وأنه أحسن الأحكام وأكملها وأصلحها للعباد، وأسلمها من الخلل والتناقض، ومن الشر والفساد، إلى غير ذلك من الآيات البيّنات العامة والخاصة.

أما عقائد هذا الدين وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، فقد بلغت من الكمال والحسن والنفع والصلاح - الذي لا سبيل إلى الصلاح غيره - مبلغاً لا يتمكن عاقل من الريب فيه، ومن قال سوى ذلك فقد قدح بعقله، وبيّن سفهه ومكابرتة للضرورات.

وكذلك أحكامه السياسية ونظمه الحكمية والمالية مع أهله ومع غيرهم؛ فإنها نهاية الكمال والإحكام والسير في صلاح البشر كلهم، بحيث يجزم كل عارف منصف أنه لا وسيلة لإنقاذ البشر من الشرور الواقعة والتي ستقع إلا باللجوء إليه والاستئصال بظله الظليل، المحتوي على العدل والرحمة والخير المتنوع للبشر، المانع من الشر، وليس مستمداً من نظم الخلق وقوانينهم الناقصة الضئيلة، ولا حاجة به إلى موافقة شيء منها، بل هي في أشد الضرورات إلى الاستمداد منه؛ فإنه تنزيل العزيز العليم الحكيم العالم بأحوال العباد ظاهرها وباطنها، وما يصلحها وينفعها، وما يفسدها ويضرها، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وأعلم بأمورهم.

فشرع لهم شرعاً كاملاً مستقلاً في أصوله وفروعه، فإذا عرفوه وفهموه وطبقوا أحكامه على الواقع صلحت أمورهم، فإنه كفيلاً بكل خير.

ومتى أردت معرفة ذلك فانظر إلى أحكامه حكماً حكماً، في سياسة الحكم

والمال والحقوق والدماء والحدود، وجميع الروابط بين الخلق - تجدها هي الغاية التي لو اجتمعت عقول الخلق على أن يقترحوا أحسن منها أو مثلها تعذر عليهم واستحال».

ومن فقه الواقع: ما حذرنا به النبي ﷺ من الغلو والتطرف، وبين ﷺ أنه من أسباب الهلاك، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هلك المتنطعون»<sup>(١)</sup>، وأخبر كذلك بأن المتنطع سيتفسخ من الدين لا يستطيع الاستمرار على غلوه وتطرفه، وذلك لأن الدين يسر والغلو عنت وتنطع، فقال ﷺ: «لن يشاد الدين أحد إلا غلبه»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن المنير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع».

فالواجب على المسلم أن يكون مستقيماً على وسطية الإسلام لا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحزاب: ١٣]؛ قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٤)</sup>: «ضد الاستقامة انحرافان: انحراف إلى جانب الإفراط والغلو، وانحراف إلى جانب التفريط والتقصير، ولهذا كان الناس في دين الله عزَّجَلَّ ثلاثة أشكال: طرفان

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (ص ١١٦٢ - رقم ٦٧٨٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (ص ٩ - رقم ٣٩).

(٣) فتح الباري (١/ ١١٧).

(٤) تفسير جزء عم، ص (٨٤، ٨٥).

ووسط، طرف غالٍ مبالغٍ منتنعٍ متعنت، وطرف آخر مفرطٍ مقصرٍ مهمل.

الثالث: وسط بين الإفراط والتفريط، مستقيم على دين الله، هذا هو الذي يُحمد، أما الأول الغالي، والثاني الجافي، فكلاهما هالك.

هالك بحسب ما عنده من الغلو، أو من التقصير، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو والإفراط والتعنت والتنطع، حتى إنه قال: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، لأن التنطع فيه إشفاق على النفس، وفيه خروج عن دين الله عزَّ وجلَّ، كما أنه ذمَّ المفرطين المهملين، وقال في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢].

فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

وقصَّ الله علينا خبر نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما منَّ الله عليه من المعرفة بأحوال الإنس والجن والطيور والنمل، وجعل ذلك من جملة فضائله، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ وَالطَّيْرَ وَالْأَنْعَامَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٦، ١٧]؛ قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وقد أعطاه الله من الفهم ومعرفة أحوال الآدميين ما قص الله علينا نبأه في هذه القصة».

وكذلك أثنى الله على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تحقُّقه بعلم التوحيد، وحسن تدبير اقتصاد الدولة، ومعرفته بما يستقبله من أحوال الدولة في مستقبل السنوات المقبلة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ

(١) تيسير اللطيف المَنَّان في خلاصة تفسير القرآن، ص (٧٩٩).

الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي فَوَائِدِ قِصَّةِ يَوْسُفَ (١):  
«فضيلة العلم، علم الشرع والأحكام، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير  
والتربية، وعلم السياسة، فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما حصلت له الرفعة في  
الدنيا والآخرة بسبب علمه المتنوع».

وقد امتدح الفقهاء والعلماء من كان عارفاً بفقه النوازل، قال القاضي  
عياض في شأن خلف المعلم (٢): «كان عالماً بنوازل الأحكام».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ ممتدحاً شيخه شهاب الدين أبا هاشم  
الظاهر المعروف بابن البرهان (٣): «وكان كثير الإنذار لكثير مما وقع من الفتن  
والشور؛ لما جُبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس».

ومن فقه الواقع: تفقد الراعي لأحوال رعيته ومملكته، وقد قص الله علينا حزم  
نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى  
الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٤٠﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي  
رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٤١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ  
يَقِينٍ ﴿٤٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٤٣﴾  
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

(١) تيسير اللطيف المنان، ص (٣١٠).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٤٨٩).

(٣) المجمع المؤسس (٣/ ٧٤).

السَّبِيلِ فَهَمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَيْسَ جُودًا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٦﴾ [النمل: ٢١-٢٦].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: «إن تفقد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للطير وفقده الهدهد يدلُّ على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر الصغير».

وقال العلامة السعدي أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّنًا فوائد قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الهدهد في طلب فقه واقع الأمم<sup>(٢)</sup>: «ففي هذه المدة القصيرة جاء الهدهد بهذه المعلومات العظيمة، وأخبر سليمان عن ملك الديار اليمانية وأن ملكتهم امرأة، وأنها قد أعطيت من كل شيء يحتاج الملك إليه، وأن لها عرشًا عظيمًا، ومع فهمهم للملكهم وقوتهم فهم أَيْضًا دينهم، وأنهم مشركون يعبدون الشمس، وأنكر الهدهد عليهم غاية الإنكار.

هذا من الأدلة على أن الحيوانات تعرف ربها وتسبحه وتوحده، وتحب المؤمنين وتدين ربها بذلك، وتبغض الكفار المكذبين، وتدين الله بذلك».

ويحمد للراعي أن يجلس إلى رعيته ولا يحتجب عنهم، حتى يزداد علمًا بأحوال رعيته فوق ما يعرفه، فهذا من أسباب حسن رعاية الرعية، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي

(١) تيسير الكريم الرحمن ص (١٢٤٧).

(٢) تيسير اللطيف المنان، ص (٢٧٠).

مسئولة عن رعيته، والعبد راعٍ في مال سيده وهو مسئول عن رعيته».

قال الماوردي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٤٥٠ هـ)<sup>(١)</sup>: «إن الملك جدير أن لا يذهب عنه صغير ولا كبير من أخبار رعيته، وأحوال حاشيته، وسيرة خلفائه، والنائبين عنه في أعماله، بمداومة الاستخبار عنهم، وبث أصحاب الأخبار فيهم سرًّا وإعلانًا، ويندب لذلك أمينًا يوثق بخبره، وينصح الملك في مغيبه ومحضره، غير شره فيرثشي، ولا ذي هووى فيعتدي؛ لتكون النفس إلى خبره ساكنة، وإلى كشفه عن حقائق الأمور راكنة، فإنه لا يقدر على رعاية قوم تخفى عنه أخبارهم، وتنطوي عنه آثارهم، فربما ظن استقامة الأمور بتمويه الحق به، فأفضى ذلك إلى هلاك رعيته، وانتهاز العدو فرصة غفلته، واستثار من وهج ناره وشره ما عساه يصعب، بعد أن كان سهل المرام، ويقوى بعد أن كان ضعيف القوام.

وإذا كان باحثًا عن الأخبار انكشف له غطاء الغفلة، وانجلت عنه شُبه الحيرة، فساس الأمور ببصيرته، وحرس الرعية بإيقاظ عزيمته، وتهيب أعوانه فعل الجرائر فاستقاموا وتجنبوا قبح المطالب فانصانوا.

وتكون عنايته بأخبار من بعد عن حضرته كعنايته بأخبار من قرب منها، بل ربما كان ذلك أهم؛ لأن بعد الديار يبسط أيدي الظلمة، فإذا وافق بعد دارهم قلة الاستخبار عن أحوالهم، أمنوا في اتباع أهوائهم، وسكنوا إلى الغفلة عن أفعالهم، فكانت أيديهم مبسوطة في الرعايا، وأهواؤهم محكمة في القضايا، فربما أفضى ذلك إلى فساد نياتهم في الطاعة؛ لقبح آثارهم، وسوء أفعالهم؛ لأن المسيء مستوحش».

(١) درر السلوك في سياسة الملوك، ص (١١٠، ١١١).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شديد العناية بمعرفة أحوال رعيته لرعايتهم وإقامتهم على شرع الله، قال عمرو بن ميمون: رأيت عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل أن يصاب بالمدينة وقف على حذيفة وعثمان بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: لا. فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً. فما أتت عليه رابعة حتى أصيب.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ لهارون الرشيد لما طلب نصيحته<sup>(١)</sup>: «وتنظر في أمر العامة والشعور، وتبذل العدل والنصفة، وأن لا تجعل دونها سترًا، وتتخذ أهل العلم والورع شعارًا، وتشاورهم فيما ينوب». ومن أعظم ما يكون من فقه واقع نفسك أن تعلم النقص من نفسك، فهذا من أسباب تواضعك وعدم اغترارك وعجبك بنفسك، وفي الحديث: «كفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه»<sup>(٢)</sup>.

وإن شاء المخلوق أن يعرف النقص من نفسه فلينظر كيف سلب الله حسن التدبير عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وصار جسداً بلا روح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في أحد معاني الآية<sup>(٣)</sup>: «الجسد

(١) مناقب الشافعي (١/١٣٦).

(٢) رواه الطبراني، وضعفه السيوطي والألباني.

(٣) تفسير سورة (ص)، ص (١٦٥).

هو الذي لا يدبّر، وليس عنده تفكير، أي: إن الله سلب من سليمان تفكيره الذي يدبّر به شئون مملكته فصار لا يحسن التدبير، ومن لا يحسن التدبير كالجسد بلا روح، فيكون المراد بالجسد سليمان نفسه، ويكون تقدير الكلام وألقيناه جسداً على كرسية لا يحسن التدبير. وهذا أيضاً قريب، أن الله تعالى يسلب عن الإنسان عقله وتفكيره حتى يكون جسداً بلا روح، ومن المعلوم أن مملكة عظيمة كمملكة سليمان إذا فقد منها المدبّر سوف تتخلخل وتزعزع».

وقال شيخنا أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «لا شك أنها فتنة عظيمة، ولا يتصورها أحد لم تمسّه هذه الفتنة؛ لأن ما نسمع من المصائب والفتن وغيرها نسمعها على أنها تمر علينا مروراً ذهنيّاً، وليس هذا كالذي يباشر المصيبة والقضية نفسها».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «وهذا الأمر قد جرّبه كل أحد، بل الفرد من بني آدم لا يخلو عنه، ومن سرح فكره في قلب الدنيا بأهلها وانقلابها على ملوكها وإزالة أقوام آخرين - رأى كل العجب؛ فإنك ترى الرجل الكامل بينما رأيه لهدم القرى العامرة وسلب الأرواح؛ إذ دار عليه القدر فعجز عن تدبير نفسه، وهو المسمى بالإدبار».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «حكى الصولي قال: اجتمع عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم البرامكة وهم يومئذ عشرة، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم

(١) تفسير سورة (ص)، ص (١٦٦).

(٢) التنوير بشرح الجامع الصغير (١/٥٤١).

(٣) التنوير بشرح الجامع الصغير (١/٥٤٢).



يصح لهم فيه رأي، فقال يحيى: إنا لله ذهبنا والله دولتنا، كنا في إقبال دولتنا يبرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في غير مشكل، ولم يصح لنا فيه رأي، نسأل الله حسن الخاتمة».

لذلك من علم الضعف من نفسه وأن القوة لله جميعاً استعان بالله في أموره كلها، وكان النبي ﷺ ملازماً لذلك، يدعو ربه يقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك ولا أكثر»، رواه أبو داود.



الفصل الثاني

مقاصد الحزبيين

في الطعن في العلماء

في دعواهم عدم فقه الواقع



## الرسوخ في العلم الشرعي قبل فقه الواقع

الناصح لشباب المسلمين هو الذي يرشدهم إلى ما فيه صلاحهم أولاً؛ فهم عدة أوطاننا وثروة بلادنا، وعدتنا في بناء أوطاننا وحفظ ثغورنا، ودفع أعدائنا.

فالشباب لا بد من بنائهم وتأسيسهم تأسيساً صحيحاً بالعلم النافع والعمل الصالح.

فبالعلم النافع يدفعون الشبهات، ويميّزون بين الحق والباطل، وبالعمل الصالح يدفعون الشهوات وتستقيم أحوالهم على الهدى ودين الحق.

أما الزج بالشباب بدون هذا الإعداد في أتون السياسة وفقه الواقع - فهذه مجازفات غير مأمونة العواقب، قد تكون سبباً في انحراف الشباب في عقائدهم وأفكارهم وأخلاقهم، وقد يصل انحرافهم إلى أن يجندهم الكفار في حرب بلادنا، والعياذ بالله.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الفقه في الدين خير من الفقه في الواقع، خلافاً لما ظن بعض الشباب أن الفقه في الواقع أهم من الفقه في

(١) شرح صحيح البخاري (١/١٧٤).

الدين، وليس الأمر كذلك، فالفقه في الدين هو الأهم، وهو الذي يجب أن يركز الإنسان عليه، أما الفقه في الواقع وفي أحوال الناس فهذا وسيلة إلى معرفة ما يناسبه من الأحكام، وليس هو الغاية، الغاية هي الفقه في الدين، وماذا ينفعنا إذا فقهنا في الواقع ولكننا لم نفقه في ديننا شيئاً، ثم إن الفقه في الواقع أحياناً يوجب صد الإنسان عمّا هو أهم، وانشغاله بأحوال العالم في شرق الأرض وغربها، فينسى بذلك ما هو أهم».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله<sup>(١)</sup>: «الاشتغال بالمحاضرات العامة والصحافة، وبما يدور بالعالم دون علم بالعمق، ودون علم بأمور الشرع - تضليل وضياع، ويصبح صاحبها مشوش الفكر؛ لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا بتعلم العلم النافع أولاً، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على طلب العلم المنزّل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن هذا هو العلم النافع المفيد في الدنيا والآخرة، وهذا هو النور الذي يبصر الإنسان به الطريق إلى الجنة وإلى السعادة، والطريق إلى العيشة النزيهة في الدنيا والسعادة في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [١٧٤] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، ص (١٠٣-١٠٥).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

ونحن نقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا، وفيها الدعاء العظيم:  
 ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، والذين أنعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين  
 العلم النافع والعمل الصالح ﴿مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

و﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، هم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، و﴿الضَّالِّينَ﴾  
 هم الذين عملوا بلا علم.

فالصنف الأول: مغضوب عليه؛ لأنه عصى الله على بصيرة.

والصنف الثاني: ضال؛ لأنه عمل بدون علم.

ولا ينجو إلا الذين أنعم الله عليهم، وهم أهل العلم النافع والعمل  
 الصالح، فيجب أن يكون هذا لنا على بال.

وأما الاشتغال بواقع العصر كما يقولون، أو «فقه الواقع» فهذا إنما يكون  
 بعد الفقه الشرعي؛ إذ الإنسان بالفقه الشرعي ينظر إلى واقع العصر، وما  
 يدور في العالم، وما يأتي من أفكار ومن آراء، ويعرضها على العلم الشرعي  
 الصحيح؛ ليميز خيرها من شرها.

وبدون العلم الشرعي فإنه لا يميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

فالذي يشتغل باديء ذي بدء بالأمور الثقافية، والأمور الصحافية، والأمور

السياسية، وليس عنده بصيرة من دينه - فإنه يضل بهذه الأمور؛ لأن أكثر ما يدور فيها ضلال، ودعاية للباطل، وزخرف من القول وغرور، نسأل الله العافية والسلامة».



## السبب في طعن الحركيين في علمائنا في فقه الواقع

فقه الواقع تعامل قطبي سروري قبيح اصطنعوه ليسقطوا به العلماء، ويتولوا قيادة الأمة، فأسقطهم الله.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يوجد أناس يدعون إلى التقليل من شأن العلماء، والكلام فيهم في المجالس؛ لأنهم فقدوا الزعامة التي يريدونها، ليس لهم سبيل إلى ما يريدون إلا أن يضعفوا الجانب الآخر. وهذا على خطر عظيم جداً».

ولما رأى شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ غلو القطبيين في دعوى اختصاصهم بمعرفة فقه الواقع، وطعنهم في العلماء بسبب ذلك - أنكر ذلك أشد الإنكار، وقال<sup>(٢)</sup>: «أما ما يقدر به بعض الناس في العلماء الكبار من أنهم لا يفقهون الواقع، فلا شك أن هذا من باب الافتراء، ومن باب قفو ما ليس له به علم».

وقال أيضاً<sup>(٣)</sup>: «دعواه أن العلماء الكبار - كما يقولون عنهم - لا يفقهون

(١) تفسير سورة آل عمران (١/٣٧٥).

(٢) وصايا وتوجيهات لطلبة العلم، ص (٣٦٤).

(٣) وصايا وتوجيهات لطلبة العلم، ص (٣٦٥).



الواقع هذه دعوىٌ بغير حق، هل ناقشهم؟

أو لأنهم صامتون، ويرون أنه من الحكمة أن لا يُثار الشغب على الولاية، يُقال عنهم: إنهم لا يفقهون الواقع؟

فقد يكون عندهم من علم الواقع ما ليس عند صاحبهم الذي هم مغرمون به».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الناس قد انفتح بعضهم على بعض، واختلط بعضهم ببعض، وصاروا يأخذون الثقافات من يمين ويسار، واحتاج الناس الآن للعلم الراسخ المبني على الكتاب والسنة؛ حتى لا يقع الناس في ظلمات بعضها فوق بعض، لذلك تجد رجلاً يمر به حديث، أو حديثان، ثم يقال: أنا ابن جلا، وطلاع الثنايا! من ينال مرتبتي! أنا الذي أفتي بعشرة مذاهب! ثم مع ذلك يندد بمن يخالفه - ولو كان من كبار العلماء -، وربما يضحخ الخطأ الذي يقع منه، ولو كان ممن يشار إليه بالفضل، والعلم، والدين، وهذه خطيرة جداً؛ لأن العامي وإن كان وثق بشخص لا يهमे هذا الكلام، لكن كلما كرر الضرب على الحديد لا بد أن يتأثر».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «هناك فقه ثالث ظهر، وهو فقه الواقع الذي علّق عليه بعض الناس العلم، وقالوا: من لم يكن فقيهاً للواقع فليس بعالم. ونسوا أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في

(١) تفسير سورة البقرة (٣/٤٢٢، ٤٢٣).

(٢) شرح حلية طالب العلم، ص (١٥٠، ١٥١).

الدين». ثم غفلوا عن كون الإنسان يشتغل بفقه الواقع أن ذلك يشغله عن فقه الدين، بل ربما يشغله عن الاشتغال بالتعبد الصحيح، عبادة الله وحده، وانصراف القلب إلى الله، والتفكير في آياته الكونية والشرعية.

والحقيقة: أن انشغال الشباب بفقه الواقع صدّهم عن الفقه في دين الله؛ لأن القلب إذا امتلأ بشيء امتنع عن الآخر.

فانشغال الإنسان بالفقه في الدين وتحقيق العبادة والدين والإخلاص - خير له من البحث عن الواقع، وماذا فعل فلان؟

وربما يتلقون فقه الواقع من روايات ضعيفة أو موضوعة في وسائل الإعلام المسموعة أو المقروءة أو المرئية، أو يبنون ما يظنون فقه واقع على تقديرات وتخمينات يقدرها الإنسان، ثم يقول: هذا فعل لهذا. ويعلل بتعليلات قد تكون بعيدة عن فقه الواقع».

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - مبيّناً مقاصد الحزبين خصوصاً الإخوان المسلمين في التهويش بفقه الواقع<sup>(١)</sup>: «الفقه في الدين بمعرفة الأحكام الشرعية، هذا هو المطلوب، وهذا هو الذي يجب على المسلمين الاهتمام به وأن يتعلموه».

لكن ليس المقصود بفقه الواقع عند هؤلاء فقه اللغة، وإنما المراد به عندهم: الاشتغال بأمور السياسة والتهيج السياسي، وصرف الأوقات والهمم إليه.

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، ص (٢٣).

أما فقه الأحكام فيسمونه: فقه الجزئيات، وفقه الحيض ونفاس، تهجيناً له، وتنفيراً منه ومن الاشتغال به».

وسب علماء أهل السنة ولزهم بأنهم شيوخ حيض ونفاس لا يفقهون الواقع - منهج يُلقنه الإخوان المسلمون لأتباعهم، وأذكر لما كنت مدرساً في الثانوي بعد تحرير بلدنا مباشرة من الاحتلال البعثي العراقي وكنت مدرساً في قسم التربية الإسلامية دخل علينا مدير المدرسة وهو من الإخوان المسلمين، وبدأ عدوانه بسب وثلب علمائنا؛ حيث قال: «ابن باز وابن عثيمين شيوخ حيض ونفاس»!!

هذا الموقف يحكي حقيقة ما تمتليء به قلوب الإخوان المسلمين من الضغائن لخيار علمائنا.

على كل حال مبتدعة اليوم سائرون على طرائق مبتدعة الأمس، فهم يقولون كما قال عمرو بن عبيد المعتزلي<sup>(١)</sup>: «ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة مُلقاة».

وهناك صنف آخر علماني يطعن في علمائنا بعدم فقه الواقع؛ ليتوصل بذلك إلى تعطيل الشريعة؛ لأنه يتوهم أن الشريعة لا تواكب هذا العصر، وأنها إنما كانت تصلح في العصور القديمة لما كانت مجتمعاتنا بدائية، وهؤلاء كذابون مفترون على الشريعة وعلى الواقع؛ فإن الإسلام كان أسبق إلى الحضارة في

الأندلس بلزوم الشريعة قبل الغرب.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الاستهزاء ببعض الشريعة استهزاء بجميع الشريعة، وهناك فرق بين من يدع العمل مع تعظيمه لشرع الله عَزَّجَلَّ وبين من يسخر بالشرع، ويستهزيء به، ويرى أنه عبث، وأنه باطل، وما أشبه ذلك؛ فالأول: له حكم العصاة، فإن كانت معصيته كبيرة تبلغ به الكفر فهو كافر، وإلا فهو فاسق، وإلا فهو دون الفاسق - كما لو كانت من صغائر الذنوب، ولم يصر عليها -؛ وأما الثاني: المستهزيء الذي يرى أن الشرع عبث، أو أنه لأناس انقرضوا ومضوا، وأن هذا العصر لا يصلح للعمل بهذا الشرع - فهذا لا شك أنه كافر، وإذا استهزأ مستهزيء بحامل الشريعة، أو العامل بها من أجل حمله الشريعة، أو عمله بها فهو كافر؛ لأنه استهزأ بشريعة من شرائع الله، ولهذا قال عَزَّجَلَّ في أولئك النفر الذين قالوا: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون الرسول ﷺ وأصحابه - أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء». قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، أما الذين يقولون عن حملة الشرع والعاملين به: «هؤلاء دراويش لا يعرفون المجتمع ولا الدنيا»، وما أشبه ذلك من الكلمات - فهؤلاء أيضاً كفار؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ١٣٠، ١٣١).

﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾

[المطففين: ٢٩ - ٣٢]، وفي معنى ذلك قولهم: «هؤلاء رجعيون»، وقد ذكر الله في آخر الآيات ما يدل على كفرهم في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]، فدل هذا على أن أولئك الذين يسخرون بالمؤمنين من أجل إيمانهم كفاراً.



## التعاون في فقه الواقع لا التهويش به لإسقاط العلماء

لا يمكن لأي شخص مهما بلغت رتبته في طلب فقه الواقع أن يحيط بأحوال كل المسلمين، وما يجري من سياسات وخطط وترتيبات يقوم بها ساسة الغرب، أو أهل التأثير في العالم، وحسب المسلمين التعاون على معرفة ذلك لخدمة الإسلام، وتبصير المسلمين بالأخطار المحيطة بهم.

وكان خيار الصحابة وعلماءهم يتعاونون على إفادة بعضهم بعضاً، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «كان لي جار من الأنصار، فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتي بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، وكنا نُحَدِّثُ أَنْ غَسَّانَ تَنْعَلُ الْخَيْلَ لِتَغْزُونَ».

قال العلامة الوزير ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠هـ)<sup>(٢)</sup>: «في هذا الحديث دليل على أن المؤمن يستعين بأخيه المؤمن في التعلم والمعاش، ألا تراه يقول: وكان لي جار من الأنصار، وكنت أنا وهو نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك؟

وإنما فعل ذلك؛ لأنها كانا يقضيان من الكسب فرضاً واجباً، ويتعلمان

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم (ص ٢٠ - رقم ٨٩)، ومسلم.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/١٢٨).

من العلم فروضاً لازمة، ففعلاً بحسن تدبيرهما أن يقضي هذا وقتاً في كسبه، ويخلفه هذا في تعلم العلم والإتيان بخبر الوحي، ويفعل الآخر مثل فعل صاحبه، فيقضيان الفرضين، ويدركان الأمرين».

فمن حسن قصده وكان عمله خالصاً لوجه الله، فإنه يتواضع ولا يبغى على العلماء بدعوى فقه الواقع، ويشحن نفوس الناشئة فتمتليء قلوبهم من كراهيتهم والانصراف عنهم، فيوكلون إلى رءوس جهال يضلونهم ويسوقونهم إلى الفتن وأنواع الضلالات، فلطالما سمعنا الحزبيين السياسيين يقولون لشباب الدعوة: استفيدوا من العلماء في العقيدة والأحكام وتصحيح الأحاديث وتضعيفها، أما فقه الواقع فإلينا<sup>(١)</sup>.

وما أشبه هؤلاء بالمتكلمين الذين يعظمون أئمة المذاهب في الأحكام الفقهية، ويؤخرونهم في مسائل التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «فإن المتكلمين يعظمون هؤلاء - يعني: أئمة المذاهب - في علم الشريعة العملية والقضايا الفقهية، وأما في الكلام وأصول الدين مثل مسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوت والمعاد، فلا يلتزمون موافقة هؤلاء، بل قد يجعلون شيوخهم المتكلمين أفضل منهم في ذلك».

وقد يقولون: إنهم وإن علموا ذلك، لكن لم يبسطوا القول فيه، ولم يبينوه.

(١) ومن هؤلاء عبد الرحمن عبد الخالق.

(٢) الرد على المنطقيين ص (٤٤٣-٤٤٤).

كما فعل ذلك شيوخ المتكلمين».

ومن فقه الواقع في معرفة زهو القطبيين على العلماء: أن تعلم أن كثيرًا من مادة محاضراتهم وكتابتهم السياسية جمعها لهم أفراد حزبهم، فهو في أكثره ليس جهد ذلك المتعالى على العلماء.

ولو قُدِّرَ أن شخصًا مبررًا في معرفة الحوادث السياسية؛ فإنه لا يمكنه أن يقود الأمة لضعف علمه الشرعي، فثبت بذلك ضرورة رد الفتيا في النوازل ومصالح المسلمين ومسائل أمنهم العام إلى المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس بخير ما كان العلم في أكابريهم، فإذا صار العلم في أصاغريهم فذلك حين هلكوا»<sup>(١)</sup>.

وهنا لا بد من التنبيه إلى فرق ما بين العلماء وطلبة العلم والمتعلمين، فالعلم طبقات كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٧٦]، فإن اختلفت بمعرفة فن من الفنون أو علم من العلوم فما تجهله أكثر، وما يعلمه غيرك أكثر، ومن تواضع لله رفعه.

قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «تفكر - أيضًا - في أن ما خفي عنك، وجهلته من أنواع العلوم، ثم من أصناف عِلْمِكَ الذي تختص به، والذي

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (رقم ٨١٥).

(٢) الأخلاق والسير، ص (١٥٩).



أعجبتَ بنفاذك فيه، أكثر مما تعلم من ذلك، فاجعل مكان العجب استنقاصًا  
 لنفسك، واستقصارًا لها، فهو أولى، فتفكّر فيمن كان أعلم منك، تجدهم  
 كثيرًا، فلتَهْنُ نفسك عندك حيثنّد.



## الشريعة الإسلامية لا الأهواء القطبية

معيار توصيف البلاد الإسلامية بالحكم بالشريعة في ميزان السرورين القطبيين - هو معيار جائر مائل عن الحق باعته الهوى، ولننظر في فقههم لواقع الحكم بما أنزل الله؛ حتى يكون طالب العلم على بصيرة من تهويلات القطبيين وزهوهم بأحزابهم وتنظيراتهم.

ولننظر أولاً في النموذج السوداني، ولننظر في غلو السروريين في هذه الدولة، قال محمد سرور زين العابدين<sup>(١)</sup>: «وقصارى القول: فإن هذه الحملة الشرسة ضد السودان سببها تحكيم النظام السوداني للإسلام، وخوفهم من مساعدة هذه الدولة للدعاة والجماعات الإسلامية، ودولة ترفع الشعار الإسلامي بصدق وتخاصم من أجله لا بد من دعمها.

ولأن هذه الدولة إسلامية فقد نصرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى قَوَاتِ قَرْنِ فِي الْجَنُوبِ، وتمكنوا من تحرير أهم مدن الجنوب، وهذا النصر عجزت عن تحقيقه حكومات الأحزاب الفاسدة والحكومات العسكرية المتواطئة.

ولأنها دولة إسلامية فقد خلصت السودان من نظام الأحزاب العميلة، وجمعت الأمة على منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

(١) مجلة السنة السورورية، العدد الخامس والعشرين، ص (٢٣).

طبعاً هذا الكلام كان في بداية فرح محمد سرور بثورة السودان، والآن في عهد البشير تم تقسيمه إلى دولتين، دولة للنصارى في الجنوب، ودولة للمسلمين في بقية السودان، وما زال السودان مهدداً بالتقسيم بأكثر من ذلك.

وتلك المبالغات التي صرح بها محمد سرور لا أعتقد محمد سرور نفسه وحزبه يعتقد، إذ لو اعتقدوا ذلك لا أظنهم يؤثرون الإقامة ببلاد الكفر على بلد يرفع الشعار الإسلامي بصدق ويخاصم من أجله كما قال محمد سرور!! ولا أظن محمد سرور وحزبه يفضلون الإقامة في بلاد الكفر على بلد جمع الأمة على منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وانظر كذلك إلى مبالغات وتهويلات القطبيين في وصف البلاد بتحكيم الشريعة الإسلامية، حيث قال سلمان العودة في اليمن<sup>(١)</sup>: «الواقع أنه ليس في اليمن شمال وجنوب، بل كله يمن واحد، لحمته وسداه الإسلام، وحاكمه الشريعة، وقدوته الرسول ﷺ ومبدؤه التحاكم إلى الله والرسول ﷺ، ولا يجوز لأحد أن ينفر أو ينفرد عن هذه القاعدة، أو يخرج عليها، أو يتمرد على شريعة الله عزَّوجلَّ أو نظامه أو سنة رسوله ﷺ».

وبإزاء هذا الغلو من القطبيين في أحزابهم، نجد أن ميزانهم جائر مائل في حكمهم على الدولة السعودية، فلا يرتاب مسلم عادل منصف أن الدولة السعودية أقوم دول العالم الإسلامي تطبيقاً للشريعة، فمحاكمها شرعية،

(١) القطبية هي الفتنة فاعرفوها، ص (١٠٥).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من نظامها الأساسي، ورعايتها للإسلام عقيدة ودعوة من أوضح معالم هذه الدولة، ينظر لها القطبيون بعين عوراء فلا يبصرون هذا الخير، وتصدر منهم الكلمات في مدح حكومات أعتى الطواغيت كمدح سلمان العودة لحكم القذافي، ويأبون أن ينصفوا الدولة السعودية في قيامها بتطبيق الشريعة.

وطالب العلم يعرف من مقالات القطبيين ضغائنهم التي يكونونها للدولة السعودية، فلذلك يغرون بشباب الدعوة ضدها بما يلقونه عليهم من الافتراء عليها وتجريدها من أخص خصوصياتها وهو تطبيق الشريعة، وانظر إلى نموذج من هؤلاء وهو عبد الرحمن عبد الخالق؛ حيث يقول<sup>(١)</sup>: «إن دولنا العربية والإسلامية بوجه عام لا ظل للشريعة فيها إلا في بعض ما يُسمى بالأحوال الشخصية، وأما المعاملات المالية والقوانين السياسية والقوانين الدولية، فإن دولنا جميعها بلا استثناء خاضعة لتشريع الغرب أو الشرق، وكذلك قوانين الجرائم الخلقية والحدود مستوردة مفتراة».

وقد أنكر سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ كَلام عبد الرحمن بن عبد الخالق هذا، وأمره أن يصححه.

ومن مظاهر انحراف القطبيين في موضوع تطبيق الشريعة جورهم في النيل من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن جملة تقارير العبيسان في «طوفانه»

(١) خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية، ص (٧٢، ٧٣).

على جواز الخروج على الولاة، الاستدلال بالخارجين على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!!!

ومن العجيب امتداح سفر الحوالي لطوفان العبيسان!!!

فإذا لم يكن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حاكماً بالشرعية، فمن الذي يحكم بالشرعية؟!!

وهذا كله يدل على انحراف الحوالي والعبيسان في منهجهم وعقيدتهم.

وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ امتدح النبي ﷺ خلافته وولايته، وأخبر أنها خلافة نبوة، فما ضر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شغب القطبيين.

عن سفينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة»، قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر، وعشرًا عمر، واثنى عشرة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وستًا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

وتنظير العبيسان والحوالي ما هو إلا امتداد لطعون سيد قطب في عثمان ابن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فأهل السنة والجماعة: لا يتجاوزون قول من لا ينطق عن الهوى في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خلافة نبوة».

وإذا كان القطبيون ينظرون للخروج على خيار الولاة كعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإننا لا نرى فيهم ولا في سائر الأحزاب من بلغ مدّه ولا نصيفه.

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء (ص ٦٥٦، ٦٥٧ - رقم ٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي، كتاب الفتن (ص ٥١١ - رقم: ٢٢٢٦)، وحسنه، وصححه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، كما نقل عنه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه رقم (١١٥).

  
**الإمام ابن باز يرد على عبد الرحمن**  
**عبد الخالق نفيه معرفة العلماء بفقهِه الواقع**



لم أر داعية في هذا العصر يتسبب إلى السلفية والسنة في شدة عدوانه على أئمة السنة أمواتهم فضلاً عن أحيائهم، مائلاً إلى نصرة الأحزاب والدعاة المبتدعين، مدّعياً كذباً وزوراً أن السنة كالبدعة، وأن الإخوان المسلمين كالسلفيين.

فيعجب السني من شدة عدوان عبد الرحمن عبد الخالق وميله على علماء أهل السنة قدحاً وسباً، وانتصابه للدفاع عن الجماعات البدعية كالتبليغ والإخوان المسلمين.

ولم أر في نقد عبد الرحمن عبد الخالق لعلمائنا نقداً علمياً رصيناً موثقاً كما هو دأب العدول الناصحين المنصفين الصادقين، بل وجدت عدواناً قوامه الكذب، وهذا دليل فساد النية وسوء القصد، وما هي إلا نفثات حاقد.

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ راداً على عبد الرحمن عبد الخالق<sup>(١)</sup>:

«قلت في كتابكم أصول العمل الجماعي ما نصّه: إن بعض المنتسبين إلى

(١) تنبيهات وتعليقات سماحة الإمام عبد العزيز بن باز على عبد الرحمن عبد الخالق، ص (٣٣ - ٣٦).

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ زَعَمُوا أَنْ كُلِّ مَنْ أَسَّسَ جَمَاعَةً لِلدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ فَهُوَ خَارِجِيٌّ مَعْتَزِلِيٌّ.

- كما زعموا أنَّ النظام ليس من دين الله، أنَّ التحزب ليس من الإسلام.

- كما زعمت أنَّ بعض هؤلاء التلاميذ المتسيبين للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ أَعْطَوْا لِلْحُكَّامِ الْمَعَاصِرِينَ حَقُوقًا لَمْ تُعْطَ لِلصِّدِّيقِ وَلَا لِلْفَارُوقِ وَلَا عَرَفَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ تَارِيخِهِمْ، وَلَا دَوَّنَهَا حَسَبَ عِلْمِكُمْ عَالَمِ مَوْثُوقٍ فِي عِلْمِهِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي بَابِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَفِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي بَابِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبِدْعِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَبْوَابِ: فَاقْرَأْ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِهِمْ مَجْمُوعَةً ابْنِ قَاسِمِ الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ، وَفَتَاوَى شَيْخِنَا مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَاقْرَأْ مَا كَتَبْنَا فِي ذَلِكَ فِي فِتَاوَانَا وَكَتَبْنَا الْمَشُورَةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا قَلَّتْهُ عَنْ عُلَمَاءِ السُّعُودِيَّةِ غَيْرِ صَحِيحٍ وَخَطَأٌ مُنْكَرٌ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ الرَّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ، وَإِعْلَانُ ذَلِكَ فِي الصَّحْفِ الْمَحَلِّيَّةِ فِي الْكُوَيْتِ وَالسُّعُودِيَّةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلِكَ الْهُدَايَةِ وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مَسْئُولٌ».

والقطبيون الذين يفاخرون بمعرفة فقه الواقع وينالون من علمائنا بسببه إذا سبرت نظيراتهم في فقه الواقع تحققت من ضعف معرفتهم به وظهر لك شر استطالتهم على العلماء، وزهوهم الكاذب.

فمن ضعف تحقق القطبيين السروريين بفقه الواقع خصوصاً محمد سرور زين العابدين فقه واقع الجهاد الأفغاني، فتناقضاته لا تحصى كثرة، وتنظيراته تخالف الواقع وتجافيه تماماً.

فقد أشاد محمد سرور بـ«حكمتيار» في موقفه من عبد الرشيد دوستم الشيوعي بعد خروج الروس من أفغانستان ومنازحته له، وعدم التناصر معه، وهو الذي أعان الروس على احتلال بلده، وقاتل معهم ضد الشعب الأفغاني المسلم.

يقول محمد سرور<sup>(١)</sup>: «كان من المنتظر أن يتشدد حكمتيار في طلبه إخراج الميليشيات من كابل، ولو فعل ذلك لوقف الجميع ضده، ومهما كانت قوته فلن يستطيع أن يحقق انتصاراً على مسعود وحلفائه المشبوهين وعلى جماعات الجهاد التي يحترمها المسلمون ويثقون بها».

ثم قال<sup>(٢)</sup>: «غير أن هذه المحنة كشفت حنكة ودهاء حكمتيار؛ لقد رفض الخيار العسكري وجلس قرب كابل يراقب الأحداث ويتحدث عن الحلول السلمية التي يراها، ومن هذه الحلول التي يذكرها باستمرار: إجراء انتخاب في عموم أفغانستان، ووجوب إخراج ميليشيات «دوستم» من العاصمة الأفغانية، ويحذر من استمرار مرابطتها في أحياء كابل.

كان يؤكد أنه لا بد من تحكيم الإسلام بشكل كامل، وفوق ذلك كان يحذر من الخطر الإيراني، وتآمر الأمريكان، ويسمي الأمور بأسئتها الصحيحة.

أدرك القادة الأفغان صحة ما يدعو إليه حكمتيار فهو لا يريد هيمنة الحزب الإسلامي، ولا يقبل حكم الرجل المستبد».

(١) مجلة السنة السرورية، العدد الرابع والعشرين ص (١٧ - ١٨).

(٢) مجلة السنة السرورية، العدد الرابع والعشرين ص (١٧ - ١٨).



هذا تعال السرورين في فقه الواقع الذي يلمزون علماءنا بجهله، ومعلوم كيف انقلب الأمر على محمد سرور، ووصف قاتل الموحدين حكمتيار في «كونر» يسمي الأمور بأسمائها الصحيحة، وأنه يريد إخراج ميليشيات «دوستم» من كابول.

وحال أفغانستان معلوم، فقد انقلب موقف حكمتيار وتبدل، وقاتلت ميليشيات «دوستم» صفًا إلى صف حكمتيار ضد أحمد شاه مسعود.

ونأتي الآن إلى د: سفر الحوالي الذي تحدّث في محاضرة له عن إعادة بناء الشيوعية «البروستريكا»، وتحدّث عن التغيير الذي صنعه غورباتشوف في الاتحاد السوفيتي، وأخذ يجلّل هذا التغيير، فذكر في جملة الأقوال التي قالها غيره: أن غورباتشوف عميل أمريكي.

وذهب في تحليله الأقوى لإعادة البناء «البروستريكا» بأن هناك عمقاً شيوعياً ثقافياً فكرياً داخل أوروبا الغربية مؤيداً لـ «غورباتشوف»، ثم إذا سحب غورباتشوف الأنظمة الديكتاتورية التي عفتت، وسخط عليها الناس واستبدالها بأوضاع قريبة، مما تطالب به الأحزاب الشيوعية تقريباً في أوروبا الغربية، فإنه سيوفر على نفسه النفقات الباهظة للمنافسة النووية؛ ليدعم نشر الشيوعية بطريقة الفكر والثقافة.

وختم محاضراته وذكر خلاصة تحليله بقوله: «أستطيع أن أقول: إنها وجهة نظر غورباتشوف الحقيقية التي يريدنا ونستشفها من أعماله: التغلغل داخل المجتمعات الغربية عن طريق الأحزاب الشيوعية وعن طريق نشر الفكر

الشيوعي، وعن طريق تحديث الفكر العالمي كما يسمي».

وما انتهى إليه تحليل د: سفر الحوالي بأن غورباتشوف يعيد بناء الشيوعية؛ ليخترق بها أوربا الغربية - فأبعد ما يكون عن الواقع؛ فإن غورباتشوف كان عميلاً لأمريكا جنّده تاتشر، فقام بتفكيك الاتحاد السوفيتي وإسقاطه، فنجحت أمريكا بدهائها ومكرها وبمعاونة بريطانيا في إسقاط الاتحاد السوفيتي من الداخل دون أن تدخل معه في حرب عالمية تنفق فيها المليارات والجنود، فأسقطت الاتحاد السوفيتي بأقل التكاليف، وباتت ترسانة الأسلحة الأمريكية موفرة محفوظة لم تذهب في حرب عالمية أو استنزافية مع الاتحاد السوفيتي.

وسفر الحوالي في محاضرته هذه أظهر تواضعاً في موضوع أذربيجان، فإنه سئل عنها فأجاب: بأنه لا يملك معلومات وافية عنها!!!  
هذا حال الدكتور سفر الحوالي لا يعرف واقع أذربيجان. إذا لماذا ينال القطبيون من علمائنا بدعوى عدم معرفتهم بفقهِه الواقع؟!





الفصل الثالث

# انحراف القطبيين في فقه الواقع



## انحراف القطبيين في فقه الواقع

إذا أردنا أن نتحدث عن غلو القطبيين في فقه الواقع؛ فلا ريب أن أول ما نبدأ به ما يتعلق بالتوحيد الخالص لله، فإن الإخوان المسلمين - خصوصاً القطبيين - غلوا في توحيد الحاكمية، فأفردوه بقسم خاص عن توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وتعللوا لذلك بأن هذا النوع من الشرك هو الأعظم وقوعاً في هذا العصر!!

وهذا تعليل لا يعتذر به إلا من لا يعرف أن قسيم الشيء ليس قسمًا منه، وهذا تعالم خطير في العقيدة والتوحيد، فالحاكمية قسم ونوع من أنواع التوحيد الثلاثة، فهو يتعلق بتوحيد الربوبية؛ لأنه من توحيد الله بأفعاله، ومتعلق بتوحيد الأسماء والصفات فإن الحكم من أسماء الله الحسنى، وقد أمر النبي ﷺ أبا الحكم أن يغيّر كنيته فتكنّى بأبي شريح، وعلل النبي ﷺ ذلك بقوله: «إن الله هو الحكم»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٤٣٥، رقم: ٨١١)، ورواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (ص: ٦٩٨، رقم: ٤٩٥٥)، والنسائي، كتاب آداب القضاء، باب إذا حكموا رجلاً ففضى بينهم (ص: ٧٣٠، رقم: ٥٣٨٩)، وحسنه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كتاب التوحيد، والعلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٣٩)، وقال العلامة الوادعي: «حديث حسن». الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٣٥٣).

والحاكمية متعلقة بتوحيد الألوهية؛ لأن العبد لا بد أن يتعبد لله بلزوم شريعته والانقياد لأحكامها مع انشراح صدر وقبول لها.

وغلوهم في هذا الجانب مع تضييع جانب توحيد الألوهية يدل على عدم التحقق بالتوحيد والتضييع له، فإن عدم الحماسة للدعوة لتوحيد الألوهية كالحاكمية يدل على فساد توحيد صاحبه، لذلك لا أقول وقع آحاد الإخوان المسلمين فيما يصاد توحيد الألوهية، بل وقع في ذلك قادتهم، كحسن البناء الذي كان يشد الرحال إلى القبور.

والآن الإخوان المسلمون لما وصلوا إلى السلطة بمصر معقل انطلاقة حزبهم ودعوتهم لم نرهم يطبقون الشريعة، بل وجدناهم قد هيئوا الأجواء لتعطيل الشريعة.

فمع بداية الثورة المصرية صرّح الناطق الرسمي باسم حزب الإخوان المسلمين أنهم ضد الدولة الدينية، وزعم كاذباً أن الإسلام ضد الدولة الدينية<sup>(١)</sup>.

والقرضاوي محرّك الفتن والثورات قد هياً الأجواء لتعطيل الشريعة في عموم ثورات الإخوان المسلمين في عالمنا العربي، فقال<sup>(٢)</sup>: «إن الحرية عندي مقدمة على الشريعة». نعوذ بالله من الخذلان.

هكذا جعل الشرع تابعاً لأهواء الناس، وهكذا سكت الإخوان المسلمون

(١) صحيفة الأنباء الكويتية، ص (٣٦)، عدد الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ م.

(٢) برنامج «الشريعة والحياة» قناة الجزيرة، ١٦/١/٢٠١١ م.

بأقطار الدنيا دعاة «توحيد الحاكمية» عن رد هذا الباطل العظيم، فالله عزَّ وجلَّ سنَّ كل التشريعات التي لا يجوز التقدم بين يديها، قال تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَّا تُفْضِمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ولم يقف الإخوان المسلمون عند هذا الحد، بل تحولت دعوتهم من إقامة «توحيد الحاكمية» و«دولة الخلافة» إلى مشروع للعلمانية برعاية أمريكية أوروبية، فقد تعهد زعيم حركة النهضة الإسلامية الغنوشي - إخوان تونس - بدعم قيم الحداثة.

وأعجب ما في الأمر أن إخوان تونس كانوا يجاربون التغريب عن الدين والخروج عن الشريعة في عهد أبو رقية، فلما وصلوا إلى سدة الحكم صاروا أنصاراً للعلمانية الحبيب أبو رقية.

فهذا التحول في مسار دعوة الإخوان المسلمين للعلمانية يُبين حقيقة التناصر الأمريكي الأوربي الإخواني لعلمنة ديار المسلمين، وقد أفصح عن هذا الإخوان المسلمون أنفسهم؛ حيث قال الغنوشي: إنه تلقى إشارات غريبة ترحب بوصوله للسلطة<sup>(١)</sup>.

ومن انحراف القطبيين والإخوان المسلمين في إصلاح الواقع سعيهم في إسقاط الدين كله في أساسه التوحيد وأعظم أركانه بعد الشهادتين الصلاة، شعروا أو لم يشعروا، فالقطبيون ك«الصاوي» صاروا ينافحون عن الشرك

(١) صحيفة الوطن الكويتية، عدد ٦ ذي القعدة ١٤٣٢ هـ، الموافق ٤/١٠/٢٠١١ م، ص (٤٠).



الأكبر كالأستغاثة بالموتى، وعجيل النشمي ينال من شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الصَّحْفِ الْكُوَيْتِيَّةِ فِي تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَقَالَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَوْ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِقْهًا وَفَتِيًّا عَامَّةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا المنهج في الواقع هو المنهج الثقفي أيام الجاهلية، فإن ثقيف لما دعاهم النبي ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ طَلَبُوا أَنْ يَتْرَكَ لَهُمُ اللَّاتَ، وَأَنْ يَعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>.

وكذلك الحال بالنسبة للصلاة؛ ظهر من يُشْنَعُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِذَا ذَكَرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِي تَارِكِهَا، قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ الْعَثِيمِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>: «إِنَّ الَّذِي يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِكُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ مَعَ دَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ، هُوَ خَارِجِي - فَهُوَ الْخَارِجِيُّ الْحَقِيقِيُّ».

وقال صلاح الصاوي متأولاً لعباد القبور<sup>(٣)</sup>: «الدعاء الذي يتوجهون به إِلَى أَصْحَابِ الْقُبُورِ، عَلَى أَنْ الْمَقْصُودُ بِهِ طَلْبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْوَلِيِّ إِلَى اللَّهِ».

هذا التعالم القبيح في التوحيد جهل وجهالة، فإن ما اعتذر به الصاوي لعباد القبور هو في حقيقته اعتذار مشركي الجاهلية لما دعاهم النبي ﷺ إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>: «فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص (٢٤٨)، ط: دار المعارف، القاهرة.

(٢) شرح السياسة الشرعية، ص (٣٧٦)، ط: دار ابن حزم.

(٣) الثواب والمتغيرات، ص (٢١٩).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٠٥).

التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصاً عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك برهم - فكيف إذا وُجد ما هو نوع الشرك، من الرغبة إليهم؟! سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى».

وقد ظهر من ينال من أهل السنة ويرميهم بالتشدد؛ لحمايتهم جناب التوحيد وحرصهم على صيانة عقائد الناس من الشرك لتكون عاقبتهم في الآخرة حميدة، قال الوالد العلامة صالح الفوزان - حفظه الله -<sup>(١)</sup>: «إن من ينكر هذه الأمور، وينبّه الناس إلى خطرها ويدعو إلى التوحيد - يرمونه بأنه متشدد، وأنه خارج عن الأمة؛ لأن الأمة عندهم هم عبّاد القبور، ومن أنكر عبادة القبور صار خارجاً عن الأمة، وهذا من قلب الحقائق - والعياذ بالله -، فالدين الذي جاءت به الرسل هو إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الدين».

والكل يعرف حاجة المسلمين إلى العلم الشرعي، فإنه أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، والبدع والأهواء انتشرت في الناس انتشار النار في الهشيم إلا من عصم الله، فالناس اليوم ليسوا كزمن النبي ﷺ حيث لا توجد إلا السنة المحضة، فحاجتهم إلى العلم المفصل ضرورية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «الهدى المجمل لا يغنيه إن لم يحصل هدى مفصل في كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التي يحار في كثير منها أكثر

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٣٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٠٠، ٤٠١).

عقول الخلق، ويغلب الهوى والشهوات أكثر الخلق؛ لغلبة الشبهات والشهوات على النفوس، والإنسان خلق ظلومًا جهولًا، فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائمًا إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم.

وقد قال تعالى لنبىء بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣﴾ [الفتح: ١ - ٣].

فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطًا مستقيمًا، فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره؟».

وقد أقر الإخوان المسلمون على أنفسهم بانحراف منهجهم وتفريطهم في طلب العلم الشرعي وغلوهم في التحزب الحركي، قال د: يوسف القرضاوي<sup>(١)</sup>: «عيب في الجماعة، هو ضعف الاهتمام بالجانب الثقافي أو العلمي أو الفكري فيها، حتى شيخنا البهي الخولي عندما وجهنا في «كتيبة الذبيح»، كان أكبر همّه التوجيه الروحي والسلوكي، وهو مهم لا شك، ولم يكن همّه التكوين العلمي أو الثقافي، ولذا لم يوجهنا إلى أي كتاب نقرؤه، أو يكلفنا بأي شيء

علمي نقوم به.

كانت الفكرة المسيطرة أن يدرّبنا على «السمع والطاعة»، فعلينا أن نقول لقادتنا - أي قادة حزبه - ما قال إسماعيل لأبيه: ﴿يَتَأْتِ أَفْعَلًا مَا تُؤْمَرُ<sup>ط</sup>﴾ [الصفات: ١٠٢]، فهو يريد جنودًا مطيعين، أكثر مما يريد دعاة مثقفين.

ومن انحراف القطبيين في فقه الواقع أنهم أشغلوا أهل القرى والبوادي بالكلام في فقه الواقع، مع شديد حاجة تلك البوادي لتعليمهم دينهم وتصحيح عقيدتهم، ولقد حدثني بعض المشايخ أنهم وجدوا في بعض نواحي البادية من يتبرك بالشجر، والعياذ بالله.

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله<sup>(١)</sup>: «وقد تلاعب بعض الأشرار من الإنس بعقائد الناس، وبأكله لأموالهم، وشعوذته عليهم، ولا سيّما عند البوادي والقرى البعيدة عن حضور مجالس الذكر، فإن هذا يكثر كلما كثر الجهل، وحقيقة هذا أنه عميل للجن، وأنه شرك بالله عزّ وجلّ، ولا يقتصر شره على نفسه، بل يضلّل الناس، ويُفسد عقائد الناس، ويأتي إليه الناس ويسألونه، ويخبرهم بالمغيّيات، أو يأمرهم بالذبح لغير الله، أو غير ذلك من أنواع الشرك.

فهذه مسألة خطيرة، يجب على أهل العلم وعلى الدعاة إلى الله أن يبيّنوها للناس، وأن يتجولوا في القرى، وفي البوادي، ويوضّحوا هذا الأمر للناس؛ لأنهم والله أمانة في أعناق طلبة العلم، وفي أعناق الدعاة، هذا هو المطلوب.

أما أنك تتكلم أمام الناس عن قضايا السياسة ونحوها، فهذه ما فائدة الناس منها؟ ما فائدة البدو في الصحراء، أو الناس في القرية، ما فائدتهم من هذه الأمور؟ وهم واقعون في الشرك، أو يجهلون قراءة الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة؟!!

يجب علينا أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن نعلم أن منهج الرسول ﷺ: دعوة، وتعليم، وإرشاد، وتوجيه فيما ينفع الناس، وأيضاً معالجة ما وقع فيه الناس في بلدهم وفي أنفسهم، أما أنك تجلب لهم مشاكل من بعيد، وتريد منهم أن يعالجوا قضية أمريكا، أو قضية الجزائر، أو قضية السودان، وهم مساكين، ما بأيديهم شيء، وأيضاً هم واقعون فيما هو أخطر من ذلك وهو الجهل وفساد العقيدة، لماذا لا تعالج هذا الأمر؟

وأنا ليس غرضي بهذا الكلام أن أتقصّ أحداً، لا والله، ولكن غرضي أن أبين الطريقة الصحيحة للدعوة، ونفع الناس.

ومن أخطر أنواع انحراف القطبيين في فقه الواقع هو تزييفهم له، وغش المسلمين في ذلك، غير مكترئين للشروع العظيمة والمصائب الكبيرة التي تنزل بالمسلمين من إراقة دمائهم وتضييع أمنهم بسبب كذبهم.

فسلمان العودة كذب على العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي حَوَادِثِ الْقِتَالِ فِي الْجَزَائِرِ، فَإِنَّهُ فِي مُحَاضَرَةٍ لَهُ بِعِنَاوَانِ «كَلِمَةٌ حَقٌّ فِي الْمَسْأَلَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ» زَعَمَ أَنَّ الْعَلَامَةَ الْمَحْدِثَ الْأَلْبَانِيَّ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى جَبْهَةِ الْإِنْفَاقِ فِي الْجَزَائِرِ يُؤَيِّدُهَا فِيهَا قَامَتْ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكُومَةِ وَقِتَالِهَا، وَقَدْ

سُئِلَ العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ (١): «إِذَا كَانَ هَذَا الْقَائِلُ تَعْرِفُهُ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَهُمْ كُفْرًا فَاسِقٌ بِنِيَابٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الْكُذْبِ أَنْ يَحْدُثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، هَذَا أَوَّلًا، وَلِيَطْلُبَ مِنْهُ مِنَ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ الْمَزُورِ».

وَمَعَ تَأْجِيجِ سَلْمَانَ الْعُودَةَ لِلْقِتَالِ فِي الْجَزَائِرِ بِتَرْوِيجِ الْفَتَاوَى الْمَكْذُوبَةِ عَلَى الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ بَارَكَ سَفَكَ الدَّمَاءِ فِيهَا؛ حَيْثُ قَالَ فِي مُحَاضَرَتِهِ «مَهْرَجَانِ بَرِيدَةٍ» (٢): «أَتَدْرُونَ كَمْ دَفَعْتَ الْجَزَائِرَ كَدُولَةً وَأُمَّةً؟ كَمْ دَفَعْتَ ثَمَنًا لِلْعُدْوَانِ عَلَى رِجَالِ الْإِسْلَامِ عَلَى عَبَّاسِ مَدِينِي، وَعَلِيِّ بْنِ حَاجٍ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ رَمُوزِ الدَّعْوَةِ، وَرَمُوزِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَطْ عَشْرَةٌ آلَافٌ قَتِيلٌ!!!».

فَقَطْ عَشْرَةٌ آلَافٌ قَتِيلٌ؟! مَا أَهْوَنُ الدَّمَاءِ عِنْدَ سَلْمَانَ الْعُودَةَ!

فَتَرْوِيزُ سَلْمَانَ الْعُودَةَ لِفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ فِي وَاقِعِ الْجَزَائِرِ هُوَ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْفِتْنَةِ، وَأَيَّامُ الْفِتَنِ تَرْوِجُ الْفَتَاوَى الْكَاذِبَةَ؛ لِيَنْفِذَ مِنْ خِلَالِهَا الْخَوَارِجُ فِي تَحْقِيقِ مَأْرَبِهِمْ. وَهَذَا مَا حَصَلَ فِي مَقْتَلِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ أَبُو مَعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ خَيْثَمَةَ، عَنِ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ قُتِلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَرَكْتُمُوهُ كَالثُوبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ ثُمَّ قَتَلْتُمُوهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ

(١) مدارك النظر، ص (٣٣٤).

(٢) القطبية هي الفتنة فاعرفوها.

قَرَّبْتُمُوهُ فذَبَحْتُمُوهُ كَمَا يُذَبِّحُ الْكَبْشَ . فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ : هَذَا عَمَلُكَ ، أَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى النَّاسِ تَأْمُرِينَهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : لَا ، وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ سِوَادِي فِي بَيْضَاءٍ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا .

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِبَ على لسانها<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «هذا إسناد صحيح إليها، وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج - قَبَّحَهُمُ اللهُ - زَوَّرُوا كُتْبًا عَلَى لِسَانِ الصَّحَابَةِ إِلَى الْآفَاقِ، يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى قِتَالِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

وقال الحافظ ابن كثير أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «وتكاتب أهل مصر، وأهل الكوفة، وأهل البصرة وتراسلوا، وزوّرت كتبٌ على لسان الصحابة الذين بالمدينة، وعلى لسان عليٍّ وطلحة والزبير، يدعون الناس إلى قتال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ونصرة الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم».

والآن كلنا يشاهد العبث الكبير في الفتوى حتى رأينا من ذلك عجبًا، يأتي الخوارج فيلقون باللائمة على الولاة لما يقع للناس من أذى اصطلام الناس وتهارجهم وقتالهم، وكان الناس في عافية وأمن قبل الفوضى التي كانت بسبب خروجهم.

قال حميد بن عبد الرحمن: جاء عيسى بن زيد بن علي إلى الحبي إلى منزلهم

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) البداية والنهاية (١٠/٣٤٠).

(٣) البداية والنهاية (١٠/٢٧٧).

فاجتمع إليه أبي، وحسن بن صالح، وجعفر الأحمر، فذكروا الخروج، فقال عيسى بن زيد<sup>(١)</sup>: السلطان قد ضبط أمر الناس، وإن نحن خرجنا شُغل بنا وشُغلنا به، فقتل امرؤً ونحن سبب في قتله، وانتهب مال امرئ مسلم ونحن سبب انتهابه.

ومن انحراف القطبيين في فقه الواقع تعطيلهم الفتيا بالواقع الحاضر لظنون أو أوهام ما يستقبلونه من الوثائق السياسية البريطانية بعد خمسين عامًا.

وقد سمعت بعض هؤلاء يُعرِّض بفتيا هيئة كبار العلماء في الاستعانة بالقوات الأجنبية لحرب تحرير الكويت من الاحتلال البعثي انتظارًا لما ستظهره الوثائق السياسية السرية لبريطانيا بعد خمسين عامًا!!

وفقه الواقع يقتضي الفتيا بالواقع المشاهد، لا تعطيل الفتيا خمسين عامًا، أو بناءها على ظنون وأوهام الله أعلم بها.

ولو قيل بوجود مفسد ربما تظهرها الوثائق البريطانية بعد خمسين عامًا؛ فشان العلماء بناء الفتيا على الواقع المعلوم المتيقن، والنظر في تراحم الشرور، فيحتمل أدناها لدفع أعلاها، أما أن نقول: أبقوا كل أنواع الشر من عدوان البعث على ديار المسلمين ودمائهم وأعراضهم وأموالهم إلى أن تخرج الوثائق البريطانية. فهذا لا يقوله عاقل.

ومن انحراف أحزاب الإسلام السياسي خصوصًا الجماعات القطبية أن

(١) الإشراف في منازل الأشراف، ص(٢٨٠).



تعرف أن لها علاقات مشبوهة مع الأمريكان واللوبي الصهيوني، وهذا يفسر لك الدعم الأمريكي لهم في صناعة انقلاباتهم وثوراتهم، فقيادات الإخوان المسلمين كانت تسارع إلى السفارة الأمريكية لتهنئة الأمريكان في أعيادهم، فكأنهم لا يرون في تهنئة الكفار بأعيادهم بأسًا، ومن هؤلاء عصام العريان نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

وبادلت السفارة الأمريكية الإخوان المسلمين الود في مسارعة الإخوان إليهم، فصارت تدعوهم إلى سفارتها في احتفاليات السفارة، وتبع ذلك اجتماعات سرية بين الإخوان المسلمين والمنسقين من اللوبي اليهودي في الحكومة الأمريكية، كاجتماعهم مع وليم بيرنز الصهيوني أمريكي، مساعد هيلاري كلينتون، ولا أحد يدري ما دار من حديث في تلك الاجتماعات السرية، وغاية ما صدر عن الخارجية الأمريكية في ذلك: أنهم حصلوا على تطمينات في حال وصولهم للحكم<sup>(١)</sup>.

ولما وصل الإخوان المسلمون إلى سدة الحكم وفوا بوعدهم لليهود والأمريكان؛ فقد صرّح الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين سعد الكتاتني لصحيفة «الدستور» بأن: الإخوان المسلمين يحترمون اتفاقية كامب ديفيد<sup>(٢)</sup>.

والغرب قد اتخذ من المتعالمين والساعين إلى السلطة مطايا لتحقيق أهدافه في التدخل في شؤوننا الداخلية، والتمكين للنصرانية من تحقيق هيمنتها، ونشر

(١) صحيفة الوطن الكويتية، عدد ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ، ص (٦٦).

(٢) صحيفة الرياض السعودية عدد ١ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ.

عقيدتها الشركية في جزيرة العرب.

قال العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «هناك سفينة من السفهاء ألا وهو «المسعري»، الذي ينتمي لحزب التحرير، وهذا الحزب رأيي: شبيه بالمعتزلة الذين يهيمهم أن يثبوا على السلطة، وتشارك المرأة في الحكم وكذلك الرجل الكافر، فهو حزب منسلخ وهو حزب مبتدع.

والمسعري يقول: أنا لا أكفر الشيخ ابن باز، ولكن أقول: إنه قارب الكفر، والنبى ﷺ يقول: «أيها امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما، وإن كان كما قال وإلا رجعت عليه». فهو يقول هذا الكلام على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ الذي تهابه أمريكا، ويهابه حكام العرب، فمن أنت أيها السفينة حتى تكفريه؟! ويقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: إنه ساذج؛ لأنه لم يأخذ السلطة له، بل كان مع آل سعود حتى أخذوا السلطة عليه.

ويقول كما في عدد من أعداد «الشرق الأوسط»: «سنسمح للنصارى واليهود والهندوس بإقامة الكنائس والمعابد، كان هذا عنوان المقال، وأما التفصيلات فكما يلي:

أعلن محمد المسعري المنشق السعودي - للنصارى واليهود -: أن النصارى واليهود لهم حق العبادة في الكنائس والمعابد في المملكة العربية السعودية، إذا تولت اللجنة التي يتزعمها ويطلق عليها اسم «لجنة الدفاع عن الحقوق المشروعة

(١) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب، ص (٢٨٧، ٢٨٨).

في البلاد» على حد زعمه.

وقال المسعري في حديث أدلى به لنشرة شهرية تصدر بالإنجليزية في لندن اسمها «مسلم نيوز Muslim News»: إن الوضع الحالي في السعودية والذي لا يسمح للنصارى واليهود بممارسة شعائر العبادة علناً سيتغير عند مجيء اللجنة إلى الحكم.

والفقيه كالمسعري بات الحربة التي يستخدمها الكفار وشرار الطغاة في النيل من السعودية، وبلغ به الحال أن يستخدمه الطاغية معمر القذافي في العدوان على السعودية، وتمويل الحملات المغرضة ضدها.

وبعد سقوط القذافي تحدّث وزير خارجية ليبيا سابقاً عبد الرحمن شلقم عما كان من تناصر الفقيه مع القذافي للمضارة بالمملكة العربية السعودية وقيادتها خصوصاً خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

وهذا كله يدل على انحراف المسعري والفقيه وصدق فراسة الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فِيهِمَا، ويدل على أن ما يقومان به ما هي إلا ضغائن تُقدّم للمغرر بهم على أنه إصلاح وما هو بإصلاح.

فمقارنة الكفار والقذافي بالسعودية ظلم للسعودية، وما المسعري والفقيه إلا مطايا للكفار يستخدمونهم في المضارة بأوطاننا والتغريب بشبابنا والتدخل في شئوننا.

وقد انضم إلى قافلة العدوان على بلاد الإسلام في بلاد الكفر بريطانيا د: مضايي الرشيد، التي اختارت الإقامة في بلاد الكفر لتهاجم الإسلام،

واختارت العدوان على الإسلام في أيام آلامه، فيوم أن مات الأمير سلطان ابن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ شنت هجوماً عنيفاً على السعودية، وزعمت أن ولاية العهد ليست من الإسلام، وكأنها من دعاة الشريعة!!

وهذا العدوان على دولة الإسلام وشريعته سببه الجهل بالدين وعدم الأخذ به، والقول على الله بغير علم والاعتزاز بالكفر وأهله.

ومن انحراف القطبيين عقيدة ومنهجاً وفقهاً للواقع تشويشهم على مخالفهم في المنهج بدعوى تصحيح العقيدة، وسكوتهم عن نواقض الإسلام إذا صدر من قيادات حزبهم، وهذا يدل على فساد عقيدتهم، وفساد قسدهم وانحرافهم في نياتهم.

فالقطيبيون مؤسسو حزبهم وقادة حركتهم بدعيون، فحسن البناء يشد الرحال إلى القبور، ويفوّض معاني أسماء الله وصفاته، ولا يرى وجود جماعة للمسلمين في أي ناحية من ديار المسلمين مطلقاً إلا حزبه.

وسيد قطب قد ضرب من كل بدعة بسهم، تكفير، وتحريف لمعاني أسماء الله وصفاته واعتزال في مسائل كثيرة.

وقادة حزب الإخوان المسلمين أئمة في الإرجاء، فمنهج حزبهم قائم أساساً على الإرجاء، فحزبهم رافع راية «يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، ونتعاون فيما اتفقنا عليه»، فعذروا أصناف المبتدعين، ووصل تعاونهم مع الرافضة لدرجة تيسير أسباب إفساد ديار أهل السنة بعقائد الرافضة كما هو

واقع ومشاهد ومعلوم في مصر، وفلسطين، والسودان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «... وقسم آخر: أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه، ويجهلون بعضه، وما عرفوه منه قد يكتُمونه، ولا يبيِّنونه للناس، ولا ينتهون عن البدع، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونها، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين مطلقاً، وقد لا يفرقون بين ما يقوله أهل السنة والجماعة، وما يقوله أهل البدعة والفرقة، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة، كما يُقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع، وهذه حال كثير من المرجئة، وبعض المتفكِّهة والمتفلسفة».

وقال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ منتقداً إرجاء الإخوان المسلمين<sup>(٢)</sup>: «المراقب العام للإخوان المسلمين، ولا أدري كيف يكون في هذا العمل الحزبي، وهم يؤسسون حزبهم على 'توحيد الحاكمية'، ومناذرة 'شرك التشريع'، وهذا رأس في العمل، والعمل من أركان الإيمان، والمراقب العام مرجئ: لا يرى العمل ركناً للإيمان».

وفي مرحلة لاحقة أقام القطبيون لغتهم في مسألة: هل الأعمال شرط في كمال الإيمان، أو شرط في أصل الإيمان؟!

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «نعتب على أولئك الذين

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٦٦، ٤٦٧).

(٢) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال (ص ١٣٣-١٣٤).

(٣) تفسير سورة الأنعام، ص (٢٤٠).

يرددون الأسئلة: هل الأعمال شرط في كمال الإيمان، أو شرط في أصل الإيمان؟ أو ما أشبه ذلك من العبارات، ونرى أن كل هذا لا حاجة إليه، وبحثهم هذا - في الحقيقة - لا أصل له، ولو أنهم سلكوا في الأحكام الشرعية ما سلكوا في أسماء الله وصفاته، وقالوا: ما ذكره الله لنفسه أثبتناه، وما نفاه عن نفسه نفينا، فكذلك نقول هنا: من كفره الله كفرناه، ومن لم يكفره لا نكفره، لو سلكوا ذلك لسلموا».

فأهل السنة المتقدمون لم يفسط أحد منهم سفسطة شرط كمال أو شرط أصل الإيمان، كلهم يقول: الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. والسلف كلهم يقول: لا إيمان بلا عمل.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «لا حاجة أن نقول ما يدور الآن بين الشباب وطلبة العلم: هل الأعمال من كمال الإيمان أو من صحة الإيمان؟ فهذا السؤال لا داعي له، أي إنسان يسألك ويقول: هل الأعمال شرط لكمال الإيمان أو شرط لصحة الإيمان؟

نقول له: الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أشرف منك وأعلم منك، وأحرص منك على الخير، ولم يسألوا الرسول ﷺ هذا السؤال إذا يسعك ما وسعهم. إذا دلَّ الدليل على أن هذا العمل يخرج به الإنسان من الإسلام صار

(١) شرح الأربعين النووية، ص (٤٠٣).

شرطاً لصحة الإيمان، وإذا دَلَّ دليل على أنه لا يخرج صار شرطاً لكمال الإيمان وانتهى الموضوع، أما أن تحاول الأخذ والرد والنزاع، ثم من خالفك قلت: هذا مرجئ؛ ومن وافقك رضيت عنه، وإن زاد قلت: هذا من الخوارج، وهذا غير صحيح».

طبعاً ليس من هذا الخلاف من يقول إن مجرد النطق بالشهادتين بدون العمل كافٍ في دخول الجنة، فإن هذا إرجاء محض، وهو في معنى قول المرجئة: إن العمل ليس من الإيمان.

ومن انحراف القطبيين في فقه الواقع: التعدي على كبار العلماء لدرجة لا يمكن أن يتصورها طالب علم؛ فقد قال ناصر العمر للإمام عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «أنا أكتب الفتوى وأجهزها وأنت توقع عليها».

وليته صنع مثل ذلك مع قيادات الإخوان المسلمين في نقضهم عرى الإسلام عروة عروة، كما في قول القرضاوي: «الحرية قبل الشريعة»؛ وفي قوله: «لا نمنع الردة»؛ وفي قول الغنوشي: «سنبقي الحداثة التي ابتدأها أبو رقية».

قال العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «دعوة الإخوان المسلمين نكبة على الدعوة، دعوة سياسية، فهم يأتون السُّني إذا احتاجوا إليه، والبعثي بالوجه البعثي إذا احتاجوا إليه، والشيوعي بالوجه الشيوعي».

(١) تحفة المجيب، ص (٢٠٩).

والشيء بالشيء يُذكر، فعند أن كنا في الجامعة الإسلامية، كانوا يصرخون يقولون: الشيوعية احتلت البلاد وأنتم تبقون تدرسون هاهنا، ثم إذا قدمتم إلى بلدكم ستؤخذون من المطار، فهم يستغلون الفرص ويستثيرون الناس، ولما جاءت الشيوعية انسدحوا لها، وأهلاً وسهلاً بالأخ علي سالم البيض، وقال الأخ علي سالم البيض كذا وكذا؛ وأنكروا عليّ لماذا أقول: إن علي سالم البيض كافر؛ فهو عندهم في أول الأمر شيوعي، ثم بعد ذلك مسلم، وفي وقت الحرب كافر، فهم ليس لهم مبدأ، ويمكن أن يتقربوا بالسني إلى الولاية».

ومن انحراف القطبيين في فقه الواقع أن تعلم أنهم أسقطوا جماعتنا في عقيدتهم وأنهم ساعون لإسقاطها في أرض الواقع؛ قال د: صلاح الصاوي<sup>(١)</sup>: «فقد علمت خصومة المشتغلين بالعمل الإسلامي مع الأنظمة، وعدم إقرارهم بشرعيتها، وإعلان جمهورهم بكفرها والبراءة منها».

ويقول الصاوي عن أحاديث السمع والطاعة لولاتنا بالمعروف<sup>(٢)</sup>: «ألا يقصد به منازعة السلطان المسلم - إن وجد -».

فالإخوان المسلمون يقول مرشدهم العام حسن البنا<sup>(٣)</sup>: «وكلمة لا بد أن نقولها في هذا الموقف هي أن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات من ينهض بهذا العبء، وكلمة ثانية أنه ليس أعم في الخطأ ظن

(١) الثوابت والمتغيرات، ص (٣٠٠).

(٢) الثوابت والمتغيرات، ص (٢٢٧).

(٣) الطريق إلى جماعة المسلمين، ص (٣٦١، ٣٦٢).



بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم».

وقد تسلل الإخوان المسلمون إلى جامعاتنا وكتبوا فيها رسائل تقرر منهج البناء، وهو عدم الاعتراف بجماعتنا وعدم الولاء لها، والدعوة إلى إقامة حزب الإخوان المسلمين، وجعله حاكماً لديارنا.

يقول حسين بن محسن بن علي جابر بعد ذكره لمجموعة من المقدمات لإسقاط جماعتنا، وختمه بتقرير حقيقة منهج البناء<sup>(١)</sup>: «هذه الأدلة كلها تدل على عدم وجود جماعة المسلمين في حياة الأمة الإسلامية، وعليه فواجب الأمة الإسلامية كافة أن تسعى لإيجاد هذه الجماعة».

ومن فقه واقع الأحزاب أنهم يتكتمون شرورهم ويبطنون التكفير لولاتنا والخروج عليهم، فإذا قويت شوكتهم أظهروا ما يبطنونه من التكفير.

قال العلامة المحدث أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «شأن الحزبيين أنهم يدعون في البداية إلى الكتاب والسنة حتى يألفهم الناس، وحتى تشتد عضلاتهم، فإذا علموا أن الكلام ليس مؤثراً فيهم أظهروا ما عندهم».

(١) الطريق إلى جماعة المسلمين (٣٦)، وهي رسالة ماجستير قُدمت في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٢) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب، ص ١٨٦.

ومجلة «السنة» التي ينبغي أن تسمى 'مجلة «البدعة»، تنفر عن أهل العلم، وترميهم بالجمود والعمالة، وبعدم فقه الواقع.

والحمد لله ظهرت حقيقة السروريين في قضية الخليج، والفضل في هذا لله عزَّجَلَّ.

وهذا المنهج القطبي السروري واضح في رموزه اليوم، نشاهده بوضوح، فالعريفي كان واعظاً حتى صنع له قاعدة شعبية، فأخذ بعد ذلك في نصره القاعدة في مقابلة له مع قناة «الجزيرة»، وفي تغريداته يثني على حامد ابن عبد الله العلي.

ويقول د: صلاح الصاوي مفصلاً عن منهج التقية الحركي السروري القطبي لحزبه<sup>(١)</sup>: «ولا يبعد القول بأن مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض هذه الأعمال الجهادية - التفجير -، ويظهر النكير عليها آخرون».

ويقول د: جاسم الياسين متحدثاً عن مواقف حركة الإخوان المسلمين السياسية<sup>(٢)</sup>: «فما من تعاون مع حزب معيب أو تصريح بثناء على فعلة حسنة من حاكم لم يتم إسلامه أو ما شابه ذلك، إلا وللقيادات فيها تأويل ستخرج وفق هذا الإفتاء».

فالإخوان المسلمون أفصحوا عن حقيقة تقيتهم الحركية، وواجب المسلم

(١) الثواب والمتغيرات، ص (٢٥٨)، وهو من إصدارات المنتدى الإسلامي بلندن.

(٢) للدعاة فقط، ص (١٦١، ١٦٢).

الدعوة إلى الله والسعي في إصلاح الجماعة وفق الاستطاعة، لا أن يتخذ النفاق منهجاً في دعوته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي؛ فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيذان».

ومن فقه واقع أحزاب الإسلام السياسي أن تعلم أنهم ليسوا أصحاب مبدأ، وينقلبون على الشريعة التي يسعون لتطبيقها، وهذا سببه فساد النية، وفساد العقيدة، وعدم الصبر على دعوة النبيين عليهم السلام.

فالبدع التي انتحلوها أو هنت تعظيم الشريعة في نفوسهم فباعوها من أجل الوصول إلى السلطة، فأسقطوا الإسلام ليقيموه بعد ذلك، زعموا!!!  
ووازن - أيها المسلم - بين مواقف علمائنا ومواقف دعاة الإخوان المسلمين والقطبيين والسروريين، تجد ثبات علمائنا على عقيدتهم ومنهجهم، وترى تلون القطبيين والسروريين في مبادئهم ومنهجهم.

انظر على سبيل المثال فرق ما بين مواقف علمائنا من الطاغية القذافي، ومواقف القطبيين والسروريين، فعلمائنا من حين ولي القذافي الحكم ناصحوه وحذروه من الاشتراكية، ولما أصرَّ على كفرياته حكموا بما يقتضيه حاله من

الكفر والضلال.

أما القطبيون السروريون فذهبوا يمدحونه ويعظمونه ويكيلون له المديح، وهو من هو في شره وظلمه، ونسي بعضهم من القذافي، وأكلوا من حلوائه فسقطوا في أهوائه، والناس شاهدوا سلمان العودة في ضيافة سيف الإسلام القذافي.





الفصل الرابع

**فقه الواقع**

**الواجب الاهتمام به**



الناس في زماننا هذا طرفان ووسط، طرف غالٍ مسرف لدرجة الإغراق في سماع وقراءة وسائل إعلام الكافرين بدعوى فقه الواقع، مع تلقيه لأكثرها بالقبول، دون تمحيص بين حقائقها وزيفها، وهذا الصنف يريد من شباب الأمة أن يكونوا على هذا المنهج من تضييع طلب العلم الشرعي، حتى صار كثير من عامة المسلمين حظه من عقيدة دينه وأحكامه ثقافة إسلامية، لذلك ترى هذا الصنف من المثقفين ينحرف في عقيدته وإسلامه، فينهر بالغرب، فيحاول صياغة الإسلام صياغة علمانية؛ ومنهم من انحرف أكثر من ذلك فصار يُقدّم الحرية على الشريعة، كطارق سويدان.

ويقابله صنف آخر يطلب علم معاني الكتاب والسنة متلقيًا منه عقيدته وأحكامه، معرضًا عن معاني القرآن والسنة في تقويم المسلمين في أحوالهم المعاصرة، كأن القرآن أنزل في قوم قد مضوا، أو أنه دين عبادة فقط محصور في المسجد لا يتجاوزه.

وقد كان سلفنا الصالح يعملون نصوص القرآن في النوازل التي تنزل فيهم، فهذا الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَأَى يَوْمَ الْجُمْلِ مَا رَأَى، قَالَ (١): مَا عَلِمْتُ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيْنَا - أصحاب رسول الله ﷺ - حَتَّى كَانَ هَذَا الْيَوْمَ، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٥٨).



ومن أمثلة الوسطية في إنزال الآيات في الواقع إنزالاً صحيحاً يتفق مع الواقع، ويتطابق مع دلالات الآيات - ما أشار إليه بعض السلف في شأن إسلام سحرة فرعون لما شاهدوا معجزات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٤٦ - ٤٨]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «عجباً لقوم كافرين سحرة من أشد الناس كفرًا، رسخ الإيمان في قلوبهم حين قالوا ما قالوا، ولم يبالوا بعذاب فرعون، وترى الرجل من هؤلاء يصحب الإيمان ستين سنة، ثم يبيعه بثمن يسير».

ومن أعظم ما تجب العناية فيه من فقه الواقع أمر التوحيد؛ فإن النبي ﷺ أخبر أن الشرك سيعود إلى الأمة الإسلامية، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات لنساء دوس على ذي الخلصة».

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى».

وقال أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين،

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٣٤٣).

(٢) رواه البخاري كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان، (ص: ١٢٢٦، رقم: ٧١١٥)، ورواه

مسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (ص: ١٢٥٩، رقم: ٧٢٩٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (ص: ١٢٥٩، رقم: ٧٢٩٩).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن (ص: ٥٩٦، رقم: ٤٢٥٢).

وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وهذا وقع، ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبد القبور، ويعظمون أصحابها، ويسألونهم الحاجات والرغبات، ويلتجئون إليها».

فإذا كان هذا واقع المسلمين فهو أولى ما ينبغي أن تنصرف جهود الدعاة في إصلاحه، فلا يقبل الله من أحد عملاً مع فساد التوحيد، لا صدقة ولا سياسة ولا غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤]؛ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

والنبي ﷺ قال لرويف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس: أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه»<sup>(٢)</sup>.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله<sup>(٣)</sup>: «فأخبر الناس»، هذا فيه دليل على تبليغ العلم، ونشر العقيدة، والدعوة إليها، وإنكار الشرك، وأن الإنسان محمل هذه الأمانة، لا يتخلى عنها، ويترك الناس يقعون في الشرك

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ص (٣٠٦).

(٢) رواه أحمد، وصححه الحافظ النووي والعلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد (١/٣٦٨)، وجوده العلامة المحدث عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه للتيسير (٢/٢٢٦).

(٣) إغاثة المستفيد (١/١٥١، ١٥٢).

وفساد العقيدة، وهو ساكت، ثم يقول: اتركوا الناس مجتمعين، لا تفرقوا بين الناس، حاربوا الشيوعية، وحاربوا المذاهب الهدامة، واركوا الشرك!!

وهل هناك أشد من الشرك؟

الشرك هو أكبر المذاهب الهدامة، وهذا القول يدسه علينا الأعداء إما من اليهود والماسونية أو غيرهم، ويأخذه بعض المغرورين من شبابنا على أنه صحيح، وهو يقصد منه هدم الإسلام، وهدم العقيدة؛ لأنه إذا ترك الشرك فسدت العقيدة».

والدعوة إلى التحذير من الشرك فيه حفظ أديان الناس وحسن عاقبتهم في الآخرة، والشرك لا ينحصر في عبادة الأصنام، بل تجددت صورته وأشكاله، فالنصيحة للمؤمنين توجب الاعتناء بالتوحيد والتحذير من الشرك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمُّنه له، ويظنُّه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم وشرُّ منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

(١) بواسطة تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٩٤).

وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمّه وقع فيه وأقرّه ودعا إليه وصوّبه وحسنه، وهو لا يعرف أن الذي كان عليه أهل الجاهلية نظيره أو شرّاً منه أو دونه، فتنقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان».

وانظر الآن ما يقع في صحفنا من أنواع الشرك الذي جهل بعض المسلمين حقيقته، أو نسوا أنه صورة من صورته، وهو شرك التنجيم؛ حيث جعلوا للناس أبراجاً بحسب شهور ولادتهم، ويذكرون في ذلك أنواعاً من الصفات لمواليد كل شهر، وما سيجري له من حوادث، فهذا كله من الشرك وادعاء علم الغيب.

ومن فقه الواقع الواجب تعلّمه: ملاحظة مسارعة الكفار للدعوة إلى كفرهم في أقطار الدنيا، وتقصير المسلمين مع أن دينهم حق؛ قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إذا نظرنا إلى حالنا نحن المسلمين اليوم وجدنا أن عندنا تقصيراً عظيماً، وأن النصراني - على باطلهم - أقوى منا في الدعوة، مع أنهم يدعون إلى الضلال، وإلى دين منسوخ، وإلى دين محرّف، ومع ذلك يبذلون النفس والنفيس في تنصير الناس، فيقطعون الفيافي والمفاوز والمخاطر، لأجل الدعوة إلى هذا الدين الذي هم عليه، ويبذلون أموالاً كثيرة في بناء المستشفيات والمدارس وتحصيل الكسوة والنفقة، مع أن

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٦/٢١، ٢٢).

الواجب في هذا الأمر أن يقوم به المسلمون.

ودين الإسلام دين الفطرة، فأبي إنسان تعرّض عليه دين الإسلام عرضاً صحيحاً سليماً فإنه سوف يقبله، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]؛ ومعلوم أن ما يوافق الفطرة فهو مقبول».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله<sup>(١)</sup>: «ومن هنا يظهر خطأ هؤلاء الذين يقولون: لا داعي أن نتعلم العقائد الباطلة ونعرف المذاهب الباطلة، ونرد على المعتزلة والجهمية؛ لأنهم بادوا وذهبوا، علّموا الناس التوحيد ويكفي. أو بعضهم يقول: لا تعلّموهم التوحيد؛ لأنهم أولاد فطرة، ونشأوا في بلاد المسلمين، علّموهم أمور الدنيا: الصناعات والاختراعات والأمور الحديثة، أما التوحيد فيحصلونه بفطرتهم وبيئتهم. نعم وُجد من يقول هذا، وبعض الناس يقول: الناس تجاوزوا مرحلة الخرافات؛ لأنهم تثقفوا وعرفوا، فلا يمكن أنهم يشركون بعد ذلك؛ لأن الشرك كان في الجاهلية، يوم كان الناس سذجاً، ويسمون الشرك في العبادة شركاً ساذجاً، والشرك عندهم ما يسمونه بالشرك السياسي، أو شرك السلاطين، أو شرك الحاكمية.

وكل هذه من حيل الشيطان لبني آدم، والواجب أننا، كما نعرف الحق يجب أن نعرف الباطل، من أجل أن نعمل بالحق، ونتجنّب الباطل، ولهذا المناسبة العظيمة ذكر الشيخ - محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ - «باب الخوف

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٩٣ - ٩٤)، ط: دار السنة.

من الشرك»، بعدما ذكر أبواب التوحيد وفضله، وما يكفر من الذنوب، وتحقيق التوحيد نعمة عظيمة لكن إذا حازها الإنسان، فإنه يخشى من ضدها، فلا بد أن يعرف ضدها، حتى يتجنبه، فلننتبه لهذا الأمر، فإن هناك أناسًا الآن كثيرين يزهّدون في تعلم هذه الأمور: تعلم التوحيد، تعلم الشرك، معرفة الشبه والضلال؛ يزهّدون في هذه الأمور، وهذا إما من جهلهم، وعدم معرفتهم، وإما لأنهم يريدون الدّس على المسلمين، وإفساد عقيدة المسلمين، فلنحذر من هذا الأمر.

سمعنا من يقول: إن الذي يدرّس عقائد المعتزلة. والرد عليهم مثل الذي يرمم القبر؛ لأنهم ماتوا، يقولون كذا، نقول: يا سبحان الله! هم ماتوا بأشخاصهم، لكن مذاهبهم باقية، وشبهاتهم باقية، وكتبهم تُطبع الآن وتُحقق، وينفق عليها الأموال، وتُروّج، فكيف نقول: نتركهم لأنهم ماتوا. والله تعالى ذكر شبهات المشركين من الأمم السابقة: فرعون، وهامان، وقارون، وقوم نوح، وعاد، وثمود، مع أنها أمم بائدة، ذكر شبهها ورد عليها، فالعبرة ليست بالأشخاص، العبرة بالمذاهب، والعبرة بالشبه الباقية، ولكل قوم وارث».

الآن الأمة الإسلامية واقعها يوجب على طلبة العلم والعلماء نشر العقيدة الصحيحة؛ فالمبتدعة أفسدوا على الناس توحيدهم وزيّنوا لهم الخرافة والشرك، وبعض أبناء جلدتنا ساعون في إقصاء الشريعة عن كل نواحي الحياة وحصرها في المسجد، فصيانة مجتمعات المسلمين عن هذا الشر من أوجب الواجبات، وأهم المهمات.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «أما من مجاهدته بالعلم والبيان فهو الذي يتسمّى بالإسلامي، وليس من المسلمين، مثل المنافقين وأهل البدع المكفّرة، وما أشبه ذلك، فإن هؤلاء لا يمكن أن نجاهدهم بالسلاح؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام وأنهم معنا، ولكننا نجاهدهم بالعلم والبيان، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فجهاد الكفار يكون بالسلاح، وجهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان.

ولهذا كان الرسول ﷺ يعلم المنافقين، ويعلمهم بأعيانهم، ولكن لا يقتلهم، واستؤذن في قتلهم، فقال: «لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه» فكذلك الذين ينضون تحت لواء الإسلام من أهل البدع لا نقاتلهم بالسلاح، لكننا نقاتلهم بالعلم والبيان.

ولهذا كان واجباً على شباب الأمة الإسلامية أن يتعلّموا العلم على وجه راسخ ثابت، لا وجه سطحي كما يوجد في كثير من بيوت العلم؛ حيث يتعلّمون علماً سطحياً لا يرسخ بالذهن، علماً يقصد به الإنسان أن يحصل على بطاقة أو شهادة فقط، ولكن العلم الحقيقي هو العلم الذي يرسخ في القلب، ويكون كالمملكة للإنسان، حتى إن الإنسان الذي يوفق لهذا النوع من العلم، تجده لا تكاد تأتيه مسألة من المسائل إلا عرف كيف يخرّجها على الأصح من الكتاب والسنة والقياس الصحيح، فلا بد من علم

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٥، ٥٦).

راسخ.

والناس اليوم في عصرنا محتاجون إلى هذا النوع من العلم؛ لأن البدع بدأ يفشو ظلامها في بلادنا هذه، بعد أن كانت نزيهة منها، لكن نظرًا لانفتاحنا على الناس، وانفتاح الناس علينا، وذهاب بعضنا إلى بلاد أخرى، ومجيء آخرين إلى بلادنا ليسوا على عقيدة سليمة، بدأت البدع تظهر ويفشو ظلامها، وهذه البدع تحتاج إلى نور من العلم يضيء الطريق حتى لا يصيب بلادنا ما أصاب غيرها من البدع المنكرة العظيمة التي قد تصل إلى الكفر - والعياذ بالله -، فلا بدّ من مجاهدة أهل البدع وأهل النفاق بالعلم والبيان، وبيان بطلان ما هم عليه، بالأدلة المقنعة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم».

وكان السلف نافذي البصيرة في فقه واقع الشرك والبدع، وطرائق الماكرين من أئمة البدع وأتباعهم الذين كلما أطفأ الله نور بدعتهم بمن استعملهم الله في نصرة دينه، صاغوا ضلالهم وبدعتهم في قوالب وصور أخرى.

فالجهمية لما أطفأ الله فتنة قولهم بخلق القرآن، وظهر للناس فسادها، وتبينوا ما فيها من كفر؛ لأن القرآن كلام الله، وصفات الله قائمة به سبحانه، والله ليس بمخلوق - أظهروا بدعتهم في صياغة أخرى وقالوا: «لفظنا بالقرآن مخلوق».

وقد حسم الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ هذا الباب على المبتدعة، وقطع



عليهم طريق إشاعة القول بخلق القرآن بصورة أخرى، فقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع».

فأراد الإمام أحمد قطع الطريق على الجهمية في سعيهم لإعادة فنتهم بالقول بخلق القرآن؛ لأن حقيقة هذه المسألة تدور على مراد المتكلم بها؛ حيث يتمل أن يتكلم باللفظ من يريد المفوظ وهو كلام الله، ويتمل أن يتكلم باللفظ من يريد فعل العبد، فلما كان هذا مرده إلى النيات، والتي هي في القلوب، وكانت بدعة خلق القرآن تغلي في ديار المسلمين - منع الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ من هذه المقالة؛ ليدراً الشر عن الأمة مطلقاً، فلا تقوم لبدعة القول بخلق القرآن قائمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>: «وكان أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ وغيره من السلف ينكرون على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ ويقولون: من قال: هو مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، فإن اللفظ يُراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً، ويُراد باللفظ المفوظ به، وهو نفس الحروف المنطوقة».

فسكوت من سكت وقت خوض الناس في بدعة خلق القرآن غير مقبول، وهو من أسباب إضعاف الحق ونصرة وتقوية الباطل، ولهذا لما سُئل الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم

(١) سؤالات أهل الرحبة، ص (١٠٢، ١٠٣).

يسكت؟ فقال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟! (١)

وقال الإمام أحمد - أيضًا - رَحِمَهُ اللهُ: هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم إما حلال وإما حرام، إما هكذا وإما هكذا، قد نزه الله عَزَّوَجَلَّ القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجع هؤلاء إلى أن يقولوا: إنه مخلوق؛ فاستحسنوا لأنفسهم، فأظهروا الوقف (٢).

ومن فقه الواقع: الذي كان عليه سلفنا نقد بل وتبديع الساكت عن رد البدع والأهواء.

فهذا الحسن بن علي الهذلي الحلواني، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: ما أعرفه بطلب الحديث، ولا رأيته يطلب الحديث.

قلت: إنه يذكر أنه كان ملازمًا ليزيد بن هارون. فقال: ما أعرفه، إلا أنه جاءني إلى هاهنا يُسَلِّم عليّ، ولم يحمده أبي؛ ثم قال: تبلغني عنه أشياء أكرهها، ولم أر أبي يستحفه، وقال أبي مرة أخرى: أهل الثغر عنه غير راضين، أو كلامًا هذا معناه (٣).

والسبب الذي من أجله كره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ الحسن الحلواني سكوته عن تكفير من توقف في القرآن، قال داود بن الحسين البيهقي: بلغني أن

(١) المسائل والرسائل (١/ ٢٥٢).

(٢) السنة للخلال (٥/ ١٣٤، رقم: ١٧٩٧).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٢٦٢).

الحسن بن علي الحلواني قال: إني لا أكفر من وقف في القرآن، فتركوا علمه<sup>(١)</sup>.

ومن فقه الواقع: الواجب معرفته في هذه الأيام؛ لأنه المدخل لإسقاط الإسلام وشرائعه - شعار «الحرية»، وأحياناً الشعار يكون أكثر تفصيلاً إذا جاء من أعوان الكفار ومع الأسف ممن ينتسب إلى الدعوة للإسلام، وهذا أخطر، فيكون «الحرية قبل الشريعة».

والآن ظهر جلياً أن هذا الشعار صنعه الإخوان المسلمون؛ لتبرير تعطيل الشريعة إذا ولوا الحكم، وهذا سببه أن وصولهم لسدة الحكم جاء عن طريق الكفار، ولو أنهم وصلوا للحكم عن طريق لزوم شرع الله، الذي هو من أسباب التمكين - لامتنع أن ينقضوا الإسلام من أجل الوصول للسلطة، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

ومن فقه الواقع: الذي ينبغي انصراف الهمم إليه معرفة أحوال الكافرين؛ ليحذر المسلم من مشابهتهم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك»<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب الكمال (٦/٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «التبعن سنن من كان قبلكم»، (ص ١٢٦٠ - رقم ٧٣١٩).

قال العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «قد وقع بقية ذلك أيضًا من زمن طويل، خصوصًا في هذا الزمان الحاضر، فهذه الأحاديث من أعلام النبوة، وقد سار الناس سيرة النصارى وغيرهم في كل شيء، حتى المأكل والمشرب والمسكن والمركب، والاعتقاد والعمل والعلم، وما يشابه ذلك، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإنا لله وإنا إليه راجعون على غربة الدين، وذهاب العلم واليقين، وفساد الأعمال، واختلال الأقوال، وخراب العقائد، واتباع العوائد».

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم حدو القذة بالقذة، حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه».

ومن فقه الواقع الواجب معرفته: معرفة زيف حضارة الدول الكافرة، وأنها توشك أن تنهار؛ لأنها مؤسسة على الكفر، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَاجِرٍ هَاكِرٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «ما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والغدر، وبهذين الأمرين - مع

(١) عون الباري (١٠/٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٦/١٢٧، ١٢٨).

بقية أصول الدين - حصل للدين الإسلامي من العز والشرف والرقى وقهر الأمم الطاغية ما لم يحصل لغيره.

وبهذه الروح - روح الرحمة والعدل والوفاء - وصل الدين الإسلامي إلى مشارق الأرض ومغاربها، ودانت به الأمم المتباينة طوعاً وانقياداً ورغبة، وبتركة انتقض الأمر، ولم يزل الهبوط مستمرًا، إلا أنه يحصل نفحات في بعض الأوقات بها يتتعش الدين إذا تشبث المسلمون بشيء من هذه المقومات النافعة.

ولهذا تجدد القوات والحضارات الهائلة، التي يزعم أهلها أنها راقية في كل أحوالها لَمَّا كانت مبنية على الظلم والجشع والطمع وعدم المبالاة في ظلم الأمم الضعيفة، وكانت إذا قطعت عهودها ونفذت معاهداتها لم تبال بعد ذلك وف أو غدرت، وإنما تلاحظ أطماعها الخاصة وأغراضها الردية، ولسان حالهم يقول: السياسة مبنية على المكر والخدع والختر والغدر.

لما كانت مع قوتها الهائلة مبنية على هذه الأصول المنهارة، كانت هذه المدنية المزعومة والحضارة المدعاة مهددة كل وقت بالفناء والهلاك والتدمير، والواقع أكبر شاهد على ذلك، فلو أنها بنيت على الدين الحق والعدل، واتباع الحق والوفاء بالمعاهدات ونصر المظلومين لكانت مدنية آمنة، ولكنها في الحقيقة مادية محضة، والقوة المادية إذا لم تبني على الحق فإنها منهارة لا محالة، وربما كان سلاحها الفتاك هو مادة هلاكها وعقوبتها».

والواجب على المسلمين معرفة واقع انحراف أهل الكتاب عن دينهم

الذي بُعث به أنبياءهم عليهم السلام، فقد حرفوه وبدلوه، وهم مع ذلك في أغلبهم علمانيون مفارقون لدينهم المنسوخ المحرّف المبدل.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الرسول ﷺ بُعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل الكتاب، فلم يمكث دينه مدةً غير كثيرة حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام ومصر والعراق وما جاورها من البلدان التي هي مقرّ دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحقّ، ومن تبعهم من العوامّ الجهلة، ومن تدبّر دينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم دهريةً منحلّون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحيّ؛ ترويحًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيّنة الظاهرة».

ومن أكد ما ينبغي معرفته من فقه الواقع معرفة ما صار إليه أذئاب الغرب الذين اتخذهم الغرب معاول هدم لإفساد ديارنا، وصاروا ولائج الكفار يجعلونهم مطايا للتدخل في شؤوننا الداخلية، ويستخدمونهم في التضييق على الملايين من الجاليات المسلمة في بلاد الكفر كالمسعري، وعمر بكري، وسعد الفقيه.

قال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «إننا لا نبغي «التجديد» الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا، إننا نبغي مرضاة الله عزَّوجلَّ،

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٧٣١).

(٢) رسائل أئمة دعوة التوحيد، ص (١٥٢ - ١٥٤)، جمع د: فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد

ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه، وهو ناصره.

فالمسلمون لا يعوزهم التجديد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فانغمسوا في حمأة الشرور والآثام، فخذلهم الله جلَّ شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام، ولما أضاعوا عزهم وفخارهم.

لقد كنت لا شيء، وأصبحت اليوم وقد سيطرت على بلاد شاسعة يحدها شمالاً العراق وبر الشام، وجنوباً اليمن، وغرباً البحر الأحمر، وشرقاً الخليج، لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن «التجديد» غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فنصرني الله نصرًا عزيزًا.

لقد خرجت وأنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليّ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائي، وفتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن خطأ الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب، إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين، فيعمل بمفرده، فهل يعقل أن فرداً في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس، إذا لم يكن له من

هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بأرائهم وأعمالهم؟

كلا ثم كلا، فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا، أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم<sup>(١)</sup>.

إذن فاللوم واقع على المسلمين وحدهم، لا على الأجنبي؛ إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه، إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم.

في بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام، وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا، ولكن لن يتم لهم ذلك - إن شاء الله - وفينا عرق ينبض.

أجل، إن المسلمين هم مصدر البلاء الذي أصابهم، وأكثر ذلك يتأتى عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة، ومنافعهم الذاتية، فيدوسون في سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق، إن هؤلاء الذين يكتزون الذهب والفضة، وينامون على الوثير من الفراش، لا يفكرون إلا في أنفسهم، ولم يحسبوا الله حساباً.

إن المسلمين بخير إذا اتفقوا، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

(١) ومن أراد أن يعرف حقيقة ما قاله الملك عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ، فليتذكَّر ما جرى للكويت أيام الاحتلال البعثي الصدامي، فإن بعض العرب وأكثر أو كل جماعات الإسلام السياسي ناصرَت هذا الظلم والاحتلال والعدوان.



ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقوا فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبما جاء فيهما، والدعوة إلى التوحيد الخالص، فإنني حينذاك أتقدم إليهم، فأسير وإياهم جنباً إلى جنب في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها.

والله إنني لا أحب الملك وأهفته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك، وليتفقوا، فإنني أسير وقتئذ معهم، لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير، بل بصفة خادم، أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي، والله على ما أقول شهيد، وهو خير الشاهدين».

ومن فقه الواقع: أن تفهم ما جرى للملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ من معاهدات سياسية اضطر إليها وأوجبتها ظروف تمييد بعض الخصوم، والكل يعرف أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة صالح اليهود صلح موادة؛ لتحديد بعض الأعداء، وهنا يظهر لنا كيف استفاد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ مما جرى للدولة السعودية الأولى التي أقامها جده الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ اللهُ؛ حيث كانت قائمة بأمر الله وشرعه ونصرة دينه فنصرها الله، فتكالب عليها أنواع الأعداء من الكفار والمبتدعة، وكان أشدهم أذىً للدعوة وتنكيلاً بأمتها دولة العثمانيين المبتدعين؛ حيث أوقعوا في الدولة السعودية ما لم يوقعه الكفار، فقاموا باحتلال بعض نواحي الدولة السعودية، وهدموا عاصمتها الدرعية، وقتلوا ولايتها وعلماءها، وأسقطوا دولة كانت قائمة بأمر الله وشرعه<sup>(١)</sup>.

(١) بعض المبتدعين يبرر الاحتلال والقتل العثماني بدعوى أن الدولة السعودية خرجت على الدولة

ولما اشتد بنیان الدولة السعودية الثالثة التي جمع شتاتها الملك عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ قام بإنهاء الاتفاقية التي أبرمها مع الإنكليز من قبل اضطراراً، وكانت تُعرف باتفاقية «دارين» أو اتفاقية «العقير»، وهي أشبه بالوصاية البريطانية؛ إذ كان من جملة بنودها أن لا يمنح الملك عبد العزيز أي امتياز في بلاده لدولة أجنبية إلا بإذن الإنجليز، وألا يدخل في أية مفاوضات مع أي دولة أجنبية إلا بإذنتهم.

ولإنهاء اتفاقية «دارين» انتدب الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل رحمه الله لمفاوضة الإنجليز، وإنهاء الاتفاقية وإلغائها، ووصل جدة الجنرال كلايتون من الجانب الإنجليزي، وبعد انتهاء المفاوضات بين الملك فيصل رَحْمَةُ اللَّهِ وكلايتون، أبرم الطرفان السعودي والبريطاني اتفاقية جدة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٢٧ م، وكان من بنودها اعتراف بريطانيا باستقلال الدولة السعودية، وإبطال اتفاقية «دارين»<sup>(١)</sup>.

قال حازم السامرائي<sup>(٢)</sup>: «وما كان أسعد الأمير فيصل في ذلك اليوم! وما كان أعظم سرور والده وهو يتقبل منه تلك الوثيقة الظاهرة التي حررت البلاد

العثمانية، والدرعية وعموم نجد لم تكن خاضعة للحكم العثماني، فال سعود كانوا هم الولاة، والعثمانيون غزاة.

ومن شروط ولي الأمر أن يكون عربياً مسلماً، وكان واجب العثمانيين أن يدخلوا تحت طاعة آل سعود، لا أن يسعوا إلى إزالة دولتهم.

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ص (٣٢ - ٣٤).

(٢) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ص (٣٤).

من شبهة النفوذ الإنجليزي».

ومن بصيرة علمائنا بالواقع معرفتهم بفرق المتدعين والضالين، والتحذير منها، لعظيم خطرها وضررها، فهي تفسد الأديان، ومن أسباب زوال الدول وسقوطها.

وكثير من الجاهلين من المتسبين للدعوة بسبب جهلهم أو اتباعهم مصالحهم - كانوا أعاوناً لهؤلاء المتدعين على إفساد أديان المسلمين، والتمكين لهم من قيادة ديار المسلمين.

وقد استغرب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ مَنْ لا يُكْفِرُ الجهمية، ويَبِينُ أن هذا لا يكون إلا مَنْ يجهل عقائدهم، فقال<sup>(١)</sup>: «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضلَّ في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يُكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم».

وكذلك بيّن علمائنا عظم ضرر الصوفية على الإسلام والمسلمين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في غلاة الصوفية كابن عربي وأشباهه<sup>(٢)</sup>: «يسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله، وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمناً ولياً لله، فيصير منافقاً عدواً لله».

(١) خلق أفعال العباد (ص: ١٩، رقم: ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٠).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَأْنِ الصُّوفِيَّةِ<sup>(١)</sup>:  
«استعمارهم لأفكار ضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين».

ومن فقه الواقع: الواجب معرفته وسائل وطرق المبتدعين في اختراق بلاد أهل السنة، وإفساد عقيدتها، وتخريب رعيتهَا عَلَى ولائها وعلماؤها.

قال سماحة المفتي العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ متحدثاً عن مكر الرافضة وجهودهم في إفساد عقيدة الدولة المصرية وشعبها<sup>(٢)</sup>: «الروافض يجمعون أموالاً عظيمة، ويرسلون إلى البلدان شخصاً أو أشخاصاً للدعوة إلى بدعهم، من ذلك ما جرى في مصر، حتى حصل من ذلك ما حصل من الوصول إلى تدريس مذهب الرافضة المخذول في الأزهر، فإن القمي من علماء الرافضة هناك منذ عشر سنوات، أولاً دعا إلى مسألة تقريب المذاهب، فكان في مصر هيئة نحو عشرة أشخاص وسعوا فيما شاء الله، ثم إنه فشل في هذا المسعى، ثم سعوا في طريق آخر وهو دفع الأموال إلى من له النفوذ، فدفعوا أموالاً كثيرة».

ومن فقه الواقع الواجب معرفته: معرفة أحوال شبابنا، وتحسس مشاكلهم، ومعالجتها بما يصونهم عن العقائد الكفرية والمذاهب البدعية، وصيانتهم عمن يستهدفهم في أخلاقهم وأموالهم خصوصاً ما يدمرهم تدميراً يستتبعه تدمير بلادنا كالمخدرات؛ لأنهم ثروة البلاد وأساسها الذي نعول عليه في

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٤٦).

(٢) مجموع رسائل وفتاوى العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤/ ١٤٢ - ١٤٣).

نهضة أوطاننا والقيام بشئونه الدينية والدنيوية.

قال سماحة الإمام العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الشباب بتوجيههم ورعايتهم، مثل النبتة إذا أحسن الزارع رعايتها نمت وأثمرت، وإذا أهملت تعثر نموها، وفقد الثمر منها مستقبلاً.

والشباب فيه طاقة حيوية، يحسن الاستفادة منها وتنميتها، وأسلم منهج في الحياة يربط الشباب بدينه وعلماؤه وأمته وبلاده - هو منهج الإسلام. فكلما ابتعد الشباب عن منهج دينهم الواضح، وسلكوا طريق الغلو أو الجفاء، أو التشدد والانعزال، فإن النتائج ستكون وخيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن مسئولية ولاية الأمور من قادة وعلماء ومفكرين مسئولية عظيمة، في الأخذ بأيديهم ورعايتهم وتوجيههم نحو منهج الإسلام، وتوضيحه لهم؛ ليأخذوه منهجاً وسلوكاً، وليسيروا وفق تعاليم شريعته، قدوة وتطبيقاً.

وهذا من أوجب الأمور وأكمل العلاج، وهو من باب النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، الذي به يكتمل الإيمان كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام.

كما أن ترك الشباب عرضة للأفكار الهدامة، والتصورات الخاطئة، وعدم الأخذ بيده، وتفهم آرائه وأفكاره، والإجابة عن كل تساؤلاته، وإيضاح الرأي الصحيح أمامه - قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه؛ فالواجب الأخذ بيده ليتجنب

كل ما يضر ويسلك ما ينفع، كما فعل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في عصور التاريخ المختلفة؛ حيث لم يحدث ردود فعل ذات خطر على الفرد والجماعة.

فليتعاون ولاية الأمور - كبارًا وصغارًا، علماء ومتعلمين، مفكرين ومسؤولين - مع الشباب في البيوت والمدارس، وفي المجتمعات والجامعات، كل هؤلاء يتعاونون على إرشاد الشباب وتوجيهه، وتهيئة الأجواء السليمة له؛ لبيدع فيها، في ظل العقيدة الإسلامية السمحة، منهج الإسلام الحكيم».

فالعناية بالشباب ضرورة فهم ثروتنا، فيجب حفظ عقيدتهم وأخلاقهم من الفساد، وتوظيف طاقاتهم في عمارة أوطانهم والقيام بالأعمال النافعة لهم ولأهلهم.

ولا أضّر على الشباب من الفراغ والبطالة وخلطاء السوء؛ قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «إني لأمقت الرجل أراه فارغًا، لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «ومن أعظم أصول الجهاد والتربية الاعتناء والاهتمام التام بشبان الأمة؛ فإنهم محل رجائها، وموضع أملها، ومادة قوتها وعزتها، وبصلاح تربيتهم تصلح الأحوال كلها، فعليهم أن يعتنوا بتربيتهم العالية، وأن يبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه

(١) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٩٢ - رقم ١٨٤): حدثنا عثمان بن أبي شيبة: أخبرنا وكيع عن الأعمش عن المسيب بن رافع، قال: قال عبد الله: إسناده كوفي، ورواته ثقات إلا أن المسيب لم يسمع من ابن مسعود.

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٦/٩٧).

الجميلة، والحزم والعزم، وجميع مبادئ الرجولة، وتدريبهم على المصاعب والمشاق والصبر على الأمور النافعة والثبات عليها، وتحذيرهم من الجبن والخور، والسير وراء المادة والطمع، والانطلاق في المجون والهزل والدعة، فإن ذلك مدعاة للتأخر العظيم، وشباب الحاضر هم رجال المستقبل، وبهم تعقد الآمال، وتدرك الأمور المهمة، فاجتهدوا أن يكونوا في خصال الخير والفضائل المثل الأعلى، وبأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثلى».

ومن فقه الواقع: الواجب معرفته سلوك الطرق الصحيحة في إصلاح الأمة، فالعناية بإصلاح الناس وتوجيههم أساس الإصلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وبهذا يتبين فساد وانحراف أحزاب الإسلام السياسي، الذين انهمكوا في توظيف قدراتهم للوصول للقيادة، وزاحم ذلك أو ضيَّع عنايتهم في بناء الأمة، فلما وصلوا إلى السلطة رفضهم الناس.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وأما تصعيد النظر إلى القيادة قبل بناء القاعدة المسلمة فهو انطلاق من فراغ، يشابه مسلك الخوارج من وجه، ونتيجته عمليات حصد لشباب الأمة، وإفناء للقدرات في زنازن السجون وغياهب القبور، وليس لهم من أثر إلا كالخط على الماء».

والرعية إذا صلحت صلحت الديار، ولم يكن للسلطان عليهم سبيل في إفساد دينهم، فهم منقادون لله لا له، لا ينزعون يداً من طاعة، طاعة لله.

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص (٦٣).

وانظر إلى زمن واحد، وولاية واحدة، كيف تكون حال كل بلدة بحسب صلاح أهلها، فأهل المدينة في زمن الوليد بن عبد الملك في غاية الصلاح، وأهل العراق أرهقهم بطش الحجاج بشقاقهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يروى أن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل أن يلي الخلافة كان نائباً للوليد بن عبد الملك على مدينة النبي ﷺ، وكان قد ساسهم سياسة سالحة، فقدم الحجاج من العراق، وقد سامهم سوء العذاب، فسأل أهل المدينة عن عمر: كيف هيئته فيكم؟ قالوا: ما نستطيع أن ننظر إليه هيئاً. قال: كيف محبتكم له؟ قالوا: هو أحبُّ إلينا من أهلنا. قال: فكيف أدبه فيكم؟ قالوا: ما بين الثلاثة أسواط إلى العشرة. قال: هذه هيئته، وهذه محبته، وهذا أدبه، هذا أمر من السماء!».

ومن تحقق بفقه الواقع الذي تحدّثنا عنه، وسلكه في إصلاح عقائد المسلمين وشؤونهم الدينية والدينية - أورثت دعوته كل خير، وحصل بها التزام ما أمر به رب العباد الذي لا يأمر إلا بخير.

ومعيار التقييم للدعوات هو الكتاب والسنة، ولا بد أن يظهر أثر الدعوات الصادقة على منهاج النبوة في صلاح الأمة، وكان ولا يزال أهل الدعوات المنحرفة والمبتدعة يسخرون من دعوة أهل السنة، ونرى آثار ضلالهم يبعد الأمة عن الصلاح الذي أمر الله به.

(١) السياسة الشرعية، ص (١٢٦).



ولنأخذ نموذجًا نقارن فيه بين الأئمة الناصحين والأئمة الجامدين المبتدعين:

قال الشيخ عبد المنان النورفوري - وهو من علماء القارة الهندية - مقارنةً بين الشيخ أنور الشاه الكشميري والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١): «إن الأستاذ أنور من رجال العلم له نظر بسيط في المتون والأسانيد، وهو من فحول الحنفية تيقظاً وبصراً في الحديث، ومع أنه شيخ الحديث في جامعة ديوبند لم يفرق ولم يعثر على الفرق بين مقام العلم عامة وبين مقام التجديد.

فالعالم قد يفرح بفهمه المصطلح ولا يتجاوز نظره إلى إصلاح ما أفسد الدهر من طبائع الناس، فيتكلم بالعلم المصطلح عنده، غير ملتفت إلى ما تقتضيه الأحوال، فيقول بألفاظ درسية كلامية، ويفرح بما عنده من العلم متفوهاً بفوائد القيود، متعرضاً إلى ما يتعارف الطلبة والمدرسون، غير مبالٍ بشدة المرض وأحوال المريض من الضعف والذبول، فعلمه - مع فرحه البالغ - لا يفيد شيئاً، ولا يغني من جوع.

والمجدد ينظر بدقة وغموض إلى ما ابتلي به العامة والخاصة من أمراض القلوب، وشيوع الضلال والجمود فيهم، وإلى علل وأسباب أنتجت فيهم هذه الكوارث المهلكة، فيكلم العامة بلسانهم والخاصة بلسانهم».

ثم قال (٢): «الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب هو إمام الحضرة والبدو، لم يتكلم في لهجة المتكلمين والمناطقية، وهو - رحمه الله وأعلى مقامه - لم يكن مدرساً

(١) إرشاد القاري إلى نقد فيض الباري (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٢) إرشاد القاري إلى نقد فيض الباري (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).

في الجوامع والمدارس، بل هو خالط الناس وعرف أمراضهم الظاهرة والباطنة، فكلمهم بلسان يفهمونه، وعالجهم بمعالجات قد تمرن وتدرّب هو وأمثاله بها.

والأستاذ أنور مدرس محقق في جزئيات الفقه، حافظ للكنز والهداية، يعرف دقائقها الفقهية، ومقام الإصلاح والتجديد أرفع منه بمرات، فإن المبتلى بالرخص المجرب للحيل لا يعرف مقام أرباب العزائم ولا يعرّج معارج أهل التجديد.

والعجب من جرأة الشيخ أنور أنه يزعم أن الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب بليدٌ قليل العلم، والتجربة تشهد أن ذكاء الشيخ أنور وعلمه لم يفد شيئاً سوى الجمود والتقليد، ومحمد بن عبد الوهاب صار إمام النهضة، وأصلح الله به بلاد نجد، واليمن والحجاز، وتأثر من علومه السامية العراق والشام ومصر، وعمّ فيوضه إلى أقطار البلاد الشاسعة، فقلة علمه وبلادة طبعه أسمى وأحسن من ذكاء الشيخ أنور، «وكثرة علمه»؛ فإنه لم يتجاوز من الجزئيات الفقهية والمسائل الخلافية الفرعية».

كن أيها المسلم على بصيرة من أن الأحزاب والجماعات والدول البدعية لا توفق لإقامة دولة باطلها، فإنها تظهر وتكون لها دولة ثم تضعف أو تذهب وتتلاشى، أما الحق فهو منصور أبداً إذا قام به أهله إخلاصاً وعلماً وعملاً، فالنبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». (ص ١٢٥٩ - رقم ٧٣١١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا

والدليل على تلاشي الباطل واضمحلاله قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي فَوَائِدِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>: «في هذا دليل على أن الإنسان إذا ابتدع بدعة فإنه لا يوفق لإقامتها، فيكون ضالاً في الأصل، وضالاً في الفرع».




---

تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (ص ٨٥٧ - رقم ٤٩٥١).  
 (١) تفسير سورة الحديد، ص (٤٢٨، ٤٢٩).

الفصل الخامس

**الواجب تكييف الواقع حسب الشريعة**



## الواجب تكييف الواقع حسب الشريعة

الثورات والانقلابات المتتابة في عالمنا العربي أوصلت الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم في بعض النواحي كتونس ومصر.

ولم يرفع الإخوان المسلمون شعار تطبيق الشريعة، بل رفعوا شعارات تطمئن العلمانيين والغرب بتعطيل الشريعة؛ كقول القرضاوي: «الحرية قبل الشريعة». وقول الغنوشي<sup>(١)</sup>: «لن نمنع الفنادق التي تقدم الخمور وبها مسابح، لكن سنوفر أيضًا إضافة لذلك خدمات ترفيهية راقية لطبقات متدينة».

وسارع أصحابهم من حزب الإخوان المسلمين عندنا كالدكتور خالد المذكور إلى مباركة هذا المنهج العلماني، بل ووصفوه بالحكمة!!!

فهذا الانحراف في دعوة الإخوان سببه الوصول للسلطة عن طريق الغرب؛ قال الغنوشي<sup>(٢)</sup>: «تلقينا إشارات غربية ترحب بوصولنا للسلطة».

ولما وصل هؤلاء للسلطة عارضهم الناس؛ لأنهم ما صدقوهم في دعوتهم، وما لزموا ما كانوا يستفتحون على الشعب من تطبيق الشريعة، ولأنه يبدو أن دعوتهم قبل وصولهم للسلطة لم يتلقها الناس بالقبول، وإلا لكانت دعوتهم

(١، ٢) صحيفة الوطن، عدد ٦ ذي القعدة ١٤٣٢ هـ.

مقبولة في أوساط شعبهم، ولو صدقوهم فيما كانوا يدعونهم إليه من تطبيق الشريعة لكان الناس أنصاراً لهم.

لا يجوز للإخوان المسلمين ولا غيرهم من الدعاة تبرير الواقع لتعطيل الشريعة، بل الواجب تكييف الواقع لتطبيق الشريعة.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «الأحكام الشرعية التي شرعها الله للعباد، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، يعني: إذا طبقت الشريعة فهي صالحة لكل زمان ومكان.

وهنا نشير إلى من توَسَّلَ بهذه العبارة إلى تكييف الشريعة حسب الواقع، فنقول: إنَّ هذا غلط عظيم، والواجب تكييف الواقع حسب الشريعة<sup>(٢)</sup>، وإذا كَيَّفَ الواقع حسب الشريعة صلحت الأمور، أما أن نكيِّفَ الشريعة حسب الواقع، ويكون لنا في كل زمان شريعة، أو في كل مكان شريعة، أو في كل أمة شريعة - فهذا يعني: أن الشريعة تبدل وتعَدَّل وتدخلها الأهواء».

وقال أيضاً شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «الواجب على

(١) تفسير سورة الأنعام، ص (٢٦٠).

(٢) وهذا الأمر لا يختص بالأمر، فبعض العلماء ابتلي بما هو نظيره، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا تجد بعض العلماء - رحمهم الله وعفا عنهم - الذين يتتحلون لمذاهبهم يجعلون الأدلة تبعاً لمذاهبهم، ثم يحاولون أن يلويوا أعناق النصوص إلى ما يقتضيه مذهبهم على وجه مستكره بعيد، وهذا من المصائب التي ابتلي بها بعض العلماء، والواجب أن يكون هواك تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ». شرح الأربعين النووية، ص (٤٦٧)، ط: ١٤٣٢ هـ.

(٣) الأدلة على بطلان الاشتراكية، ص (٢٨).

المسلم أن ينزل الوقائع والأنظمة ويطبّقها على النصوص، لا أن ينزل النصوص ويطبّقها على الأنظمة والوقائع، وهذا الأمر - أعني تطبيق النصوص على الواقع، وإن لم يكن في النصوص ما يدل عليه - أمرٌ ابتلي به كثير من المتأخرين الذين يزعمون أنهم للإسلام منتصرون، وأن هذا هو معنى كون الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، وهم في الحقيقة مفترون، فإنهم لم ينتصروا للإسلام، بل جعلوا الإسلام خاضعاً ذليلاً تابعاً لغيره، والواجب أن يجعل الإسلام عزيزاً متبوعاً، وأن تطبق الأحكام والنظم عليه حتى تصلح به الأمور وتستقيم، والله الموفق».

وقال سماحة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصّاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، وليس معنى ما ذكره العلماء من تغير الفتوى بتغير الأحوال ما ظنه من قلّ نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها؛ حيث ظنوا أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية وأغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخاطئة الوبية، ولهذا تجدهم يحامون عليها ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها مهما أمكنهم، فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه.

(١) تحكيم القوانين، مطبوع ضمن مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية القديمة المجموعة



وحينئذ معنى 'تغير الفتوى' بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه ما كان مستصحبة فيه الأصول الشرعية والعلل المرعية والمصالح التي جنسها مراد لله تعالى ورسوله ﷺ، ومن المعلوم أن أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل، وأنهم لا يعولون إلا على ما يلائم مراداتهم كائنه ما كانت، والواقع أصدق شاهد».

والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق لما قال<sup>(١)</sup>: «لا يجوز بتاتاً أن نوقع العقوبة الشرعية قبل إزالة أسباب الجريمة، والإعذار إلى الجانح والجانبي».

تعبه الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ فقال<sup>(٢)</sup>: «النصوص من الكتاب والسنة صريحة في وجوب إقامة الحد الشرعي على من ثبت عليه ما يوجبه».

وبيّن العلماء ضلال من يستخدم قاعدة (تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان) لتطويع الشرع لغرضٍ وواقعٍ مَنْ يعطله، لا مَنْ يُعْمَلُ القاعدة ضمن ضوابطها الشرعية، فقال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «وتغيّر الأحكام جرى على ألسنة بعض العلماء يريدون به شيئاً محدوداً، فأراد دعاة الضلالة في عصرنا أن يوسّعوا دائرته بحيث يزلزلون به قواعد الشريعة من أساسها».

إن من يقول بتغير بعض الأحكام يوجّه ذلك بأن الحكم إذا ثبت ترتبه على علة معروفة، فقد تكون العلة موجودة في أمر من الأمور في العهد النبوي،

(١) وجوب تطبيق الحدود الشرعية ص (٢٦).

(٢) تنبيهات وتعقيبات سماحة الإمام عبد العزيز بن باز على عبد الرحمن عبد الخالق، ص (٣٩).

(٣) مجموع رسائل العلامة المعلمي (١٨ / ٤٨١ - ٤٨٣).

فيثبت الشارع له ذلك الحكم، ثم قد يتفق زوال تلك العلة عن ذلك الأمر بعد العهد النبوي، فينبغي حينئذ أن ينتفي عنه ذلك الحكم.

وقد يكون الأمر سائماً من تلك العلة في العهد النبوي، فيثبت له الشارع حكماً آخر، ثم قد تحدث له العلة بعد العهد النبوي، فينبغي حينئذ أن يثبت له الحكم المناسب لها.

ومما قد يُمثَّل به لذلك حدُّ الخمر، المقصود منه الزجر، ولم يزد في العهد النبوي على أربعين جلدة لعدم المقتضى للزيادة، فلما تهاون الناس بعده بالأربعين اتفق الصحابة على زيادة أربعين أخرى؛ ليحصل المقصود، وهو الزجر.

وبيع أمهات الأولاد، لم يُمنع في العهد النبوي لغلبة الحاجة إلى المال، فلما غلب الاستغناء بعده ذهب أكثر الصحابة إلى منعه.

والطلاق المجموعة كانت تُعدُّ في العهد النبوي طلاقاً؛ لأنها لم تكن تقع إلا نادراً، فلم يكن هناك مقتضى للزجر عن الجمع والردع عنه، فلما كثر جمع الطلاقات في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ احتيج إلى زجرهم وردعهم، فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم! فأمضاه، ووافقهم الصحابة أو أكثرهم.

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهنَّ المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل.

وقال بعض العلماء في بعض أنواع المؤلفات قلوبهم: إنما كانوا يُعطون لضعف

المسلمين، وقد قوي المسلمون فلا يُعطون.

والأصل الذي ينبغي اعتماده أنه إذا ثبت بحجة شرعية أن هذا الحكم إنما بُني على هذه العلة فقط، وثبت أنها كانت موجودة في هذا الأمر في العهد النبوي، وأنها انتفت عنه بعد ذلك كان هناك مجال للنظر: أيقى الحكم على ما هو عليه كما بقي الرمل في الطواف، أم ينبغي تغييره؟ وإذا ثبت بحجة شرعية أن هذه العلة مقتضية لهذا الحكم، وأنها كانت منتفية عن هذا الأمر في العهد النبوي، وأنها حدثت له بعد ذلك، وأنه لم يقم به ما يعارضها ساغ تعيّر الحكم.

وأنت إذا تأملت الأمثلة التي ذكرها العلامة المعلمي رَحِمَهُ اللهُ وجدت أنها راجعة إلى دليل شرعي بخلاف ما عليه المتلاعبون بالشرع اليوم ممن يريد تعطيل الشريعة، بدعوى تغير الأحكام بتغير النيات والزمان والمكان، وكأنهم غفلوا وتغافلوا أن الشرع صالح لكل زمان ومكان، وأن الله أرسل محمداً ﷺ بالشرعية للناس كافة إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وإذا نظرنا إلى مفردات الأحكام التي ذكرها المعلمي وجدناها قائمة على أدلة الشرع لا هوى الخلق، ففرق بين تغير الحكم لدليل شرعي، وفرق بين تعطيله مع وجود مقتضاه الشرعي فنسقطه، فالأول عمل بالشرع، والثاني تغيير وتبديل للشرع.

فزيادة الجلد في شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زيادة دَلَّ

عليها الشرع، فإن الجلد فيها تعزير وليس بحد، فيزاد في التعزير إذا كثر في الناس شرب الخمر، وقد أجمع الصحابة على ذلك.

وهنا تنبيه مهم في الأمثلة التي ذكرها المعلمي رَحْمَةُ اللَّهِ، فالتعزير بزيادة الجلد في شرب الخمر إجماع من الصحابة، وتحريم بيع أمهات الأولاد فتيا الخلفاء الراشدين لمعنى شرعي، أما تعطيل الشريعة والاستعاضة عنها بقوانين بشرية فهذا الذي لم يفت به أحد من الصحابة ولا أئمة الإسلام.

وكذلك مسألة المؤلفة قلوبهم هذا حكم محكم لم يتغير، وإنما الشأن في تطبيق الحكم على آحاد الناس ونظير ذلك دعوة الكفار للإسلام قبل جهادهم، فهذا حكم محكم كما جاء في حديث سليمان بن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم: أن النبي ﷺ كان إذا أَمَرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، وقال له: «وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم»<sup>(١)</sup>.

فالإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ كان يرى أن الجميع بلغته الدعوة<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال الإمام الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ؛ حيث قال<sup>(٣)</sup>: «ولا أعلم أحداً لم تبلغه الدعوة اليوم إلا أن يكون من وراء عدونا الذين يقاتلوننا أمة من المشركين، فلعل أولئك أن

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث (ص ٧٦٨ - رقم ٤٥٢٢).

(٢) المسائل رواية إسحاق الكوسج (٨ / ٣٨٨٤).

(٣) الأم (٤ / ٢٣٩).

لا تكون الدعوة بلغتهم».

والإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ كان يقول<sup>(١)</sup>: «لا أرى أن يُقاتل المشركون حتى يُدعوا».

ولإسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ اختيار حسن جداً حيث قال<sup>(٢)</sup>: «إن تقدم إليهم في الدين فحسن، يكون ذلك أهيب وأجدر أن يبين لهم إرادة المسلمين في العدل عليهم».

ونهي عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن بيع أمهات الأولاد ليس لمعنى في الأم، ولكن لما يترتب عليه من التفريق بين الوالدة وولدها، ويحصل بسبب ذلك كسر لقلب الأم وضياع للأولاد.

وروى عبد الرزاق عن عبيدة السلماني قال: سمعت علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: اجتمع رأيي ورأي عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أمهات الأولاد أن لا يُيعن، ثم رأيت بعد أن يُيعن.

قال عبيدة: فقلت له: فرأيك ورأي عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الجماعة أحب إلي من رأيك وحدك في الفرقة<sup>(٣)</sup>.

وأما إذا كان الولد بالغاً فيجوز التفريق! لما رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمره الرسول ﷺ عليهم في إحدى الغزوات،

(١) المدونة (١/٤٩٦).

(٢) المسائل رواية إسحاق الكوسج (٨/٣٨٨٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في التلخيص الحبير: إسناده من أصح الأسانيد.

ونقل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلمة بن الأكوع بنتاً لامرأة من بني فزارة سبيت مع أمها، فنقله أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البنت فقط.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>: «في الحديث دليل على جواز التفرقة بين الأمة وولدها البالغ وأما إيقاع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد فهذا فعله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعزيراً لهم؛ لأنهم استعجلوا في أمر كانت لهم فيه سعة، وهو نظير تعزير النبي ﷺ للصحابة الذين واصلوا الصيام مع نبيه ﷺ عنه، فواصل بهم النبي ﷺ كالمعزّر لهم.

وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الخلفاء الراشدين الأربعة الذين لهم سنة متبعة، وليس ذلك لأحد بعدهم، فعن العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»<sup>(٢)</sup>.

وأما سهم المؤلفه قلوبهم فالحكم باقٍ والآية محكمة لم يدخلها نسخ، وإنما خلاف العلماء في وجود من يحتاج إلى تألفه مع قوة الإسلام، وحيث وُجد مقتضى ذلك، فإن جميع العلماء يقولون بمقتضى الآية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُؤْهُمَ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدْرِمِينَ

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/٦٩).

(٢) رواه أحمد (٤/١٢٦)، وأبو داود (رقم ٤٦٠٧)، وصححه ابن حجر في تخریج أحاديث مختصر ابن الحاجب (١/١٣٧)، وصححه شيخ الإسلام كما في الفتاوى (٣٠٩/٢٠)، وحسنه ابن القيم في إعلام الموقعين، ص (٨٥٦)، وصححه الشاطبي في الاعتصام (٢/١١٤).

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٦١ هـ)<sup>(١)</sup>: «قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْلَاةُ فُلُوهُمُ﴾ [التوبة: ٦٠]، يعطون بقدر ما يحصل به التأليف؛ وهم قسمان: مسلمون، وكافرون.

أما المسلمون فقسمان: قسم دخلوا في الإسلام ونياتهم ضعيفة، فيعطون من الصدقات ما يثبتهم على الإسلام، كما أعطى النبي ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس.

وقسم دخلوا فيه على بصيرة وهدى لا تزلزل عندهم، إلا أنهم شرفاء في قومهم، فيعطون منها ما يرغب أمثالهم في الإسلام، كما أعطى النبي ﷺ عدي بن حاتم، والزبيرقان، وأعطى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدي بن حاتم ثلاثين فريضة من الصدقة.

وأما الكافرون: فيعطى منهم من الزكاة من يُرجى إسلامه، أو يُخاف شره؛ لأن النبي ﷺ أعطى صفوان بن أمية يوم حنين قبل إسلامه؛ ترغيباً له واستمالة إلى الإسلام حتى أسلم».

وقال الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ في بقاء سهم المؤلفلة قلوبهم<sup>(٢)</sup>: «ذهب الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بقاء حكمهم، وهو الصحيح؛ لأن سهمهم ثابت بكتاب الله وسنة

(١) رموز الكنوز (٢/ ٥٢٤).

(٢) رموز الكنوز (٢/ ٥٢٥).

رسوله ﷺ، فلا يزول إلا بناسخ، ولا ناسخ، فيجب بقاء حكمهم».

وما يقصده دعاء تكييف الشريعة مع الواقع هو في حقيقته تيسير أسباب تعطيل الشريعة، وإحلال العلمانية مكانها، والمسلم يعرف أن دعوة تكييف الشريعة مع الواقع هو في حقيقته طعن في الإسلام الذي تعبد الله به خلقه إلى يوم القيامة، وطعن في كمال شرع الله الصالح لكل زمان ومكان.

قال العلامة عبد الله بن حميد رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «أيها العلماء الأجلاء، ما أصيب به الإسلام من انتقاص عراه عروة عروة، بفسو المنكرات، وتجروء الكثيرين أو الأكثر على ارتكابها، وزوال وحشتها من النفوس، وفساد العقيدة مما يلقيه دعاة الغرب من بذور الشبه والشك من فساد الأخلاق، وظهور البدع التي طغت على السنن.

كما يقول كثير من مدعي الإصلاح الزائف: هذا جمود، وهذه رجعية، وأنه يجب التطور مع الزمن والأحداث؛ يريدون بذلك نبذ تعاليم الإسلام، وعدم تطبيق أحكامه، كأن الإسلام بزعمهم هو الذي أخرهم وأقعدهم.

ولم ينتبهوا لدسائس الغربيين الذين قالوا هذا القول، ودعوا إليه، وكتبوا لأجله الكتابات المختلفة الأساليب، يريدون أمراً واحداً، وهو القضاء على الإسلام الذي سطر مجداً خالداً، وتاريخاً عظيماً للمتمسكين به، في صدر هذه الأمة؛ فقد محوا من الوجود ملك أمتين عظيمتين، هما أقوى ملوك الأرض،



وأشدها بأسا - فارس والروم -، وأخضعوهم لأوامر القرآن ونواهيته؛ وامتد سلطان المسلمين إلى البحر الأطلنطي غربًا، وإلى أقصى الصين شرقًا؛ ذلك؛ لأنهم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأنجز لهم ما وعدهم مجددًا في الدنيا، وأجرًا في الآخرة.

أيها العلماء الأجلاء، إن الأجنب غزونا في بلادنا غزوًا عظيمًا، بانحلال أخلاقنا، وإضعاف مكانة الدين الإسلامي من قلوبنا، بما يكتبونه من القصص الغرامية، والشبه، والشكوك التي يلقونها على بني الإسلام، والتي من شأنها إفساد العقائد الحقة؛ فإن العقيدة إذا فسدت، وخفت أوامر الإسلام ونواهيته على القلب، أصبح مصدرًا لكل رذيلة وانحلال خلقي.

قال بعض الأوربيين: إن فن الاحتلال فن عسكري في الأول، ولكنه فن أخلاقي في الآخر.

أيها العلماء الأجلاء، ما مدح الله أهل العلم بما مدحهم به إلا لأنهم ورثة الأنبياء، يُبلغون الشرائع للناس، ويوضحون طرق الفلاح والنجاح، وأسباب السعادة والعزة، في هذه الدار ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

أيها العلماء الفضلاء: لقد علمتم ما قال الله في ذم من لم يقم بواجبه، ولم يؤد ما عليه لدينه وأمته من الدعوة والإرشاد، والعظة والتذكير، والإنذار بسوء العاقبة؛ فإن الآيات في الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ دلت الآية الكريمة على وجوب إظهار العلم، وتحريم كتمان شيء من أمور الدين لغرض من الأغراض الفاسدة، والتأويلات البعيدة. ومتى قام العلماء بها عليهم من إرشاد الأمة إلى اتباع كتاب ربها، وهدايا بإرشاده، وتهذيب أخلاقها بأدابه، وجمع كلمتها حول تعاليمه، استقامت أمورها، وانتظمت أحوالها، فتصبح عزيزة الجانب، متكافئة متضامنة، أمرهم شورى بينهم».

فالإخوان المسلمون بادروا باستنساخ النظام الرئاسي الأمريكي، ولم يتأسوا بسيرة الخلفاء الراشدين في الحكم، فتناصروا مع الأحزاب العلمانية على انتهاء مدة ولاية الحاكم بدورتين رئاسيتين، كل دورة أربع سنوات.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «وبهذا وشبهه نعرف غلط من يريد نصر الإسلام بتقريب نظمه إلى النظم التي جرت عليها الحكومات ذات القوانين والنظم الموضوعة، فإنها هي التي تتقوى وتقوى إذا وافقته في بعض نظمها، وأما الإسلام فإنه غني عنها، مستقل بأحكامه، لا يضطر إلى شيء منها، ولو فرض موافقته لها في بعض الأمور، فهذا من المصادفات التي لا بد منها، وهو غني عنها في حال موافقتها أو مخالفتها.

فعلى من أراد أن يشرح الدين ويبيّن أن يبحث فيه بحثاً مستقلاً لا يربطه بغيره أو يعتز بغيره، فإن هذا نقص في معرفته وفي الطريق التي يبصر بها، وقد

ابتلي بهذا كثير من العصرين بنية صالحة، ولكنهم مغرورون بزخارف المادة الغريبة التي بُنيت على تحكيم المادة وفصلها عن الدين، فعادت إلى ضد مقصودها، فذهب الدين ولم تصلح لهم الدنيا، ولم يستطيعوا أن يعيشوا عيشة هنيئة، ولا يحيا حياة طيبة، والله عواقب الأمور».

والعجيب كيف تُطالب الأمة الإسلامية بالتدرج في تطبيق الشريعة، وأُزمت بتطبيق الشيوعية والاشتراكية والقومية إكراهاً بلا تدرج؟

والآن في بعض بلاد المسلمين يسوقونها إلى التحول من الاشتراكية والبعثية إلى الديمقراطية بين عشية وضحاها بلا تدرج.

وأما قول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن»؛ فهذا من عمل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأدلة الشريعة لا من تعطيلها ولا من تبديلها؛ لأن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أعملت أدلة تحريم تبرج النساء وخروجهن متطيّبات واختلاطن بالرجال، وكل هذا قد جاءت الشريعة بمنعه، ويبقى حكم خروج النساء للصلاة مأذوناً فيه إذا لم تقع من المرأة المحاذير المذكورة، فالحكم محكم لم تُغيّره أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وإنما العوارض الواقعة من النساء جعل خروجهن غير مأذون فيه.

وكذلك إسقاط عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حد السرقة عام الرمادة، فهذا مقتضى الدليل والقياس؛ فإن الشارع أذن لمن أشرف على الهلكة أكل الميتة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال العلامة يوسف بن عبد الهادي «ابن المبرّد» رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «هذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع، فإن السنة إذا كان سنة مجاعة وشدة علت على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له، إمّا بالثمن أو مجاناً على الخلاف في ذلك، والصحيح وجوب بذله مجاناً؛ لوجوب المساواة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك، والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع».

والذي رأيناه أن منهج الإخوان هو الذي يتغير بتغير الزمان والمكان، فالسادات باركوا اغتياله؛ لتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد كما هو معلوم في خطبة أحمد القطان الشهيرة، ولما وصلوا إلى سدة الحكم قال الناطق الرسمي لحزبهم سعد الكتاتني<sup>(٢)</sup>: «الإخوان يحترمون اتفاقية كامب ديفيد».

إنّ دعوة الإخوان المسلمين للتدرج في تطبيق الشريعة هي في حقيقتها دعوى لتعطيل الشريعة، وهي كذلك إقرار للواقع لا إصلاحه، وإن أردت أن تعرف حقيقة ذلك، فانظر إلى مسارعة حكومة الإخوان المسلمين بمصر إلى تغيير المناهج بما يرضي النصارى الكفار ويسخط رب العالمين، وتحويل ذلك إلى واقع في زمن قياسي لا نظير له، ففي شهر واحد من حكومة المرشد العام للإخوان دخلت نصوص الإنجيل المحرّف إلى مقررات ومناهج الدراسة بمصر.

الإخوان المسلمون حزبهم نشأ في مخاض الانقلاب على الملكية، وطوال

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/٣٢٧).

(٢) صحيفة الرياض السعودية ١ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ، الموافق ٦ مارس ٢٠١١م، عدد ١٥٥٩٥.

سبعين عاماً يستفتحون على الناس بالخلافة الإسلامية، فلما وصلوا إلى سدة الحكم عطلوا الشريعة، ولم يحكموا بالإسلام.

فلو كانوا صادقين مع الله ملازمين لمنهج الأنبياء لصبروا على دعوتهم بتطبيق الشريعة واطمأنوا؛ لقول النبي ﷺ في الطائفة المنصورة: «لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم»، ولكن هيهات! أين العزيمة والدعوة الصادقة لتطبيق شرع الله!!

سحرة فرعون لما آمنوا رسخ الإيمان في قلوبهم فصبروا على إيمانهم مع أنهم حدثاء عهد به، ولم يغيروا ولم يبدلوا، إنه الإيمان الراسخ الصادق، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «عجباً لقوم كافرين سحرة من أشد الناس كفراً، رسخ الإيمان في قلوبهم حين قالوا ما قالوا، ولم يبالوا بعذاب فرعون، وترى الرجل من هؤلاء يصحب الإيمان ستين سنة، ثم يبيعه بثمن يسير».

على كل حال أحكام الشريعة مضبوطة غير تابعة لأهواء الناس، يعطلون ما شاءوا من أحكامها، تبعاً لأهوائهم، وما يتغير حكمه بتغير النيات والزمان والمكان، فهذا لوجود الدليل الشرعي لا للتحكم البشري.

فالحكم يتغير بتغير النية كمن أوصى لأقاربه غير الوارثين مضارة بأقاربه الوارثين، فهذا لا تنفذ وصيته لفساد نيته؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ويتغير الحكم بتغير

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٤٣).

المكان والزمان كمشية المخيلة فإنها محرّمه إلا في الغزو؛ لما فيها من إغاظة الأعداء وإظهار الجلد في قتال العدو.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>: «الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة: كوجوب الواجبات، وتحريم المحرّمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وُضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له، زماناً ومكاناً وحالاً. كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع يُنوّع فيها بحسب المصلحة».

والإخوان المسلمون لما وصلوا إلى السلطة بمصر معقل انطلاقة حزبهم ودعوتهم لم نرهم يطبقون الشريعة، بل وجدناهم قد هيئوا الأجواء لتعطيل الشريعة.

فمع بداية الثورة المصرية صرّح الناطق الرسمي باسم حزب الإخوان المسلمين أنهم ضد الدولة الدينية، وزعم كاذباً أن الإسلام ضد الدولة الدينية<sup>(٢)</sup>.

والقرضاوي محرّك الفتنة والثورات قد هياً الأجواء لتعطيل الشريعة في عموم ثورات الإخوان المسلمين في عالمنا العربي، فقال<sup>(٣)</sup>: «إن الحرية عندي مقدمة على الشريعة». نعوذ بالله من الخذلان.

(١) إغاثة اللهفان (١/٥٧٢).

(٢) صحيفة الأنباء الكويتية ص (٣٦)، عدد الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ م.

(٣) برنامج «الشريعة والحياة»، قناة الجزيرة، ١٦/١/٢٠١١ م.

هكذا جعل الشرع تابعاً لأهواء الناس، وهكذا سكت الإخوان المسلمون بأقطار الدنيا دعاء «توحيد الحاكمية» عن رد هذا الباطل العظيم، فالله عزَّ وجلَّ سنَّ كل التشريعات التي لا يجوز التقدم بين يديها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَنْقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ولم يقف الإخوان المسلمون عند هذا الحد، بل تحولت دعوتهم من إقامة «توحيد الحاكمية»، و«دولة الخلافة» إلى مشروع للعلمانية برعاية أمريكية أوروبية، فقد تعهد زعيم حركة النهضة الإسلامية - إخوان تونس - بدعم قيم الحداثة.

وأعجب ما في الأمر: أن إخوان تونس كانوا يجاربون التغريب عن الدين والخروج عن الشريعة في عهد أبو رقية، فلما وصلوا إلى سدة الحكم صاروا أنصاراً للعلمانية الحبيب أبو رقية.

قال الغنوشي<sup>(١)</sup>: «قيم الحداثة وتحرر المرأة بدأتها تونس مع الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة ولا رجعة فيها، سندعم هذه القيم».

فهذا التحول في مسار دعوة الإخوان المسلمين للعلمانية يُبين حقيقة التناصر الأمريكي الأوربي الإخواني لعلمنة ديار المسلمين، وقد أفصح عن هذا التناصر الإخوان المسلمون أنفسهم؛ حيث قال الغنوشي: إنه تلقى إشارات غربية ترحب بوصوله للسلطة<sup>(٢)</sup>.

الإخوان في تونس أيضاً أبقوا الخمارات بدعوى التدرج في إزالتها،

(١) صحيفة الوطن الكويتية عدد ٦ ذي القعدة ١٤٣٢هـ، ص ٤٠.

(٢) صحيفة الوطن الكويتية، عدد ٦ ذي القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق ٤/١٠/٢٠١١م، ص (٤٠).

والأظهر من تصريحات الغنوشي سلوك المنهج العلماني وهو استبقاؤها، فإنه صرّح أنه وحزبه لن يزيلوها، ولكن سيجعلون خياراً ترفيهياً آخر محافظاً.

قال الغنوشي<sup>(١)</sup>: «سنسعى لخلق منتج سياحي متنوع، لن نمنع الفنادق التي تُقدّم الخمور وبها مسابح، لكن سنوفر أيضاً إضافة لذلك خدمات ترفيهية راقية لطبقات متدينة».

أمة ترعرع أبناؤها في الإسلام يقصد البعض من العلمانيين ودعاة الإسلام السياسي الإبقاء على تعطيل الشرع وتبرير إبقاء الخمرات والبارات بدعوى التدرج، وكأننا نملك حق ابتداء تشريع جديد بعد أن انتهى أمر الله وحكمه إلى تحريم الخمر تحريماً باتاً، والله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كان واجب الجميع دعوة الناس جميعاً إلى الإصلاح الحقيقي وهو الانتهاء إلى شرع الله وأمره ونهيه، أما مصانعة العلمانيين وأصحاب الشهوات المحرّمة، فهذا انهزام وعدم ثقة بالله، ونكوص عن منهج الأنبياء؛ قال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح».

وانظر إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال للنبي ﷺ: أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال له النبي ﷺ: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من

(١) صحيفة الوطن الكويتية، ٦ ذي القعدة ١٤٣٢ هـ، ص (٤٠).

(٢) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (١/١٧٥)، رقم (١٤)، مجموع مؤلفاته.



نفسك». فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لأنت أحب إلي من نفسي<sup>(١)</sup>.

فصدق الإيمان وصحة العزيمة والاستعانة بالله ولزوم الشرع بها يحصل الإصلاح الحقيقي.

قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «ومُدمِن الخمر لو قوي إيمانه لصَحَّ عزمه على تركها، وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعتادون شربها، فلما حُرِّمَتْ أَعْرَضُوا عنها البتَّة، وهكذا عامَّة من أسلم بعد تحريمها.

وإنما يشقُّ تركها على من لم يصحَّ عزمه، فتبقى نفسه تنازعه إليها، وعن ذلك يكون تضرُّره في بدنه إن صدق الأطباء، فأما من صحَّ عزمه فبإذن الله تعالى لا يناله إلا كل خير».

وشريعة الله وأمره ونهيه كلها يسر ومصلحة للخلق، لا يلحق الناس منها مشقة في إقامتها وتطبيقها ولزومها، قال تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ [طه: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ولم ينته انحراف الإخوان المسلمين في حكمهم عند إبقاء المنكر بدعوى التدرج في إزالته، بل بلغ بهم الأمر إلى الثناء على المنكر ووصفه بالصالح، كما فعل د. محمد مرسي في ثناءه على جهود فناني وممثلي مصر.

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ (ص ١١٤٦ - رقم ٦٦٣٢).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العباداة والإله، ص (١٩٥).

الفصل السادس

**جهود علمائنا في فقه الواقع وإصلاحه**



قيام علمائنا بحراسة الشريعة ونصرتها والذب عنها - أمر معلوم، وحراستهم لم تقتصر على رصد ومتابعة وسائل الإعلام المحلية، بل تجاوزه إلى متابعة الخارجية، والرد على كل من يتناول على دين الله وشرعه وشرائعه.

من ذلك ردهم على صحيفة «المساء» القاهرية؛ فإنها تناولت على رسول الله ﷺ ونشرت في عددها الصادر في ٢٩ يناير صورة كاريكاتورية لشخص له جسم الديك، وكتبوا تحت هذه الصورة: «أهو ده يا سيدي محمد أفندي اللي متجاوز تسعة».

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ رَادًّا عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>: «إنه الجحود لنبوته، والإنكار لرسالته، ورميه بأنه ثائر شهواني ليس له همٌّ إلا إشباع نهمته من النساء، وهذا إمعان في الكفر، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجناب العظيم والمقام الرفيع، لعن الله من تنقصه أو رماه بما هو براء منه، وقاتل الله صحيفة «المساء» القاهرية والقائمين عليها الراضين بهذا الاستهزاء، فما أعظم ما اجترءوا عليه من الباطل! وما أقبح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء! ولقد صان الله رسوله ﷺ وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون، فقد كان أعف الناس وأنصحهم لله ولعباده، وأرفعهم قدرًا وأشرفهم نفسًا، وأشدهم صبرًا، وأقومهم بحق الله وتبليغ رسالته، وأخشاهم لله وأتقاهم له، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ، وإنما تزوج النساء كسنة من قبله من المرسلين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

وفي تزوجه ﷺ بتسع من النساء حكم كثيرة، وأسرار بديعة، ومصالح عظيمة، منها: إعفاهن والإحسان إليهن، ومنها: أن يتعلمن منه ﷺ أصول الشريعة وأحكامها ويعلمنها الناس بعده كما قد وقع، فقد كان بيت كل واحدة منهن مدرسة للمسلمين والمسلمات، يردونها للتعلم ويشربون من معينها الصافي عدلاً بعد نهل، ويسألون أمهات المؤمنين عن حياته ﷺ وشيئله وأخلاقه وأعماله داخل بيوته وخارجها، ومن ذلك ما في تعددهن من مصلحة التأليف والتعاون على البر والتقوى، وتبليغ القرآن والسنة بواسطة أصهاره ومن يتصل بهم؛ لأن أزواجه كن من قبائل شتى، وذلك أبلغ في مقام الدعوة والتأليف وأنفع للأمة وأكمل من جهة التبليغ والتعليم؛ ومن ذلك ما في تعددهن من راحته ﷺ وأنسه، فإن الله سبحانه قد حبب إليه النساء والطيب، وجعل قرة عينه في الصلاة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة».

وقد جبل الله الرجال على حب النساء والميل إليهن، وجعلهن سكناً للرجال، كما قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وأعطى نبيه ﷺ في ذلك من كمال الرجولة والقوة على القيام بأمر الزوجات وحقوقهن ما لم يعطه الكثير ممن قبله، وليس هذا بمستنكر في الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -؛ فإنهم أكمل الرجال رجولة، وأعفهم فرجاً، وأقومهم بحق

الله وحق عبادته.

وقد كان لنبي الله داود زوجات كثيرة، ولابنه نبي الله سليمان بن داود كذلك، وقد قواهما الله على الطواف عليهن والقيام بحقهن، فكيف يستغرب على من هو أفضل منهما وأرفع عند الله منزلة، وهو محمد ﷺ، أن يبيح الله له تسعاً من النساء مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تقدم بعضها، وكلها تعود على الأمة بالخير والإحسان والنفع العام، وقد خص الله نبيه ﷺ بخصائص عظيمة، وحباه بصفات كريمة، فبعثه إلى الناس عامة، وجعله رحمة للعالمين، واتخذ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ورفع منزلته في أعلى الجنة وهي الوسيلة، وجعله سيد أولاد آدم كلهم، وأعطاه المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وشرح له صدره، وغفر له ذنبه، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يُذكر سبحانه إلا ذكر معه، كما في الخطب والشهد والإقامة والتأذين، وخصائصه وشئله ﷺ كثيرة جداً، فكيف بعد هذا كله تجتريء صحيفة «المساء» المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به، والخط من قدره، وتمثيله بحيوان من أحقر الحيوانات وأدناها؛ إمعاناً في الاحتقار ومبالغة في الاستهزاء، سبحان الله! ما أعظم شأنه! والله أكبر ما أوسع حلمه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الروم: ٥٩]، وليس هذا الكفر الظاهر والنفاق السافر والاستهزاء الصريح بأشرف عباد الله، ومن أخرج الله به العباد من الظلمات إلى النور - بغريب من صحف الخلاعة والمجون وأبواق الكفر والإلحاد ومنابر الظلم والعدوان ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل، ليس ذلك بغريب على بعض القائميين على صحف

القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضوا عما جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واهتموا بالفراغنة والملاحدة وعباد الصلبان، وجندوا بعض صحفهم لمحاربة الإسلام، وطمس شعائره العظام، والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وسفهاء الأحلام.

ثم أقول: ليس هذا وحده جرم صحف القاهرة، فكم لهم من جرائم! وكم لهم من مخاز! وكم لهم من مكفرات ونواقض للإسلام! أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الاشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على الظلم للعباد، وزعموا تلييسًا وتضليلًا أنها من الإسلام، والإسلام براء من ذلك».

ولمّا رأى علماءنا الانهزاميين من المنتسبين للإسلام الذين حصروا الجهاد في الدفاع وألغوا جهاد الابتداء - ردوا عليهم، وقاموا ببيان حقيقة الإسلام في تشريع الجهاد، وأظهروا محاسن الإسلام في هذا الجهاد الذي يحصل به صلاح المجتمعات، وهداية الخلق إلى فطرة الإسلام، وعدل أحكامه، ولزوم عبودية الله لا عبوديتنا، وفيه حمية للكافرين من الاستمرار في المضي إلى طريق جهنم، فهو خير لهم ورحمة لهم في الدنيا والآخرة.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «قد استقرت الشريعة على أن المسلمين يقاتلون من قاتلهم، ويبدءون من لا يقاتلهم إذا كانت لهم القوة؛ لأنهم يدعون إلى الجنة، ويدعون إلى النجاة، ويدعون إلى صلاح المجتمع،

(١) فوائد من التفسير، ص (٥٢ - ٥٥).

وَيَدْعُونَ إِلَى عِمَارَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرِسُولِهِ وَتَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،  
فَلَهُمْ أَنْ يَبْدُءُوا، وَلَهُمْ أَنْ يَقَابِلُوا.

وأما قول من قال من الكُتَّاب: إن الإسلام يُدافع، ويقا تل من قاتل فقط.  
على هذا الإطلاق - فهو خطأ من قائله، إنما كان هذا في فترة من الزمان، وفي  
وقت من الأوقات كان يدافع فقط، ويكف عن كف، ثم لما قوي المسلمون  
وفتح الله عليهم مكة، وصارت لهم شوكة عظيمة وقدرة على قتال أعداء الله  
- خرجوا لقتالهم، فخرجوا مع النبي ﷺ لقتال الروم في غزوة تبوك، وقاتلوا  
أهل خيبر عام سبع من الهجرة، وخرج المسلمون بعد وفاته ﷺ إلى الروم  
وإلى فارس وقاتلوا أعداء الله، ولم يقفوا عند حدّ الدفاع إنما قاتلوا أعداء الله  
لإخراجهم من الظلمات إلى النور، لا لأجل المال، ولهذا قال النبي ﷺ في  
الحديث الصحيح لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر «والله، لأن يهدي الله بك  
رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم»، يُبين للناس أن المقصود ليس هو المال ولا  
النساء ولا الذرية، إنما المقصود هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ولهذا هداية الواحد خير من الدنيا وما عليها، وفي الحديث: إذا أمر أميراً  
على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، كما في حديث بُريدة رضي الله عنه، ثم  
يأمره أن يستعين بالله، ويقا تل الكفرة، ثم بعد ذلك إذا أبوا إلا الجزية أخذ  
منهم الجزية وكف عنهم).

وقال الإمام ابن باز أيضاً رحمه الله<sup>(١)</sup>: «وإذا كان أعداء الله من الكفرة

(١) فوائد من التفسير ص (٩٠، ٩١).



يقاتلون الدُّول والشعوب قتالاً شديداً، ولا يألون جهداً في ذلك، ولا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، بل يبیدونهم لأهوائهم ومصالحهم، وابتزاز ثروات بلادهم، ولا يرون في هذا بأساً عندهم، فكيف يستنكرون من الإسلام أن يقاتل ابتداءً إذا قوي على ذلك، لإتقاد هذه الأمم من الكفر، ولإدخالها في الإسلام، وإخراجها من الظلمات إلى النور، أليس هذا رحمة؟! أليس هذا إحساناً؟! أليس هذا فعل خير بهم؟! لينقلهم من أسباب عذابهم ونكالهم وغضب الله عليهم إلى أسباب الرضا والسعادة، فهذا هو الإحسان الواضح. ولهذا قال بعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَبِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْ نَدِينُ خَيْرٌ مِّنْ أَدِينِ الَّذِينَ نَنُوحُوا بِأَكْثَارٍ مِّنْ نَّفْسِهِمْ لِيُحْدِثُوا ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَلْزَمُوا لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي كَفَرُوا بِهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذَكِيًّا حَكِيمًا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، هذا شأن الإسلام، يُخرجهم من الظلمات إلى النور، فجمع الظلمات؛ لأن الكفر أنواع مُنوّعة، ووحد النور؛ لأنه دين واحد، وصرّاط مستقيم.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلِيَاءُ هُمْ أَطْلُغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يخرجونهم من نور الحق والهدى، الذي فطر الله عليه الناس، إلى الظلمات، وهي أنواع الكفر والضلال والشرك والفساد، وفرق بين هذا وهذا لو عقل الناس، ولكن أهل الهوى والحسد والبغي والظلم لا يعقلون؛ لأنهم يتبعون أهواءهم، فيرمون الإسلام بأنه دين السيف ودين القتال، ودين هذا وذاك، ولا ينظرون في أعمالهم الخبيثة من قتالهم للشعوب<sup>(١)</sup>، وقتالهم الناس، وأخذ أموالهم بغير حق، وظلمهم الناس لأهوائهم ومصالحهم،

(١) والعالم كله يعرف ما حصل من الشرور وإزهاق النفوس في الحرب العالمية الأولى والثانية، وملايين البشر الذين قُتلوا في الثورة الفرنسية وفي ثورة ستالين، كل ذلك من أجل الكفر والفساد.

فيعمون عن أعمالهم الخبيثة، وينظرون إلى الإسلام بالعين العوراء الحاسدة الحاقدة، نسأل الله العافية والسلامة».

ومن جهود علمائنا في فقه الواقع ومعالجته بوسطية الإسلام لا بغلو المتطرفين ولا بتضييع المفرطين - دفعهم غلو المتطرفين في القيام بأعمال الغدر ضد المدنيين ونقض العهود مع الكفار، بالدعوة إلى حفظ العهد ولو مع الكافرين، والتحذير من الغدر، والأمر بلزوم الإسلام بشرائعه وأحكامه وعقائده وشعائره، والمحافظة على مناهجنا الصحيحة المستمدة من القرآن والسنة، وعدم الانسياق وراء مطالبات الكافرين وأبواقهم من العلمانيين، الذين زعموا زورًا أن مناهجنا من أسباب التطرف، وكذبوا.

فوقف علمائنا بوسطيتهم بعد أحداث سبتمبر داعين للزوم الإسلام وعدم الانسياق وراء المغرضين الداعين إلى إفساد مناهجنا، وتضييع عقيدتنا انتهازًا لفرصة تطرف بعض شباب المسلمين؛ فهؤلاء المتطرفون خارجون عن شريعة الإسلام، ونصوص القرآن والسنة تحرم الغدر والاعتداء على المعاهدين.

قال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله -<sup>(١)</sup>: «كثير ممن ينادون اليوم بموافقة الكفار يبغضون الدين، ويقولون: إنه غلو وتطرف وتشدد، كما يكتبون في الصحف والمجلات أن التمسك بالدين - عندهم - تطرف وغلو، وأنه يجب اجتثاثه، وتربية الناس على عدم الكراهة، هذا ما ينادون به

(١) إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، ص (١٣٦ - ١٤٠).

الآن، وهذه ردة صريحة - والعياذ بالله -؛ لأن هذا بغض للدين.

ومنهم من ينادي ويقول: غيِّروا المناهج، ولا تذكروا فيها الشرك، ولا تذكروا الكفر، ولا تقولوا: إنهم كفار أو مشركون. بل قولوا: غير مسلمين. ولا تقولوا: هؤلاء منافقون. وغيِّروا الخطاب الديني...، كذا يقولون.

وهذا خطر عظيم، وتحول - والعياذ بالله -، فإذا غيِّرتم مناهجكم حتى لا تغضب الكفار، فهل تغيرون القرآن؟!!

مناهجنا هي ما في القرآن والسنة، فإن غيّرنا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - المقررات فلا نقدر أن نغيّر الكتاب والسنة؛ لأن هذا شيء ثابت ثبوت الجبال الرواسي، ولا يمكن مقاومته، وهذا مسبب للهلاك.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، فإذا تخلينا عن هذا فإن الله يهلكنا، ويأتي الله بقوم غيرنا، والله سبحانه لا يُضيع دينه، بل يقيض له أنصارًا وأعوانًا، لكن الشأن بنا نحن ألا نضيع أنفسنا، والواجب أن نتمسك بديننا وبعقيدتنا، نعم لا نتعدى على الكفار المعاهدين والمستأمنين والذميين، بل نفي لهم بالعهد، ولا نستحل دماءهم ولا أموالهم؛ لأن هذا من الوفاء، وليس هذا من الموالاة، وهذا مما أمر به الدين.

فإذا كانوا يقولون: إن هؤلاء الذين فجَّروا المباني وقتلوا الأبرياء، وفعلوا ما فعلوا، بسبب الدين.

نقول: كذبتم، ليس هذا بسبب الدين، وإنما هو بسبب الجهل بالدين؛ لأن الدين لا يأمر بهذا، بل الدين ينهى عن هذا، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا

عَلَّهْدْتُمْ ﴿ [النحل: ٩١] .».

وقد حرص علماءنا - جزاهم الله خيراً - على بيان واقع الكافرين، بياناً لحالهم المطابق للواقع والموافق لخبر الله ورسوله ﷺ، وتحذيراً من الركون إليهم أو الاغترار بهم، ونصحاً لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وردّاً على ضعفاء البصيرة أو من ركن إليهم بتزييف واقعهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي فَوَائِدِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>: «إن عداوة الكفار لنا بيّنة ظاهرة؛ لأن قوله ﴿مُّبِينًا﴾ هنا بمعنى: بيّن واضح.

فإن قال قائل: كيف كانت بيّنة، وقد اغتر بهم بعض الناس، وظنوا أنهم أولياء وليسوا بأعداء؟

قلنا: إن الأعشى يعميه ضوء النهار، والأعمى لا يرى الشمس، فهؤلاء الذين يظنون أن الكفار ليسوا بأعداء لنا لا شك أنهم قد أعماهم الله عَزَّجَلَّ، إما لمصالح دنيوية أو لغير ذلك، وإلا فمن تأمل أحوال الكفار وجد أنهم أعداء لنا، وأنهم يغزوننا في الحرب وفي السلم، فلا يظن أن غزو الكفار لنا بالحرب، بل بالحرب وبالسلم، فإنهم إذا سالمونا أوفدوا علينا من أخلاقهم السافلة وعقائدهم المنحرفة ما يفسد المسلمين، ثم إنهم إذا سالمونا فإن منتوجاتهم وصنائعهم تُستهلك عندنا، ويتوفر لهم اقتصادنا، فهم يسلبوننا أموالنا، ويسلبوننا أخلاقنا، وربما يسلبون عقائدنا، ويوردون علينا أخلاقهم

(١) تفسير سورة النساء (٢/١٤٠، ١٤١).

وأفكارهم، وبهذا نعرف أن الكافر عدو في الحرب وفي السلم؛ لأن الله تعالى لم يقيد ذلك في حال الحرب، ﴿إِنَّ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

وما زال علماءنا يقومون بواجبهم في صيانة مجتمعاتنا عن الغزو الفكري، ويجذرون من خطره، وزاد تحذيرهم من ذلك زمن العولمة، حين كانت وسائل التقنية الحديثة سريعة التأثير في وصول ثقافات وأفكار الكافرين والمنحرفين والمبتدعين إلى ديارنا، بخلاف السابق؛ حيث يتكلف الكافرون مشقة شديدة في نقل ثقافتهم وأفكارهم، وتمنع دولنا كثيرًا من كتبهم من الوصول إلينا، فأما اليوم فهي في متناول كل فرد في العالم بلا منع ولا حرج.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «أحيانًا الغزو الفكري أعظم فتكًا من الغزو المسلح كما هو مشاهد؛ فإن الغزو الفكري يدخل كل بيت باختيار صاحب البيت بدون أن يجد معارضة أو مقاومة، لكن الغزو العسكري لا يدخل البيت بل ولا يدخل البلدة إلا بعد قتال مرير ومدافعة شديدة، فأعداء المسلمين يتسلطون عليهم أحيانًا بالغزو المسلح بالقتال، وهذا يمكن التحرز منه، وأحيانًا بالغزو الفكري وهو أشد وأنكى من الغزو المسلح؛ لأنه يصيب المسلمين في قعر بيوتهم ولا يعلمون به، ربما يخرجون من الإسلام ويُمسح الإسلام من أفئدتهم مسحًا كاملاً، وهم لا يشعرون؛ لأنهم يغرون المسلمين بالشهوات، والقلب إذا انغمس بالشهوات: نسي ما خلق له، نسي عبادة الله، ولم يكن في قلبه تعلق بالله عَزَّوَجَلَّ. إنهم لو غزوا البلاد

(١) تفسير سورة الصافات، ص (٣٧، ٣٨).

الإسلامية غزواً عسكرياً حلوا بأبدانهم البلاد، ولكن قلوب الناس نافرة منهم، مبعوضة لهم، لكن المشكل أن يغزوا الناس بصفاتهم وأخلاقهم وعقائدهم وهم جالسون في بيوتهم، قد فتحوا لهم القلوب، هذا هو المشكل، هذا هو الدمار».

وجهود علمائنا معلومة في رد الأفكار والعقائد الضالة التي كانت أساساً لثورات بعض الدول الكافرة واجتلبت إلى ديارنا الإسلامية كالشيوعية الاشتراكية، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «أذكر أنه فشت قبل سنوات الدعوة للاشتراكية، يعني تأمين الأموال العامة، وأجلب بعض العلماء القرييين من ذوي السلطان بخيلهم ورجلهم في إخضاع نصوص الكتاب والسنة لهذا الغرض، واستدلوا بآيات، منها قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، والشاهد من الآية: ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، مع أن هذه الجملة منفية، داخلة في النفي وليست مقررة، فمعنى الآية: هل لكم مما ملكت أيانكم من العبيد شركاء، فيساوونكم في أموالكم، والجواب: لا. إذن كيف تجعلون عباد الله مساوين لله عَزَّوَجَلَّ فتجعلونهم شركاء. هذا معنى الآية، لكن هؤلاء قلبوها، وجعلوا المنفي مثبتاً، وجاءوا بأحاديث منها: «الناس شركاء في ثلاث: الماء، والكلاء، والنار»<sup>(٢)</sup>، و«من كان له فضل ظهر

(١) التعليق على السياسة الشرعية، ص (٦٤، ٦٥).

(٢) الكلاء الذي يشترك فيه الناس هو الذي ينبت في الموات؛ لأنه ليس له مالك، والنار التي يشترك فيها الناس المراد بها الحجارة التي توري النار، لا النار التي أوقدها الرجل، والماء الذي يشترك فيه الناس هو الماء الذي لم تبذل فيه مؤنة في إخراجه، وليس في ملك أحد. شرح السنة (٨/ ٢٧٩).

فليعد به علي من لا ظهر له»<sup>(١)</sup>، وما أشبه ذلك، حتى ظن بعض العامة، بل بعض طلبة العلم أن هذا صحيح! وهؤلاء الذين أخضعوا النصوص لإثبات الاشتراكية علماء، لكن علماء ضلال، ولهذا قال الرسول ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».

واستدلوا كذلك بحديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه، فإن لم يمنحها أخاه فليمسكها» رواه مسلم. وهو حجة عليهم؛ فإن الحديث مثبت لعموم الأدلة في أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، فأقر النبي ﷺ في هذا الحديث أصحاب الأموال على أموالهم، وحثهم استحباباً على الصدقة، ويدل على عدم وجوب ذلك قوله في الحديث نفسه: «فإن لم يمنحها أخاه فليمسك»، والاشتراكية كانت تأخذ أموال الناس غصباً من غير طيب نفس من أصحابها.

قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ مُحَدِّثاً من الاشتراكية<sup>(٢)</sup>: «إن دعاة الاشتراكية - والحمد لله أنها خمدت نارهم - يقولون: إننا نريد أن نرحم الفقير، فنأخذ من مال الغني ونعطيه الفقير رحمة به، فيقال: إن الله أولى به منكم، والله عَزَّجَلَّ له الحكمة في جعل الناس بعضهم فقير وبعضهم غني،

(١) التبرع لسدة حاجة المسلمين مستحب، ويتعين إذا نزلت بالمسلمين مجاعة مهلكة، لحفظ نفوس المسلمين، وتجهيز الغزاة هو من الغزو في سبيل الله، ولم يقم النبي ﷺ وأصحابه بالعدوان على أملاك الناس وتأميمها.

(٢) تفسير سورة النساء (٢/٣٢٩).

وقد أشار الله إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، أي: يسخر بعضهم بعضاً؛ لأنه لو كان الناس على حد سواء ما استقامت الأمور، فمن بيني لك بيتاً إذا كان الناس كلهم أغنياء؟! ومن بيني لك بيتك إذا كانوا كلهم فقراء؛ لأنك ليس عندك شيء تبني به، فالله عزَّ وجلَّ له الحكمة في اختلاف الطبقات، لكن مع ذلك لم يضيع حق الفقير، فأوجب الزكاة، وأوجب دفع الضرورة، وأوجب النفقة على الأقارب، وأوجب النفقة على الأزواج، وما أشبه ذلك، وهذا كله يسد حاجات كثير من الفقراء».

ورد علمائنا كذلك على الإباحيين الذين يقولون نحن أحرار، نفعل ما نشاء، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه وما فيها من الفوائد من التحذير من الليبرالية والعلمانية<sup>(١)</sup>: «إن العبد في حركات بدنه وتصرفاته، وفي معاملاته المالية داخل تحت حجر الشريعة، فما أبيع له منها فعله، وما منعه الشرع تعين عليه تركه، ومن يزعم أنه في ماله حر له أن يفعل ما يشاء من معاملات طيبة وخبيثة - فهو بمنزلة من يرى أن عمل بدنه كذلك، وأنه لا فرق عنده بين الكفر والإيمان، والصدق والكذب، وفعل الخير والشر، الكل مباح، ومن المعلوم أن هذا هو مذهب الإباحيين الذين هم شر الخليقة، ومذهب قوم شعيب يشبه هذا؛ لأنهم أنكروا على شعيب لما نهاهم عن المعاملات الظالمة، وأباح لهم سواها، فردوا

(١) تيسير اللطيف المنان، ص (٢٤٨، ٢٤٩).



عليه أنهم أحرار في أموالمهم، لهم أن يفعلوا فيها ما يريدون، ونظير هذا قول من قال: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فمن سَوَّى بين ما أباحه وبين ما حرّمه الله، فقد انحرف في فطرته وعقله بعدما انحرف في دينه».

وحذّر الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ كذالك من القومية العربية التي جعلت معقد الولاء والبراء على العروبة مقطوعة عن دين الإسلام الذي أعز الله به العرب، فقال سماحته رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم الأعجمي عن أخيه العربي، وتفرّق بين العرب أنفسهم؛ لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه؛ وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما يدلُّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ ؕ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ؕ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ؕ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ؕ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يجارب الإسلام التفرق والاختلاف،

ويدعو إلى الاجتماع والوئام، والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه، تعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام، ويدل على ذلك أيضاً أن هذه الفكرة - أعني الدعوة إلى القومية العربية - وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها المسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض، وتخطيم كيانهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشئومة «فرّق تسد».

نعم لا شك أنه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته، ولكن خوفه من التجمع والتكتل حول الإسلام أعظم وأكبر، ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية، وحفز العرب إليها؛ ليشغلهم بها عن الإسلام، وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه؛ لأنهم إذا فقدوا الإسلام حُرِّموا ما ضمنه الله لهم من النصر الذي وعدهم به في الآيتين السابقتين، وفي قوله تعالى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وقال أيضاً سماحة الإمام<sup>(١)</sup>: «لا يخفك أيها القاريء الكريم غربة الإسلام اليوم، وقلة أنصاره والمتحمسين لدعوته، وكثرة المحارِبين له والمتكرِّين لأحكامه وتعاليمه، فالواجب على أبناء الإسلام بدلاً من التحمس للقومية والمناصرة لدعاتها - أن يُكرسوا جهودهم للدعوة إلى

الإسلام وتعظيمه في قلوب الناس، وأن يجتهدوا في نشر محاسنه وإعلان أحكامه العادلة، وتعظيمه السمحة الصافية، نقية من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء، حتى يعيدوا بذلك ما درس من مجد أسلافهم، وحماستهم للإسلام، وتكريس قواهم لنصرته وحمائته، والرد على خصومه بثتى الأساليب الناجعة، وأنواع الحجج والبراهين الساطعة».

وكذلك لما ظهرت الدعوة لتقريب الأديان قام علماءنا بواجبهم في نصررة التوحيد والإسلام، والرد على من سوّى بينه وبين الشرك والملل المنسوخة والمبدلة، قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ في الرد على دعوة التقريب بين الأديان<sup>(١)</sup>: «هذه دعوة فاسدة، ليس هناك تقارب، فهي دعوة فاسدة، إلا إذا كان المراد بالتقريب بينها دعوة أهلها؛ لينصفوا ما جاء به الرسول ﷺ ويتأملوه، وأنه لا يخالف ما جاءت به الأنبياء الذين يتسبون إليهم، كالنصارى إلى عيسى، واليهود إلى موسى، وأنه لا يخالف ذلك لو أنصفوا، يعني: التقارب، يدعون إلى أن ينصفوا حتى يقرؤا بما جاء به الحق الذي هو موجود عندهم في التوراة والإنجيل.

أما أن تجتمع أهل الأديان، وأن تكون فئة واحدة، وأن هذا وهذا وهذا وكلهم في دين الحق، فهذا من أبطل الباطل، وأضل الضلال، وأكفر الكفر، فلا يمكن للنصارى واليهود أن يكونوا على حق وعلى هدى، وهم لا يقرون بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا ينقادون لما جاء به أبداً، وهذا بإجماع أهل

(١) فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد (١/٢٨٤، ٢٨٥).

الحق، وليس في هذا نزاع، والنصوص قائمة بهذا، فكل من كذب بمحمد ﷺ، ولا يقر بأنه رسول الله ﷺ إلى الجميع فهو كافر، ولو كان على دين موسى وعيسى، ولم يؤيد شيئاً من ذلك.

ولكن الجحد لمحمد ﷺ كفر مستقل، كيف وقد كفر قبل ذلكم، كفرت اليهود باتخاذها العزيز ابناً لله وتكذيبها عيسى، وكفرت النصارى بها حرفوا وبدلوا وزعموا أن عيسى ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، هذا كفر مستقل، ثم جاء كفر آخر وهو عدم إيمانهم بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فاجتمع عندهم أنواع من الكفر - نعوذ بالله - فكيف يقرب بين هذا وهذا في التوحيد بين الأديان؟!!

كيف يقرب بين الكفر والإسلام؟!!

لا يمكن.

ومثل هذا أيضاً: التقريب بين الشيعة وبين أهل السنة، فلا يمكن، لا يمكن إلا برجوع الشيعة عما هم عليه من الباطل، والأخذ بما قاله أهل السنة، أما أن يبقى الشيعة على حالهم والسنة على حالهم، فكيف يحصل التقريب؟!!

فهذه دعوة فاسدة خبيثة، نسأل الله العافية».

وحذر علماءنا كذلك من التعليم الأجنبي الذي ظاهره الرحمة وهو التعليم، وباطنه من قبله العذاب، يقصد به إفساد عقيدة المسلمين وأخلاقهم، وسلب مقومات قوتهم، وإذابة شخصيتهم الإسلامية في ثقافة الغرب.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «بالأمس القريب يبذل الناصحون منّا النصيحة تلو الأخرى بحماية مناهج التعليم من نفثات السوء، ونفوذ الضلال إليها، وتقوية المواد الدينية الإسلامية، وغرس العقيدة في قلوب ذراري المسلمين، وانتقاء المدرسين الموثوق بدينهم وسلامة معتقدتهم والجاري سلوكهم على السلامة والسداد، والحذر من جلب المدرسين الذين مرجت عهودهم، وداخلتهم أمراض الشبهات، والشهوات؛ لما لاحتضانهم أولاد المسلمين من مخاطر لا تخفى».

كل هذا يجري بالأمس - ونأمل الخير إلى الأبد -، أما اليوم فيأتي موقف المواقف في فاتحة العام الدراسي لهذا العام ١٤١٩ هـ:  
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له هوى له أحدٌ وانهدَّ ثَهْلَانُ

اليوم يفتح في بلادنا: «البيت المظلم»، تحل في بلادنا أعظم ضربة توجه إلى هذه البلاد، إنها قاصمة الظهر بفتح المدارس الأجنبية العالمية الاستعمارية».

وآثار المدارس الأجنبية السيئة على طلاب المسلمين معلومة ظاهرة، ذكر أكثرها العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ في رسالته عن المدارس الأجنبية، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «ومن آثارها وجود طبقة بين المسلمين من ذراريهم مسلوبة خاوية مفرغة من موالاة المسلمين والبراءة من الكافرين، والغيرة على الدين،

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص (١٢، ١٣).

(٢) المدارس الأجنبية، ص (٦٤، ٦٥).

يعيشون بين أمراض الشبهات، وعقدة الشك والصراع الفكري والعقدي، وبين أمراض الشهوات، فيعيشون الحياة الغربية بلسانهم، ومعلوماتهم، ولباسهم، ونمط حياتهم وغدوهم ورواحهم في غاية من التغريب والتفرنج. وهم بهذه المعيشة في الفكر والسلوك ينشرون التغريب والتشبه بأعداء الله بين المسلمين».

ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً نتاج بعض خريجي المدارس الأجنبية<sup>(١)</sup>: «تتعالى صيحاتهم، وتتعدد نداداتهم بفرنجة المسلمين، وتجاوز القيود الشرعية عن حياتهم، وبث جرائمهم وأدوائهم الأوربية أو الأمريكية بين المسلمين، ويتكهنون حياتهم المبنية على العبودية لله والاحتشام والمثل العليا في الإسلام، ويبغونها إباحية ماجنة، وهم في الحقيقة دعاة التمرد على الوحي، والإرهاب بين أهليهم وذويهم وبني جلدتهم، لا على شيء إلا على نعمة الإسلام».

فالواجب على المسلمين عموماً والولاية خصوصاً صيانة أبناء المسلمين من أهداف الاستعمار التعليمي، فلا يمكنوا الغرب الكافر من اختراق مجتمعات وأبناء المسلمين بإنشاء المدارس ذات الأهداف التي ظاهرها التعليم، وباطنها إفساد هوية المسلمين بإفساد عقيدتهم، وهدم أخلاقهم من خلال التعليم المختلط، وتلقين الطلاب ثقافة الغرب، فينصغ الطفل منذ صغره بأخلاق وثقافة أساتذته الكافرين.

لا ننكر حاجة المسلمين إلى علوم الهندسة والطب والحاسوب، وهذه ينتدب

(١) المدارس الأجنبية، ص (٦٧).

لتدريسها في جامعاتنا نخبة من خيار الأساتذة من المتمسكين بدينهم المحبين لإسلامهم الذين أخذوا هذه العلوم ولم يضيّعوا دينهم، ولا يحملون الكراهية لدينهم وأمتهم وثقافتهم وعاداتهم وأخلاقهم الجميلة.

يجب صيانة أبنائنا في مراحل دراستهم الأولى الابتدائي والمتوسط والثانوي تمامًا عن المدارس الأجنبية؛ حتى يكون ناشئنا في حمية منذ صغرهم من أسباب إفساد فطرتهم وتغيير عقيدتهم وهدم أخلاقهم، فإن تدريس أبنائنا منذ الصغر في المدارس الأجنبية تيسير للمستعمرين أهدافهم في صبغة أبنائنا بثقافة الغرب، فيتعود الطلاب منذ الصغر ثقافة الغرب وأخلاقه فيصرون إلى علمائيتهم، ومن يسلم منهم من ذلك لا يكون في قوة الدين ومثانته كمن نشأ في مدارس المسلمين، وترعرع في حضنها.

ويجب على أهل الأموال مزاحمة المدارس الأجنبية، وأن يقيموا المدارس الخاصة بتعليم أساسه وقوامه صحيح العقيدة ورفيع الأخلاق مع تعليم متميز في علوم الدنيا؛ ليكون للمسلمين غنية عن المدارس الأجنبية المملوءة بالأشرار من المدرسين والأهداف الخطيرة في تغريب أبنائنا ومسح هويتهم وإضعاف دينهم وإفساده.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يجب على من بسط الله يده أن يبيء لأولاد المسلمين ذكورًا وإناثًا المدارس الصالحة النقية الخالية من الكفر

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص (١١٩، ١٢٠).

والإلحاد والفحش والفجور والاختلاط بين الجنسين، وأن يختار لها من المعلمين الأكفاء الناصحين لدينهم وأمتهم المشفقين على أولاد المسلمين ومصالحهم.

كما يجب العناية بالمناهج والكتب الدراسية شكلاً ومضموناً وأن تنطلق من الاعتقاد الصحيح بالإسلام وإرادة الخير للأمة أفراداً وجماعات.

كما لا يجوز لأهل الإسلام تعطيل المناهج والمقررات الدراسية من تعليم أصول الإسلام ونواقضه وفرائضه، ومن ذلك التوحيد والإيمان وما يصاده من الكفر والشرك، وكذلك تعليم فرائض الإسلام وآدابه وسننه ومعاملاته وأحكامه، وهذه أمانة كبرى والسؤال عنها يوم القيامة عسير!

فاللهم اهد من وليته شيئاً من أمور المسلمين، وأعنه على كل خير إنك قريب مجيب».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ ناصحاً أولياء الطلاب<sup>(١)</sup>: «تسليم الأولاد الصغار الأغرار إلى المدارس الكفرية أو اللادينية بحجة التعلم فيتربون في حجرهم، ويتلقون تعليمهم وعقائدهم منهم، وقلب الصغير قابل لما يلقي فيه من الخير والشر بل ذلك بمثابة النقش على الحجر، فَيَسَلَّمُونَهُمْ إلى هذه المدارس نظيفين، ثم يستلمونهم ملوثين، كل بقدر ما عبَّ منها ونهَلَّ، وقد يدخلها مسلماً، ويخرج منها كافراً، نعوذ بالله من ذلك».

لا يجوز لأحد أن يتهاون بشأن المدارس الأجنبية، فإن الأمور تبدأ صغاراً

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص (١٢٢).



ثم تعود كبارًا، فتبدأ بالتعليم كما زعموا، ثم تكون مركزًا لإقامة البحوث والدراسات للاستخبارات الأجنبية الكافرة.

بل هي أخطر من ذلك بكثير، فإنها أسقطت بعض دول الإسلام، وأقامت مكانها دولة العلمانية.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن مدرسة التنصير التي افتتحت في استانبول - إسلام بول - عام ١٨٦٣، هي التي قادت حركة التمرد على الدولة العثمانية بزعامة قائد الإلحاد والعلمنة والتغريب أتاتورك» (١٩٢٤ - ١٩٣٨)، وهذا هدم للدولة الإسلامية.

وقال أيضًا العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «إن التعليم الأجنبي إبادة للأجيال المسلمة، وصياغة لها في ثقافتها التاريخية بما لا صلة له بالإسلام ولا بالمسلمين.

وأما في الدين: فإن غزو هذه المدارس التثقيفي القومي هو تمهيد للغزو الديني، فهي معاقل تبشير بالديانات والنحل التي محاهها الإسلام وأبطلها، والتي لا يزال الكافرون يتمون إليها كالنصرانية بمذاهبها الثلاثة: الكاثوليك، والبروتستانت، والأرثوذكس.

وإن الوليد المسلم الذي يرمي به أبواه في أحضان هذه المدارس الاستعمارية

(١) المدارس الأجنبية، ص (٦٥، ٦٦).

(٢) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص (٥٨، ٥٩).

- إمّا أن يخرج مسلماً خواءً مفرغاً من مقوماته من حيث لا يشعر مشحوناً بمقومات غيره في دينه وثقافته، يستخدمونه لأغراضهم وغاياتهم.

وإمّا ردة إلى دين باطل كالنصرانية.

وإمّا ردة إلى غير دين «اللا دينية»، نعوذ بالله من ذلك ونسأله سبحانه الثبات على الإسلام».

ومن تحقّق علمائنا بفقّه الواقع مقارنتهم بين أحوالنا وأحوال السابقين الأولين الذين أعزهم الله ونصرهم وسادوا الأمم؛ ليتبين المسلمون أسباب تقهقرهم وتحلفهم وهزيمتهم.

قال الإمام المجدد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إنه لا يجوز للمسلم أن يعرض عن الأسباب أو يتهاون بشأنها، كما أنه لا يجوز له الاعتماد عليها، بل يجب أن يكون اعتماده على الله وحده، مؤقتاً بأنه سبحانه هو الذي بيده النصر وهذا هو حقيقة التوكل الشرعي، وهو: الأخذ بالأسباب والعناية بها مع الاعتماد على الله والتوكل عليه، وقد نبّه الله سبحانه على هذا المعنى في عدة آيات؛ منها قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فذكر التقوى أولاً وهي أعظم الأسباب؛ لأن حقيقتها طاعة الله ورسوله ﷺ في كل شيء، ومن ذلك الأخذ بالأسباب الحسية والمعنوية والسياسية والعسكرية، ثم ذكر التوكل

(١) مجموع الفتاوى البازية (٢/ ١٧٠ - ١٧٢).

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيهِ. وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

أما الجهاد الصادق فذكره سبحانه في عدة آيات، وذكر ما يترتب عليه من النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة، وبين صفات المجاهدين الصادقين؛ ليميزوا من غيرهم، فقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَيُكْفَرُونَ فَأَثَبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٥ - ٤٧]، فتأمل أيها المؤمن هذه الصفات العظيمة للمجاهد الصادق حتى يتضح لك حال المسلمين اليوم، وحال المجاهدين السابقين، وحتى تعرف سر نجاح أولئك وخذلان من بعدهم، وأنه لا سبيل إلى إدراك النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة إلا بالتخلق بالأخلاق التي أمر الله بها ودعا إليها وعلق بها النصر، وقد أوضحها الله سبحانه في كتابه المبين في هذه الآيات التي ذكرناها وغيرها، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ تَصَرُّفِنَا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرُ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، وقد جمع الله سبحانه في هذه الآيات أسباب النصر، وردها إلى عاملين أساسيين، وهما: الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والجهاد في سبيله، ورتب على ذلك مغفرة الذنوب والفوز بالجنة في الآخرة، والنصر في الدنيا، والفتح القريب، وأخبر سبحانه أن المسلمين يحبون النصر والفتح، ولهذا قال: ﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، فإذا كان ملوكنا وزعمائنا في مؤتمرهم هذا يرغبون رغبة صادقة في النصر والفتح القريب والسعادة في الدنيا والآخرة - فقد أوضح الله لهم السبيل، وأبان لهم العوامل والأسباب المفضية إلى ذلك، فما عليهم إلا أن يتوبوا إلى الله توبة صادقة مما سلف من تقصيرهم وعدم قيامهم بما يجب عليهم من حق الله وحق عباده، وأن يتعهدوا صادقين على الإيمان بالله ورسوله ﷺ وتحكيم شريعته والاعتصام بحبله وجهاد الأعداء صفًا واحدًا بكل ما أعطاهم الله من قوة، وأن ينبذوا المبادئ المخالفة لشريعة الله وحقيقة دينه، وأن يعتمدوا عليه سبحانه دون غيره من المعسكر الشرقي أو الغربي، وأن يأخذوا بالأسباب ويعتدوا ما استطاعوا من القوة بكل وسيلة أباحها الشرع، وأن يكونوا مستقلين ومنحازين عن سائر الكتل الكافرة من شرقية وغربية، متميزين بإيمانهم بالله ورسوله ﷺ واعتصامهم بدينه وتمسكهم بشريعته.

أما السلاح وأصناف العدة فلا بأس بتأمينها من كل طريق وبكل وسيلة

لا تخالف الشرع المطهر».

ومن فقه علمائنا بالواقع معرفتهم بأساليب الكافرين في غزونا بحسب ما يمكنهم فعله، وإن سنحت لهم الفرصة فلن يألوا جهداً في استخدام جميع أساليبهم الماكرة.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ مَعْلَقاً<sup>(١)</sup>: «قوله: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من أعدائكم من المنافقين، ومن الكافرين المصرحين بالكفر، ومن الفاسقين الذين يغزونكم في الوقوع في المعاصي التي دون الكفر، ومن كل أحد يصدكم عن دين الله.

فعلينا أن نأخذ الحذر من غزو هؤلاء لنا، سواء كان بالسلاح، أو كان بالفكر، أو كان بالخلُق، ومعلوم أن أعداء المسلمين يغزون المسلمين بكل سلاح، وينظرون السلاح المناسب للأمة فيغزونها به، فإذا كان من المناسب للأمة أن يغزوها بالسلاح فعلوا وقاتلوا وهاجموا، وإذا كان من غير الممكن فإنهم يغزون بالأفكار، فيأتون بأفكار منحرفة إحدادية إذا أمكنهم، وإذا لم يمكن بأن كانت الأمة على جانب كبير من الوعي والتوحيد والارتباط بالله عزَّوَجَلَّ، قالوا: إذاً نغزو بطريق ثالث وهو الخُلُق. فسلطوا عليها كل ما يفسد أخلاقها من المجالات، والإذاعات، وغير ذلك.

ولهذا انظر الآن ماذا فعلوا بالناس بواسطة المحطات الدولية التي تلتقط

(١) تفسير سورة النساء (١/٥١١، ٥١٢).

عن طريق الدشوش، فالأقمار مرسلة والدشوش مستقبلة، وهذه الأشياء التي ييثنونها لا شك - كما سمعنا ولم نشاهد، والحمد لله - أن فيها شراً عظيماً، وهم يجعلون فيها أشياء مفيدة؛ لأنهم يعلمون أنها لو كانت مفسدة بكامل عناصرها ما قبلها الناس، إلا من زاغ قلبه، والعياذ بالله، لكن يجعلون فيها أشياء مفيدة من أجل أن يضعوا الحب للصيد».

وأشيد كذلك بيقظة علمائنا في تعرف جهود وخطط دعاة التنصير الذين لهم خطط ماكرة في استدراج شباننا إلى الافتتان بالغرب الكافر من خلال رحلات سياحة وترفيه مشبوهة.

ففي ١ / ٧ / ١٣٩٩ هـ نشرت إحدى الصحف إعلاناً من مؤسسة أمريكية يتضمن دعوة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين سن ١٠ - ١٨ سنة إلى الاشتراك في رحلة صيفية لمدة ستة وستين يوماً؛ لزيارة كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك.

وقام سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ بالرد عليهم، فقال<sup>(١)</sup>: «وأداءً لواجب المسؤولية وقيامًا بواجب النصيح للأمة نوضح لإخواننا المسلمين وكافة المواطنين ما تنطوي عليه مثل هذه الرحلات من الخطر العظيم على أخلاق أبنائهم ودينهم؛ فإن القائمين على هذه الرحلات هم من الكفار الذين لا يراعون خلقاً ولا ديناً إلا الكسب المادي، هذا إذا خلوا من أهداف تبشيرية أو أغراض سيئة أخرى».

(١) مجموع الفتاوى البازية (٤/١٩٧-١٩٩).

كما أن هذه الرحلات إلى بلاد انتشرت فيها كل أنواع الرذائل والأخلاق السافلة والدعوات الهدامة، والذين وُجّهت إليهم الدعوة للاشتراك هم أطفال وشباب في سن المراهقة ومرحلة التأثر بالتوجيه والقدوة والانبهار بالمظاهر مع قلة العلم وضعف التمييز بين الخير والشر، إن دلوا على الخير سلكوا طريقه، وإن دلوا على الشر أسرعوا إليه إلا من شاء الله.

والنتيجة عن ذلك من الأضرار لا يحصى، فمنها: ابتعاد الابن عن إشراف أبيه وتوجيهه في سن هو في أمس الحاجة إلى الرعاية والتأديب فيه، ومنها ما يخشى من هجره لفرائض الدين وتركه لأدائها وفي مقدمتها الصلاة والصيام؛ إذ إن موعد الرحلة يصادف شهر رمضان الذي يجب على كل مسلم بالغ صيامه، وكيف يصوم هذا الفتى وهو يُجر إلى الملاهي والشهوات؟!

ومنها: التأثر بالأخلاق الفاسدة التي يعايشها ويشاهدها، مما يضعف في نفسه الالتزام بالأخلاق الإسلامية، ويؤدي به إلى الاستهانة بها وعدم احترامها، ومنها: وقوعه تحت توجيه الكفار وإشرافهم وولايتهم.

والحكم في هذه المسألة أنه لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين أو الإقامة بين ظهرائهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه والذب عن الشبه التي ترد عليه ويقوم بأداء واجباته، وعموم الأدلة يؤيد ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

وَالْوَالِدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا عَفُورًا ﴿٩٩﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وقوله ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين». وقوله: «لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يزايل المشركين».

ولأن في ذلك وسيلة إلى ارتكاب المحرم وترك الواجب وما أفضى إليهما فحكمه التحريم.

والخلاصة أن هذه الرحلة لا تجوز من شبابنا وأوليائهم الاستجابة إليها، بل يجب على ولاة الأمور وعلى الآباء بذل جميع الوسائل الممكنة لعدم اشتراك الشباب في مثل هذه الرحلات، وإحباطها وعدم إنفاذها حماية لشباب المسلمين مما يهدد عقيدتهم وأخلاقهم.

ولا يفوتني هنا أن أنبه إخواني المسلمين إلى ما يحكيه لهم أعداؤهم من الدسائس والمؤامرات لفتنتهم عن دينهم وإبعادهم عنه وإضعاف التزامهم به التي تبنيها خطط التبشير التي كشفها الكثير من علماء المسلمين ومفكريهم، وفي حملات التشكيك المستمرة.

ويغلط غلطاً عظيماً من ينفي ذلك ويحسّن الظن بهم، فأمامنا من البراهين الجلية ما لا ينكره إلا مغفل أو فاسق أو مكابر، وما الغزوات والحملات التبشيرية المركزة على بلاد المسلمين في إندونيسيا والفلبين وبنغلادش وأوغندا والسودان وغيرها من البلاد إلا براهين على ذلك.

ومن الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام إلى ذلك إنشاء المستشفيات



والمدارس والملاجيء وإقامة الاجتماعات الترفيهية والجمعيات الإنسانية، وغايتهم في ذلك تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم وقطع صلتهم بالله وإطلاق شهواتهم.

وهل هناك أنجح من حضنهم للمراهقين في مثل هذه الرحلات وغسل أدمغتهم بما يلقونه عليهم من توجيه.

فتيقظوا أيها الإخوان لهذه الخطط الخبيثة، ولا تسلموا أولادكم لأعدائكم فتلقوا بهم إلى التهلكة، وتدفعوهم إلى طرق الضلال، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

كما نذكر إخواننا المسلمين بواجبهم تجاه أبنائهم من تربيتهم التربية الصالحة، وأمرهم بأداء الشعائر، والتحلي بالآداب الإسلامية، ونهيهم عن المحرمات، وعن الرذائل ووسائلها، وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم، وصيانتهم عن رفقاء السوء وعن المجتمعات الفاسدة.

ونبه القائمين على الصحف المحلية إلى المزيد من التيقظ والغيرة على الدين والمجتمع، وعدم نشر مثل هذه الإعلانات الضارة التي تخدم أعداء الدين وتعود بالضرر على المجتمع وأبنائه في دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم، بل الواجب عليهم أن يكونوا وسائل مساعدة في الإصلاح والتوجيه إلى الخير والحق.

وكما حذر علماءنا من الاغترار بأخلاق وثقافة الغرب حذروا كذلك من

الاغترار بقوانينهم المخالفة للشريعة؛ قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «فمن تمسك بهذا القرآن العظيم فله المجد والعزة والكرامة والرفعة، ولهذا ننصح أمتنا الإسلامية بادئين بأفراد شعوبها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، ونوجّه الدعوة على وجه أوكد إلى ولاية أمورها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، وألا يغرمهم البهرج المزخرف الذي يَرِدُ من الأمم الكافرة التي تضع القوانين المخالفة للشريعة، المخالفة للعدل، المخالفة لإصلاح الخلق، أن يضعوها موضع التنفيذ، ثم يبنذوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم؛ فإن هذا والله سبب التأخر، ولا أظن أحدًا يتصور الآن أن أمة بهذا العدد الهائل تكون متأخرة هذا التأخر؛ وكأنها إمارة في قرية بالنسبة للدول الكافرة؛ لكن سبب ذلك - لا شك - معلوم، هو أننا تركنا ما به عزتنا وكرامتنا، وهو: التمسك بهذا القرآن العظيم، وذهبنا نلهث وراء أنظمة بائدة فاسدة مخالفة للعدل مبنية على الظلم والجور.

فنحن ناشد ولاية أمور المسلمين جميعًا ناشدهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يرجعوا رجوعًا حقيقيًّا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يستتب لهم الأمن والاستقرار، وتحصل لهم العزة والمجد والرفعة».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «كلما أبعد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر حتى يرجع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

(١) تفسير جزء عم، ص (١٤٤، ١٤٥).

(٢) تفسير جزء عم، ص (١٥٢).

ومن جهود علمائنا في فقه الواقع تفقد أحوال إخوانهم المسلمين في أقطار الدنيا، خصوصاً الأقليات في الدول الكافرة، أو الدول المسلمة الفقيرة، وتحسس أخبارهم والسؤال عن أحوالهم والمشاركة إلى مساعدتهم، وبذل أسباب حفظ دينهم وعقيدتهم.

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ مَبِينًا لجهوده وإخوانه العلماء والدعاة في ذلك<sup>(١)</sup>: «إن للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بحمد الله جهودًا في مختلف البلاد الإسلامية والبلاد التي فيها أقليات، وتشاركها في ذلك رابطة العالم الإسلامي، وبعض الدول والمؤسسات الإسلامية، أسأل الله أن ينفع بهذه الجهود، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يوفق القائمين على ذلك لما يحب ويرضى».

فقد قامت الرئاسة بمواصلة نشر رسالة الإسلام في ربوع إفريقيا وأوروبا، وأمريكا وآسيا وإستريا؛ لإيصال كلمة الحق إلى الناس بما توزعه من المصاحف والكتب بواسطة الدعاة والمرشدين، وما يقومون به من محاضرات ودروس ولقاءات واتصالات بشتى الطبقات، وبأنواع الثقافات، ومن خلال المساجد والمدارس والجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي تدعمها، وتساهم في تأسيسها وبنائها، بواسطة دعواتها المنتشرين في سائر أرجاء الأرض.

فالرئاسة توجه نشاطاتها فيما يقرب من خمسين بلدًا في إفريقيا وحدها، ولها أكثر من ألف داعية هناك، يبلغون كلمة الإسلام، ويدعون إلى دين الله

(١) مجموع الفتاوى البازية (٢/ ٣٧٤ - ٣٧٦).

في المساجد والمجتمعات والمناسبات المتعددة، ويقومون بالتدريس والوعظ وإرشاد الناس بالحسنى إلى صراط الله المستقيم، وإلى العقيدة الصحيحة التي بلغها نبينا محمد ﷺ لأمته، وسار على نهجها الصفوة الأولى من هذه الأمة.

وقال ساحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ حَاضِياً عَلَى نَصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ<sup>(١)</sup>: «إن على جميع الدول الإسلامية في جميع أقطار الدنيا أن يساعدوا المسلمين في هذه المنطقة التي ابتليت بهذه المذاهب الهدامة من تنصير وشيوعية، وبوذية وإباحية، وغير ذلك، وعلى علماء الإسلام في كل مكان أن يبذلوا الوسع في مساعدة إخوانهم من العلماء والدعاة في هذه المنطقة حتى يكافحوا جميعاً هذا الخطر الداهم، وحتى يتعاونوا جميعاً في محاربتة بكل وسيلة من الوسائل الشرعية.

ولا ريب أن تثبيت الإسلام في هذه المنطقة والدعوة إليه ومكافحة خصومه - يحتاج إلى جهود عظيمة وعناية مستمرة، ونرجو أن يكون له المستقبل فيها وفي غيرها، وأن يكمل الله جهود الدعاة إليه والمصلحين والعلماء بكل نجاح وتوفيق.

لكن يجب على العلماء والدعاة إلى الله أيها كانوا أن ينظروا في الأدواء أولاً، ويجتهدوا في جمع المعلومات عنها في هذه المنطقة التي نحن بصددتها وهي منطقة شرق آسيا، على العلماء والدعاة إلى الله المحليين وغيرهم من الدعاة الوافدين إلى هذه الدول أن يعنوا بمعرفة الأدواء، ومعرفة أساليب

(١) مجموع الفتاوى البازية (٥ / ١٩٥).

الأعداء في التنصير وغيره حتى يضعوا الدواء على الداء، وحتى يتوصلوا إلى العلاج الناجع بإذن الله. ولا شك أن هذا يحتاج إلى جهود مكثفة وصبر ومصابرة في جميع الدول ولا سيما دولة إندونيسيا؛ فإنها أكبر دولة إسلامية في المنطقة والجهود التنصيرية مكثفة فيها».

وحذر علماءنا من وسائل الإعلام الأجنبية التي تشن حربًا شديدة على الإسلام والمسلمين.

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «هذه النعمة العظيمة - الأخوة في الإسلام - قد ضاق بها أعداء الإسلام، وعملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة وزرع أسباب الفرقة والتنازع بينهم؛ لتذهب ريح الأمة وقوتها، وليسهل إذلالها وقهرها والسيطرة عليها. وكما يقولون: فرّق تُسد.

ومن أقوى وسائل الأعداء في هذا: وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وما تبثه من الأخبار الكاذبة والمحرّفة التي تزرع الشر والفتن وأسباب الكراهية والحقد والفرقة بين المسلمين.

ومن أهم الواجبات على المسلمين جميعًا ولا سيما العلماء ورجال الإعلام المنصفون - التصدي لهذه الحملات الحاقدة التي تستغل الأحداث لإثارة الشكوك وإزالة الثقة بين المسلمين أفرادًا وجماعات، حكمًا ومحكومين.

ومما يلاحظ في هذا العام بشكل خاص أن كثيرًا من وكالات الأنباء العالمية التي

(١) مجموع الفتاوى البازية (٧/٣٤٥، ٣٤٦).

تخدم مخططات أعداء الإسلام وتخضع لمراكز التوجيه النصراني والماسوني - تخطط بأسلوب ماكر لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه [الأصوليين]، وهم يقصدون بذلك الدم والقدح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أصوله الصحيحة، الذين يرفضون مسايرة الأهواء والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة.

وقد وقع بعض الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء، وأخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للإسلام، وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها، أو غرض في نفوس بعضهم، فكانوا يفعلهم هذا أعاوناً للأعداء على الإسلام والمسلمين بدلاً من قيامهم بواجب التصدي لأعداء الإسلام، وإبطال كيدهم ببيان أهمية الرابطة الدينية والأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية، وإن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها أحد لا ينبغي أن تكون مبرراً للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم».

ولا يخفى على طلبة العلم فضلاً عن عموم المسلمين تدرج الكفار في جذب المسلمين إلى دينهم وإركاسهم في الردة والكفر والشرك، فإنهم يبدءون معهم أولاً بالدعوة لوحدة الأديان بشعارات مضللة كالتسامح، وحققتها الدعوة إلى تسوية الشرك بالتوحيد، وتسوية الشرائع المنسوخة المحرّفة المبدّلة بشريعة الإسلام المحكمة خاتمة الرسالات، وعقدوا لذلك المؤتمرات والندوات.

وقام الأئمة المضلون بالترويج لمقاصد الكافرين وزعموا أنها كلها أديان سماوية<sup>(١)</sup>، ورحم الله سلفنا فإنهم كانوا أهل بصيرة بمآل البدع والمتكسبين بالدين

(١) وكتبوا أنها حُرِّفَتْ ونُسخت، وكتبوا كذلك بشارة التوراة والإنجيل بنبينا محمد ﷺ ووجوب

عموماً والعقيدة خصوصاً؛ حيث قالوا: «البدع بريد الكفر». وقال الله قبل ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْأَرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١) [القصص: ٤١].

وقام علماءنا بدورهم بالنصيحة للمسلمين في التحذير من هذا الاستدراج النصراني للتسوية بين التوحيد والشرك، فأصدرت اللجنة الدائمة بياناً في ذلك هذا نصه<sup>(١)</sup>:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصراني، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

الإيمان به ولزوم شريعته.

(١) فتوى رقم (١٩٤٠٢)، بتاريخ ٢٥/١/١٤١٨هـ.

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمع عليها المسلمون - أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالى: «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزيور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى «القرآن الكريم»، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثاً: يجب الإيمان بأن «التوراة والإنجيل» قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقها التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله جلَّ وعَلَا: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ



لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿البقرة: ٧٩﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿آل عمران: ٧٨﴾.

ولهذا: فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرّف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿الأحزاب: ٤٠﴾.

فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسوله حيًا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿آل عمران: ٨١﴾.

ونبي الله عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ، وحاكمًا بشريعته.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وغيرها من الآيات.

خامساً: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً، وأنه عدو الله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وغيرها من الآيات.

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أهل النار». ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر؛ طرداً لقاعدة الشريعة: «من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر».

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى «وحدة الأديان» والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد - دعوة خبيثة، مأكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه،

وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله - جل وتقدس - يقول: ﴿قِنَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقِنَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقِنُّونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامناً: إن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عزَّوَجَلَّ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١ - فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، ورسولاً الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكهها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتفاء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم» والمحرّف أو الحق المنسوخ «التوراة والإنجيل».

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: «بناء مسجد وكنيسة ومعبد» في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله» وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعالى في «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ١٦٢): «ليست - أي: البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: ومما يجب أن يُعلم: أن دعوة الكفار بعامّة، وأهل الكتاب بخاصة

إلى الإسلام - واجبة على المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة والتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتٰبِ تَعٰلَوْٓا۟ اِلَىٰ كَلِمٰتٍۭ سَوَآءٍۭ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْۙ اِلَّا نَعْبُدُ اِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِۦٓ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًاۙ مِنْ دُوْنِ ٱللَّهِۗ فَاِنْ تَوَلَّوْا۟ فَقُوْلُوْا۟ اَشْهَدُوْا۟ اِنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغبتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاهد الإيمان - فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ اِنَّ يَفْتِنُوْكَ عَنْۢ بَعْضِ مَاۤ اَنْزَلَ ٱللَّهُ اِلَيْكَؕ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس فإنها توصي المسلمين بعامه وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة «وحدة الأديان»، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيد بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم.

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيدنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام، على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب الرئيس

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عضو

عضو

بكر بن عبد الله أبو زيد

صالح بن فوزان الفوزان

لقد قام النصارى بكل أسباب ووسائل ردة المسلمين ودعوتهم إلى الدخول في دينهم المنسوخ المحرّف المبدّل، وقام علماءنا جزاهم الله خيراً بتحذير المسلمين من شرورهم وتنبئهم إلى وسائلهم ليحذروها، وتوجيههم لتحمل مسؤولياتهم تجاه حفظ دينهم ونصرة وعقيدتهم.

فقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية بياناً في التحذير من وسائل التنصير<sup>(١)</sup>، هذا نصه:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين، خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فغير خافٍ على كل من نَوَّرَ الله بصيرته من المسلمين شدة عداوة الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم للمسلمين، وتحالف قواهم، واجتماعها ضد المسلمين؛ لِيُرْدُوهُمْ وليلبسوا عليهم دينهم الحق، دين الإسلام، الذي بعث الله

(١) بيان رقم (٢٠٠٩٦) بتاريخ ٢٢/١٢/١٤١٨هـ.

به خاتم أنبيائه ورسله محمداً ﷺ إلى الناس أجمعين.

وإن للكفار في الصد عن الإسلام وتضليل المسلمين، واحتوائهم، واستعمار عقولهم، والكيد لهم - وسائل شتى، وقد نشطت دعواتهم وجمعياتهم وإرسالياتهم، وعظمت فتنتهم في زمننا هذا، فكان من وسائلهم ودعواتهم المضللة: بعث نشرة باسم: «معهد أهل الكتاب» في دولة جنوب إفريقيا، تُبعث للأفراد والمؤسسات والجمعيات عبر صناديق البريد في جزيرة العرب - أصل الإسلام ومعقله الأخير -، متضمنة هذه النشرة ببرامج دراسية عن طريق المراسلة، وبطاقة اشتراك بدون مقابل في كتب: «التوراة، والزبور، والإنجيل»، وعلى ظهر هذه النشرة مقتطفات من هذه الكتب.

هذا وإن من عاجل البشري للمسلمين: استنكار هذا الغزو المنظم، والتحذير منه بجميع وسائله، وكان من هذه المواقف المحمودة: وصول عدد من الكتابات والمكالمات إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أملى صدور بيان يقف أمام هذه النشرات، ويحذر من هذه الدعوات الكفرية الخطيرة على المسلمين، فنقول وبالله التوفيق:

منذ أشرقت شمس الإسلام على الأرض، وأعداؤه - على اختلاف عقائدهم ومللهم - يكيّدون له ليلاً ونهاراً، ويمكرون بأتباعه كلما سنحت لهم فرصة؛ ليخرجوا المسلمين من النور إلى الظلمات، ويَقْوُضُوا دولة الإسلام، ويضعفوا سلطانه على النفوس، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى؛ إذ يقول:

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿ [البقرة: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وكان من أبرز أعداء هذا الدين: «النصارى الحاقدون» الذين كانوا ولا يزالون يبذلون قصارى جهدهم، وغاية وسعهم لمقاومة المد الإسلامي في أصقاع الدنيا، بل ومهاجمة الإسلام والمسلمين في عقر ديارهم، لا سيما في حالات الضعف التي تنتاب العالم الإسلامي كحالته الراهنة اليوم، ومن المعلوم بدهاء أن الهدف من هذا الهجوم هو زعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، تمهيداً لإخراجهم من الإسلام، وإغرائهم باعتناق النصرانية، عبر ما يُعرف خطأً بـ«التبشير»، وما هو إلا دعوة إلى «الوثنية» في النصرانية المحرّفة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونبي الله عيسى عليه السلام منها براء.

وقد أنفق النصارى أموالاً طائلة، وجهوداً كبيرة في سبيل تحقيق أحلامهم، في تنصير العالم عموماً، والمسلمين على وجه الخصوص، ولكن حالهم كما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وقد عقدوا من أجل هذه الغاية مؤتمرات عدة، إقليمية وعالمية، منذ قرن



من الزمان وإلى الآن، توافد إليها المنصرون العاملون من كل مكان؛ لتبادل الآراء والمقترحات حول أنجع الوسائل، وأهم النتائج، ورسوموا لذلك الخطط ووضعوا البرامج، فكان من وسائلهم:

١- إرسال البعثات التنصيرية إلى بلدان العالم الإسلامي، والدعوة إلى النصرانية من خلال توزيع المطبوعات من كتب ونشرات تُعرف بالنصرانية، وترجمات للإنجيل، ومطبوعات للتشكيك في الإسلام، والهجوم عليه، وتشويه صورته أمام العالم.

٢- ثم اتجهوا أيضًا إلى التنصير بطرق مغلقة، وأساليب غير مباشرة، ولعل من أخطر هذه الأساليب ما كان: عبر التطبيب، وتقديم الرعاية الصحية للإنسان، وقد ساهم في تأثير هذا الأسلوب: عامل الحاجة إلى العلاج، وكثرة انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البيئات الإسلامية، خصوصًا مع مرور زمن فيه ندرة الأطباء المسلمين، بل فقدانهم أصلًا في بعض البلاد الإسلامية.

ومن تلك الأساليب أيضًا: التنصير عن طريق التعليم، وذلك إما بإنشاء المدارس والجامعات النصرانية صراحة، أو بفتح مدارس ذات صبغة تعليمية بحثة في الظاهر، وكيد نصراني في الباطن، مما جعل فئامًا من المسلمين يلقون بأبنائهم في تلك المدارس رغبة في تعلم لغة أجنبية، أو مواد خاصة أخرى، ولا تسأل بعد ذلك عن حجم الفرصة التي يمنحها المسلمون للنصارى حين يهدونهم فلذات أكبادهم في سن الطفولة والمراهقة، حيث الفراغ العقلي

والقابلية للتلقي، أيًا كان الملقّي!! وأيًا كان الملقّى!!

ومن أساليبهم كذلك: التنصير عبر وسائل الإعلام، وذلك من خلال الإذاعات الموجهة للعالم الإسلامي، إضافة إلى طوفان البث المرئي عبر القنوات الفضائية في السنوات الأخيرة، فضلاً عن الصحف والمجلات والنشرات الصادرة بأعداد هائلة.

وهذه الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة كلها تشترك في دفع عجلة التنصير من خلال مسالك عدة:

أ- الدعوة إلى النصرانية بإظهار مزاياها الموهومة، والرحمة والشفقة بالعالم أجمع.

ب- إلقاء الشبهات على المسلمين في عقيدتهم وشعائهم وعلاقاتهم الدينية.

ج- نشر العري والخلاعة، وتمييج الشهوات؛ بغية الوصول إلى انحلال المشاهدين، وهدم أخلاقهم، ودك عفتهم، وذهاب حيائهم، وتحويل هؤلاء المنحليين إلى عبّاد شهوات، وطلاب متع رخيصة، فيسهل بعد ذلك دعوتهم إلى أي شيء، حتى لو كان إلى الردة والكفر بالله - والعياذ بالله -، وذلك بعد أن خبت جذوة الإيمان في القلوب، وانهار حاجز الوازع الديني في النفوس.

٣- وهناك وسائل أخرى للتنصير، يدركها الناظر ببصيرة في أحوال العالم الإسلامي، نتركها اختصاراً؛ إذ المقصود هاهنا التنبيه لا الحصر، وإلا فالأمر كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وكما

قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

٤- تلك مكائد المنصرين، وهذا مكرهم لإضلال المسلمين!!

فما واجب المسلمين تجاه ذلك؟ وكيف يكون التصدي لتلك الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين؟ لا شك أن المسؤولية كبيرة ومشاركة بين المسلمين أفرادًا وجماعات، حكومات وشعوبًا؛ للوقوف أمام هذا الزحف المسموم، الذي يستهدف كل فرد من أفراد هذه الأمة المسلمة، كبيرًا كان أو صغيرًا، ذكرًا أو أنثى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ويمكننا القول فيما يجب أدائه على سبيل الإجمال - مع التسليم بأن لكل حال وواقع ما يناسبه من الإجراءات والتدابير الشرعية - ما يلي:

١- تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، من خلال مناهج التعليم وبرامج التربية بصفة عامة، مع التركيز على ترسيخها في قلوب الناشئة، خاصة في المدارس ودور التعليم الرسمية والأهلية.

٢- بث الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة جميعًا، وشحن النفوس بالغيرة على الدين وحرماته ومقدساته.

٣- التأكيد على المنافذ التي يدخل منها التناج التنصيري من أفلام ونشرات ومجلات وغيرها، بعدم السماح لها بالدخول، ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالعقوبات الرادعة.

٤- تبصير الناس وتوعيتهم بمخاطر التنصير وأساليب المنصرين وطرائقهم؛  
للحذر منها، وتجنب الوقوع في شباكها.

٥- الاهتمام بجميع الجوانب الأساسية في حياة الإنسان المسلم، ومنها:  
الجانب الصحي والتعليمي على وجه الخصوص؛ إذ دلت الأحداث أنها  
أخطر منفذين عبّرَ من خلالها النصارى إلى قلوب الناس وعقولهم.

٦- أن يتمسك كل مسلم في أي مكان على وجه الأرض بدينه وعقيدته  
مهما كانت الظروف والأحوال، وأن يقيم شعائر الإسلام في نفسه ومن تحت  
يده حسب قدرته واستطاعته، وأن يكون أهل بيته محصنين تحصيئاً ذاتياً  
لمقاومة كل غزو ضدهم يستهدف عقيدتهم وأخلاقهم.

٧- الحذر من قبل كل فرد وأسرة من السفر إلى بلاد الكفار، إلا الحاجة  
شديدة، كعلاج أو علم ضروري لا يوجد في البلاد الإسلامية، مع الاستعداد  
لدفع الشبهات والفتنة في الدين الموجهة للمسلمين.

٨- تنشيط التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والتعاون بينهم، فإراعي  
الأثرياء حقوق الفقراء، ويسطوا أيديهم بالخيرات والمشاريع النافعة؛ لسد  
حاجات المسلمين، حتى لا تمتد إليهم أيدي النصارى الملوثة، مستغلة حاجتهم  
وفاقتهم.

وختاماً نسأل الله الكريم بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجمع شمل  
المسلمين على الحق، وأن يؤلف بين قلوبهم، ويصلح ذات بينهم، ويهديهم

سبل السلام، وأن يحميهم من مكائد الأعداء، ويعيذهم من شرورهم، ويجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه أرحم الراحمين.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واردد كيده في نحره، وأدر عليه دائرة السوء، إنك على كل شيء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

### اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب الرئيس

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عضو

عضو

بكر بن عبد الله أبو زيد

عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو

صالح بن فوزان الفوزان

ومن جهود علمائنا في فقه الواقع اعتناءهم بالشباب وقرابهم منهم، وتلمس مشاكلهم والسعي في حلها، وتوجيه الشباب لحفظ دينهم وأخلاقهم وصيانتهم عن التغريب المفسد للدين والدنيا، وتوجيه طاقاتهم لنصرة دينهم وخدمة أوطانهم بينائه لا هدمه وتخريبه بمعاول الإفساد العلماني أو التكفيري التفجيري.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إن الأجدد بنا أن ننطلق

(١) من مشكلات الشباب ص (٨)، ط: مكتبة دار الضياء، ط: الثانية ١٤٠٦هـ.

من البداية، فتأمل في شبابنا وما هم عليه من أفكار وأعمال كي ننمي منها ما كان صالحًا ونصلح منها ما كان فاسدًا لأن الشباب اليوم هم رجال الغد وهم الأصل الذي ينبني عليه مستقبل الأمة، ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالحث على حسن رعايتهم، وتوجيههم إلى ما فيه الخير والصلاح، فإذا صلح الشباب وهم أصل الأمة الذي ينبني عليه مستقبلها، وكان صلاحه مبنياً على دعائم قوية من الدين والأخلاق، فسيكون للأمة مستقبل زاهر ولشيوخها خلفاء صالحون، إن شاء الله».

وتكلم شيخنا رَحِمَهُ اللهُ عن العوامل النفسية والنمو البدني لدى الشباب، وأثره في سلوكهم وأحوالهم، فقال<sup>(١)</sup>: «إن أسباب انحراف ومشاكل الشباب كثيرة ومتنوعة، وذلك لأن الإنسان في مرحلة الشباب يكون على جانب كبير من التطور الجسمي والفكري والعقلي؛ لأنها مرحلة النمو، فيحصل له تطورات سريعة في التحول والتقلب، فمن ثمَّ كان من الضروري في هذه المرحلة أن تهياً له أسباب ضبط النفس، وكبح جماحها، والقيادة الحكيمة التي توجهه إلى الصراط المستقيم».

وتحدّث شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في رسالته عن أقسام الشباب، وقسمهم إلى طبقات ثلاث:

**الأولى:** شباب مستقيم، مخلص لدينه، يشعر بالمسئولية أمام الله وأمام أمته ووطنه، فيسعى دائماً لما فيه مصلحة الدين والأمة والوطن بعيداً عن الأنانية

(١) من مشكلات الشباب، ص(٢٣).

ومراعاة مصلحته الخاصة على حساب مصلحة الآخرين<sup>(١)</sup>.

الثانية: شباب منحرف في عقيدته، متهور في سلوكه شباب فوضوي فاقد الاتزان في تفكيره وفاقد الاتزان في جميع تصرفاته<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: شباب حائر متردد بين مفترق الطرق، عرف الحق واطمأن به وعاش في مجتمع محافظ إلا أنه انفتحت عليه أبواب الشر من كل جانب، تشكيك في العقيدة، وانحراف في السلوك، وفساد في العمل، وخروج عن المعروف من التقاليد وتيارات من الباطل متنوعة فهو، في دوامة فكرية ونفسية<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٤)</sup>: «فهذا القسم من الشباب سلبي في حياته يحتاج إلى جاذب قوي يقوده إلى حظيرة الحق وطريق الخير، وما أيسر ذلك إذا هياً الله له داعية خير ذا حكمة وعلم ونية حسنة».

وتحدّث شيخنا في رسالته عن أثر الفراغ في انحراف الشباب، ووجّه الشباب إلى عمارة أوقاتهم بالنافع.

وذكر شيخنا رَحِمَهُ اللهُ أن من أسباب انحراف الشباب البعد والجفاء بين الشباب وكبار السن.

(١) من مشكلات الشباب، ص (٩ - ١٨).

(٢) من مشكلات الشباب، ص (١٨، ١٩).

(٣) من مشكلات الشباب، ص (٢٠).

(٤) من مشكلات الشباب، ص (٢٠، ٢١).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وعلاج هذه المشكلة: أن يحاول كل من الشباب والكبار إزالة هذه الجفوة والتباعد بينهم، وأن يعتقد الجميع بأن المجتمع بشبابه وكباره كالجسد الواحد إذا فسد منه عضو أدى ذلك إلى فساد الكل».

وحذّر شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في رسالته الشباب من خلطاء السوء، وبيّن أثر الصحبة السيئة في فساد الشباب.

وحذّر شيخنا العثيمين كذلك من الرسائل والصحف والمجلات ووسائل الإعلام التي تشكك الشباب في إسلامهم وعقيدتهم، وتدعو إلى هاوية التفسخ من الأخلاق الفاضلة<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من أسباب انحراف الشباب التي حذّر منها شيخنا، ووضع لها الحلول المناسبة.

ومن التطبيقات النافعة في إصلاح واقع المسلمين توجيه الأمة الإسلامية إلى بناء اقتصادها على أساس متين من الأحكام الإلهية والتوجيهات الربانية، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ معلّقاً على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]<sup>(٣)</sup>: «ولا شك أنه يلزم المسلمين في أقطار الدنيا التعاون على اقتصاد يميزه خالق السموات والأرض، على لسان رسوله ﷺ، ويكون كفيلاً بمعرفة طرق تحصيل المال بالأوجه الشرعية، وصرفه

(١) من مشكلات الشباب، ص (٢٥).

(٢) من مشكلات الشباب، ص (٢٦ - ٢٨).

(٣) أضواء البيان (٤/ ١٧٩).



في مصارفه المنتجة الجائزة شرعاً؛ لأن الاقتصاد الموجود الآن في أقطار الدنيا لا يبيحه الشرع الكريم؛ لأن الذين نظّموا طريقه ليسوا بمسلمين، فمعاملات البنوك والشركات لا تجد شيئاً منها يجوز شرعاً؛ لأنها إما مشتملة على زيادات ربوية، أو على غرر، لا تجوز معه المعاملة، كأنواع التأمين المتعارفة عند الشركات اليوم في أقطار الدنيا، فإنك لا تكاد تجد شيئاً منها سالماً من الغرر، وتحريم بيع الغرر ثابت عن النبي ﷺ، ومن المعلوم أن من يدّعي إباحة أنواع التأمين المعروفة عند الشركات من المعاصرين أنه مخطيء في ذلك؛ ولأنه لا دليل معه، بل الأدلة الصحيحة على خلاف ما يقول، والعلم عند الله»<sup>(١)</sup>.

ومن التطبيقات الجميلة لآيات القرآن في واقعنا تعليق العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله على قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]، حيث قال<sup>(٢)</sup>: «نرى المساجد التي تحت ولايتهم - الكفار - وسيطرتهم عامرة، وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة ولايتهم من الكفار على هدمها، والله أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعاً؟»

أجيب بأن جواب هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل

(١) ومع ظهور التأمين التعاوني فقد كان شيخنا العلامة محمد العثيمين رحمه الله يفتي بتحريمه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٦٢٧، ٦٢٨).

أمة و جنس تحت ولايتها، و داخل في حكمها، تعتبره عضواً من أعضاء المملكة، و جزءاً من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعددها أو عددها، أو مالها، أو علمها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب الدينيّة و الدنيويّة، و تخشى إن لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، و تفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصاً المساجد، فإنها - و لله الحمد - في غاية الانتظام، حتى في عواصم الدول الكبار.

و تراعي تلك الدول الحكومات المستقلة؛ نظراً لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد و التباغض بين دول النصراني، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها، سالمة من كثير ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم أن يمدّ يده عليها، خوفاً من احتمائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يُري عباده من نصر الإسلام و المسلمين، ما قد وعد به في كتابه، و قد ظهرت - و لله الحمد - أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم، و الشعور مبدأ العمل، فنحمده و نسأله أن يُتمّ نعمته».

و من الوسطية في فقه الواقع ألا نستعدي عليها الأعداء مع ضعفنا المعلوم، فتنعكس مقاصد الجهاد ضد المسلمين، فيزداد تسلط الأعداء على ديار المسلمين، فينتهزوا فرصتهم في تحقيق مآربهم في احتلال ديار المسلمين.

قال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - <sup>(١)</sup>: «كم يُقتل من المسلمين

(١) الجهاد أنواعه و أحكامه، ص (٩٢).

بسبب مغامرة جاهل أغضب الكفار - وهم أقوى منه - فانقضوا على المسلمين تقتيلاً وتشريداً وخراباً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويسمى هذه المغامرة بالجهاد، وهذا ليس هو الجهاد؛ لأنه لم تتوفر شروطه، ولم تتحقق أركانه، فهو ليس جهاداً، وإنما هو عدوان لا يأمر الله عز وجلّ به».

ولا يجوز لأحد ركوب أنواع المحرمات بدعوى الجهاد، فإن ذلك من أسباب خذلان الله، وظفر الأعداء، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما نقض قوم العهد إلا أدبيل عليهم العدو»<sup>(١)</sup>.

فالله ينصر من ينصره، والغدر عواقبه وخيمة، لذلك كان النبي ﷺ إذا أرسل سرية أو صاهم بتقوى الله<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «قال بعضهم: يا لله! ما أسوأ عاقبة الطيش!

فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة الخواطر، حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح، فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم، وهذا ما حصل لليهود في الحجاز، فقد كان بينهم وبين المسلمين

(١) ذكره مالك بلاغاً في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الوفاء بالأمان (٢/٤٤٩)، وعزاه الحافظ ابن حجر في بذل الماعون، ص (٢١١) للطبراني.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ووصيته إياهم بأداب الغزو (ص ٧٦٨ - رقم ٤٥٢١) من حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْتَهُ.

(٣) محاسن التأويل (١٣/٤٨٤٦).

عهود يأمن بها كل منهم للآخر، ولكن اليهود لم يوفوا بتلك العهود حسداً منهم وبغياً، فتمّ عليهم ما تمّ، سنة الله في المفسدين».

ويجب على الأمة أن تتعاطى مع واقعها وأعدائها بحسب قيامها بدينها وقدرتها وقوتها المادية.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إذا ضعف المسلمون ولم يقووا على قتال الجميع فلا بأس أن يقاتلوا بحسب قدرتهم، ويكفُّوا عمن كفَّ عنهم إذا لم يستطيعوا ذلك، فيكون الأمر إلى ولي الأمر إن شاء قاتل وإن شاء كفَّ، وإن شاء قاتل قومًا دون قوم على حسب القوة والقدرة والمصلحة للمسلمين، لا على حسب هواه وشهوته، ولكن ينظر للمسلمين وينظر لحالهم وقوتهم، فإن ضعف المسلمون استعمل الآيات المكية، لما في الآيات المكية من الدعوة والبيان والإرشاد والكفِّ عن القتال عند الضعف، وإذا قوي المسلمون قاتلوا حسب القدرة، فيقاتلون من بدأهم بالقتال وقصدتهم في بلادهم، ويكفون عمن كفَّ عنهم، فينظرون في المصلحة التي تقتضيها قواعد الإسلام، وتقتضيها الرحمة للمسلمين والنظر في العواقب، كما فعل النبي ﷺ في مكة وفي المدينة أول ما هاجر؛ وإذا صار عندهم من القوة والسلطان والقدرة والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حرباً شعواء للجميع، وأعلنوا الجهاد للجميع، كما أعلن الصحابة ذلك في زمن الصديق وعمر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكما أعلن ذلك الرسول ﷺ في حياته بعد

(١) مجموع الفتاوى البازية (٣/١٩٣).

نزول آية السيف، وتوجه إلى تبوك لقتال الروم، وأرسل قبل ذلك جيش مؤتة لقتال الروم عام (٨) من الهجرة، وجهاز جيش أسامة في آخر حياته ﷺ.

وكلام الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ كلام الناصحين الصادقين الساعين لحفظ دين الله ونصرته بحسب الأسباب المتاحة، وانظروا - أيها المسلمون - ووازنوا بين هذا الموقف، وبين ما حصل للسودان، فالسودان بعد وصول عمر البشير للسلطة، اجتمعت فيه قيادات جماعات الجهاد الإسلامي ومنهم أسامة بن لادن، وعقدوا مؤتمراً أعلنوا فيه صراحةً جهادهم ضد الصليبية العالمية، فتسببوا في وضع السودان تحت المجهر، ناهيك عن سابق الأطماع الصليبية في سيادة السودان لوجود النصارى في الجزء الجنوبي منه، فتعرض السودان بعد ذلك لضغوط مضاعفة فوق ما كان يتعرض له من أوروبا وأمريكا، فأصدروا حكماً من محكمة لاهاي الدولية بتسليم عمر البشير لمحاكمته، ثم قاموا بتقسيم السودان واقتطعوا الجزء الجنوبي منه، وجعلوه دولة مستقلة للنصارى.

وهذا من أعجب ما ينبغي ملاحظته كيف أن دولة الانطلاقة لجهاد النصارى والعالم الغربي لم يقيم بجهاده الذي دعا إليه، وتسبب في تقسيم بلده واجتزاء أهم أراضيه وتم تولية النصارى على حكم الجزء الجنوبي من بلاد السودان.

فهذا يدل على أنهم ما استطاعوا أن يحافظوا على سيادة بلدهم فضلاً عن أن يقوموا بجهاد الصليبيين خارج ديارهم.

وانظر إلى ابن لادن كذلك كيف أعلن الحرب على أوروبا وأمريكا، ثم لَمَّا

وقعت الحرب بينه وبينهم طلب مهادنة أوربا!!

وهؤلاء الذين استعدوا علينا الأعداء مع ضعفنا المعلوم وتسببوا في تسلط الأعداء على ديار المسلمين يقابلهم فريق يتكسب بقضايا المسلمين وعواطفهم، فيعد الأمة ويمنيها ما ليس له قبل به، فهذا من اللعب بعواطف المسلمين والتكسب بجراحاتهم فالعريفي يقول «درسي القادم في الأقصى».

وكذلك رفع الإخوان المسلمون شعار «عالمقدس رايحين والشهداء بالملايين»، كما صرّح بذلك صفوت حجازي لحشد الناس حوله، وحول الإخوان المسلمين، ثم لم يكن شيء من ذلك مما وعدوا به شعبهم، وأهل فلسطين، والأمة الإسلامية.

وأعجب من ذلك أنهم جاءوا بما يناقض إثارة مشاعر المسلمين للجهاد في فلسطين، فقد باركوا اتفاقية «كامب ديفيد» وهذا ما صرّح به الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين سعد الكتاتني لصحيفة «الدستور» حيث قال «الإخوان يحترمون اتفاقية كامب ديفيد»<sup>(١)</sup>.

هذه التصريحات لها انعكاسات خطيرة على قضايا الأمة الإسلامية فالتكسب بجراحات المسلمين ممنوع، والتلاعب بعواطفهم في قضاياهم المصيرية آثاره السلبية على قضايا المسلمين خطيرة جداً، فأمة يغشها دعواتها في قضاياها المصيرية ويجعلون ذلك عنصر جذب لزيادة رصيدهم الشعبي، ثم حاصل

(١) صحيفة الرياض السعودية ١ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ.

أمرهم مجرد كلام أثاروا به عواطف المسلمين، وانتهى الأمر عند هذا الحد، هو في الحقيقة تفرغ لطاقات الأمة الإسلامية ببيع الكلام والشعارات.

فهذا الأسلوب الرخيص في التلاعب بمصير الأمة الإسلامية في أراضيها ومقدساتها انعكاساته خطيرة، فقد يستولي على الأمة الخذلان إذا علمت أن دعواتها يكذبون عليها في ذروة سنام الإسلام.

قال والدنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «لكن المسلمين يحتاجون إلى قيادة حكيمة عليمة - قبل كل شيء - بأحكام الشريعة؛ لأن القيادة بغير الاستنارة بنور الشريعة عاقبتها الوبال مهما علت ولو علت إلى أعلى قمة فإنها سوف تنزل إلى أسفل قعر.

الهداية بالإسلام وبنور الإسلام، لا بالقومية ولا بالعصبية ولا بالوطنية، ولا بغير ذلك، بل بالإسلام فقط.

فالإسلام وحده هو الكفيل بعزة الأمة لكنها تحتاج إلى قيادة حكيمة، تضع الأشياء في مواضعها وتتأنى في الأمور ولا تستعجل، ولا يمكن أن يصلح الناس بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فإنه قد أراد أن يغيّر الله سنته، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يغيّر سنته، فهذا نبي الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه الوحي ويدعو إلى الله بالتي هي أحسن، ومع ذلك في النهاية خرج من مكة خائفاً مختلفاً، لم تتم الدعوة في مكة، فلماذا نريد أن نغيّر الأمة التي مضى عليها قرون وهي في غفلة وفي نوم بين عشية

(١) تفسير جزء عم ص (٢٣٨، ٢٣٩).

وضحاها؟! هذا سفه في العقل، وضلال في الدين.

الأمة تحتاج إلى علاج رفيع هادئ يدعو بالتّي هي أحسن، الأمة الإسلامية تحتاج بعد الفقه في دين الله والحكمة في الدعوة إلى الله تحتاج إلى العلم بالواقع والفتنة والخبرة، ونظر في الأمور التي تحتاج إلى نظر بعيد؛ لأن النتائج قد لا تتبين في شهر أو شهرين، أو سنة أو سنتين، لكن العاقل يصبر وينظر ويتأمل حتى يعرف، والأمور تحتاج أيضًا إلى عزم وتصميم وصبر؛ لأنه لا بد من هذا، لا بد من عزم يندفع به الإنسان، ولا بد من صبر يثبت به الإنسان، وإلا لفاتت الأمور أو فات كثير منها، والله المستعان).

وهذا كله يدل على ضرورة فقه الجهاد بمعناه العام الحقيقي، والقيام بأصله أولاً ببناء دولنا بناءً قوياً خصوصاً في عقيدتها واقتصادها وجيشها؛ حتى يدرأ عن نفسه الأخطار أولاً، فلا يطمع فيه طامع، ثم يمكنه أن يجاهد غير المسلمين؛ ليدخلوا في الإسلام، وتكون كلمة الله هي العليا.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup> «الجهاد نوعان: جهاد يُقصد به صلاح المسلمين، وإصلاحهم في عقائدهم، وأخلاقهم، وجميع شؤونهم الدينية والدينيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين، من الكفار والمنافقين والملحدّين، وجميع أعداء الدين ومقاومتهم».

(١) وجوب التعاون بين المسلمين، ص (٧، ٨).



فالحاصل أن كل واحد منا مسئول عن ديار المسلمين، فلا بد أن يحافظ على سيادة ديار المسلمين وأمنهم، فلا يجازف ويتهور ويستعدي الكفار على ديار المسلمين، فيجلب لها احتلالاً وعدواناً، فيتحمل وزر ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «والعبد إذا عزم على فعل أمر فعليه أن يعلم أولاً هل هو طاعة لله أم لا، فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلا أن يكون مباحاً يستعين به على الطاعة، وحينئذ يصير طاعة فإذا بان له أنه طاعة فلا يُقَدِّم عليه حتى ينظر هل هو معانٍ عليه أم لا، فإن لم يكن معاناً عليه فلا يقدم عليه فيذل نفسه<sup>(٢)</sup>، وإن كان معاناً عليه بقي نظر آخر؛ وهو أن يأتيه من بابه، فإن أتاه من غير بابه أضاعه، أو فرط فيه، أو أفسد منه شيئاً، فهذه الأمور الثلاثة أصل سعادة العبد وفلاحه، وهي معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾»، فأسعد الخلق أهل العبادة والاستعانة والهداية إلى المطلوب، وأشقاهم من عدم الأمور الثلاثة».

وقام علمائنا كذلك ببيان كيفية إصلاح واقعنا المعاصر وفق ظروفنا وقدراتنا، وحفاظاً على ثرواتنا وصيانة عقيدتنا، ودون تهور ومجازفة توجب تسلط العدو، وانتهاز الفرصة لاحتلال ديارنا، والتضييق على دعوتنا الإسلامية.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «والمقصود: أن الواجب على

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٦٠).

(٢) عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه؟! قال: يحملها ما لا تطيق». رواه أحمد، وصححه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى البازية (٨/ ١٧٤).

المؤمنين - حكومات وشعوباً - الاستقامة على دين الله، والتمسك بشرع الله، والوقوف عند حدوده قولاً وعملاً وعقيدةً، والولاء والبراء في ذلك؛ والمحبة والبغض في ذلك. هذا هو الطريق للنصر والسعادة، فإذا استقاموا على ذلك فإنه لا يضرهم أعداؤهم، كما قال سبحانه في الآيات السابقة: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وإنما يؤتى المسلمون من جهة تقصيرهم وتفريطهم، فإذا قصرُوا في أمر الله أو فرطوا فيه، أو تركوا ما يجب عليهم من الإعداد الواجب الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أو تركوا الحذر الذي أمرهم الله بأخذه في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، متى فرط المسلمون في شيء مما أوجبه الله عليهم، أو فرطوا باكتساب ما حرّم الله عليهم؛ فإنهم قد يصابون بسبب ذلك، أو يُسلط عليهم العدو بسبب ذلك.

نسأل الله أن يوفق المسلمين - حكومات وشعوباً - لما يرضيه، وأن يصلح قلوبهم وأعمالهم، وأن يوفقهم لتحكيم شرع الله والاستقامة عليه.

وتحدّث العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ عن مشاكل المسلمين في الوقت الحاضر خصوصاً تسلّط الكفار على ديارهم، وكيفية معالجة هذه المشكلة العظيمة، فقال<sup>(١)</sup>: «المشكلة الأولى: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العدد والعدة عن مقاومة الكفار، وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها. فيبّين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار

(١) أضواء البيان (٣/ ٤١٢ - ٤١٤).

إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شيء، فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار، ولو بلغوا من القوة ما بلغوا.

فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنَ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونًا﴾ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، كان علاج ذلك هو ما ذكرنا؛ فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصاداً؛ فإذا عرفت ذلك، فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشكلة العظمى، وهو ما بينه جَلَّ وَعَلَا في سورة الأحزاب بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله جَلَّ وَعَلَا، ثقةً به، وتوكلاً عليه - هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

وقد صرَّح نتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ ﴿١٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿١٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونهم، ولا يحسبون أنهم يُنصرون به، وهو الملائكة والريح؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، ولما علم جَلَّ وَعَلَا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوّه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨] أي: من الإيمان والإخلاص - كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جَلَّ وَعَلَا في قوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١]، فصرّح جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية بأنهم لم يقدرُوا عليها، وأن الله جَلَّ وَعَلَا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم.

فدلّت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به، هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١]، فعل في سياق النفي، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم على التحقيق.

وقام علمائنا كذلك بالتحذير من المشائمين من واقعنا، مع تضييعهم لأسباب نصره الإسلام وتغيير واقعه إلى العزة والريادة، فهؤلاء لا للإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا، بل ربما كان تشاؤمهم سبباً في تخذيل المسلمين،

والذي يعرف واقع المسلمين يرى بوادر عودة إلى شرع الله، وإقبال على كتاب الله حفظاً وتدبراً وفقهاً وسلوكاً، وسعيًا حثيثاً في توجيه الأمة إلى العودة إلى أسباب النصر، والمؤمنون لا يرتابون أن وعد الله حق، إذا قاموا بأسباب النصر، قال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، وقال النبي ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «اليوم، وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد، والأعداء يتربصون بهم الدوائر هذه الحالة أوجدت من بينهم أناساً ضعيفي الإيمان، ضعيفي الرأي والقوة، يتشاءمون أن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع، وأن المسلمين إلى ذهاب واضمحلال، ولقد غلطوا في هذا أعظم غلط، فإن هذا الضعف عارض له أسباب، وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت، كما تعود إليه قوته التي فقدتها منذ أجيال.

ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وتكبو السنن الكونية التي جعلها الله مادة حياة الأمم ورقبها، فإذا رجعوا إلى ما مهده لهم دينهم، فإنهم لا بد أن يصلوا إلى الغاية كلها أو بعضها.

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (ص ١٢٥٠ - رقم ٧٢٥٨)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٦/٩٦، ٩٧).

فليتق الله هؤلاء المتشائمون، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي والرقي الصحيح؛ لأن دينهم كله عروج وصعود في عقائده وآدابه، وأخلاقه ومقاصده، وأسبابه، وجمعه بين مصالح الدنيا والآخرة، ومنافع الروح والجسد.

ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون الآمال بلا قوة ولا أعمال، ويقولون ولا يفعلون، فتراهم يتحدثون بمجد الإسلام ورفعته، وأن الرجاء والطمع في ذلك غير بعيد، ولكنها أقوال بلا أفعال، ولا يصحبها سعي لا قوي ولا ضعيف، ولا يقدمون لدينهم منفعة بدنية ولا مالية، ولا يساعدون على مصلحة عامة كلية، وهذا كله غرور واغترار، ويترتب عليه أنواع من الشرور والمضار.

وأما رجال الدين الذين هم غرة المسلمين، وهم رجال الدنيا والدين، فهم الذين أبدوا جدهم واجتهادهم، وقرنوا بين الأقوال والأفعال، وجاهدوا بأمورهم وأنفسهم، وأقوالهم ودعاياتهم، وإنهاض إخوانهم، وتبرءوا من مذهب المتشائمين، ومن أهل الأقوال الخالية من الأعمال، قد نهضوا بأمتهم، وقصدوا في سعيهم الغايات الحميدة، وسلكوا طريق المجد.

فهؤلاء هم الرجال الذين يناط بهم الأمل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة».

وقد تحدّث علماء المسلمين عن شرور المبتدعين نصيحة لله ورسوله ﷺ وأئمة المسلمين وعامتهم، وبيّنوا من واقع جنائتهم على ديار المسلمين، وما أوقعوا فيها من الشرور ما ينبغي لكل عاقل أن يحذّر من بدعهم المكفّرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «دع ما يُسمع ويُنقل عن من خلا، فليُنظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عمَّا يمكنهم من الفتن والشر، وإيقاع الفساد بين الأمة».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «وهكذا من ألقى مقاليد أمره إلى رافضي وإن كان حقيرًا، فإنه لا أمانة لرافضي قطُّ على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له؛ لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية، يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة، وقد جربنا هذا تجربًا كثيرًا، فلم نجد رافضيًّا يخلص المودة لغير رافضي، وإن أثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخول تودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عندهم من التجري على شتم الأعراس المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفضع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة، وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنهم لما تجرءوا على سب السلف الصالح، هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم؛ فكل شديد ذنب يهون ما دونه».

وكذلك بين علماءنا من أين دخل الشر على الأمة الإسلامية لإفساد وإسقاط

(١) منهاج السنة (٦/٣٧٢).

(٢) آداب الطلب ومنتهى الإرب ص (١٤٨)، ط: دار ابن حزم.

عقيدتها وتضييع سيادتها وجعلها طوع الاحتلال بكوادر طلابية من أبناء البلاد الذين قادوا ما يُسمى بـ«معارك الحرية»، وهي معارك لتغريب هوية بلادنا المسلمة وصبغها بعلمانية الدول الكافرة قال العلامة محمود شاكر رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ سامي داود ورفاقه الخونة<sup>(١)</sup>: «كان يقود شباب الجامعة، لتجمع الزعماء «بالدماء ليقودوا معارك الحرية»، أفلم تكن حقيقاً بأن تعرف حقيقة ما أثار كلية الآداب وكلية الحقوق وغيرهما، حتى جاءوا يطالبون بإلغاء تدريس هذين الكتابين، وأنت أيها الزعيم الشاب قد سميتهم «غزاة»، جاءوا ليشتبكوا مع طلاب كلية الآداب في «معركة سخيفة تافهة»!!

ولكني محدّثك، إذا لم تكن تذكر، بمن فرض هذين الكتابين على طلبة قسم اللغة الإنجليزية، أتعرف أم تنكر أنك تعرف أيضاً رجلاً كان يقال له: «كرستوفر سكيف»، كان جاسوساً بريطانياً محترفاً، وكان شرلتانا، كصاحبك، وقحاً سيء الأدب، وكان قد ألّف جماعة يقال لها: «جماعة إخوان الحرية»، أمرها مشهور في محاكمات الثورة، وكان يختار من الطلبة وغير الطلبة لهذه الجماعة شيعة وأعاوناً، ويجعل للجماعة ظاهراً وباطناً: فالظاهر أن أكثره ممن يحمل أسماء مسلمة، والباطن لا داعي لذكره، فأنت أعلم به، ولا بأس - إذا كنت قد نسيت - أن أذكرك بأن صاحبك «أجاكس عوض» أهدى إليه كتابه «بلوتولند وقصائد أخرى» في سنة ١٩٤٧.

وهذا الرجل كان مبشراً، وكان جاسوساً محترفاً، وكان يقوم في الجامعة

(١) أباطيل وأسفار، ص (٣٨٠).



بعمل تبشيري سياسي في آن واحد».

ويبين العلامة أحمد محمد شاكر رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ دَخَلَ الشَّرْعُ عَلَى الْقَضَاءِ الْمِصْرِيِّ، وكيف تعطلت أحكام الشريعة فيه إلا ما ندر من أمور الأحوال الشخصية، فقال<sup>(١)</sup>: «جيء إليهم بقوانين أوربا مترجمة حرفياً، بل مترجمة أسوأ ترجمة عربية - أستغفر الله -، بل ترجمة لا تكاد تتصل بالعربية بسبب، بأن الذين ترجموها فريق من الأرمن ونحوهم من شذاذ الأمم، ونفاية الآفاق، ثم ضربت هذه القوانين عليهم وعلى أمتهم.

وُقِسَّ الْقَضَاءُ إِلَى مَعْسُكْرِينَ، كَمَا قُسِّمَ التَّعْلِيمُ، أَوْ تَبَعًا لِقِسْمَةِ التَّعْلِيمِ، فَمَعْسُكْرُ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ، وَهُوَ أَصْلُ الْقَضَاءِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا ضُرِبَ عَلَيْهِ الْحِصَارُ الضَّيِّقُ، كَمَا ضُرِبَ عَلَى عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَا زَادَتْ صِلَةَ بِأُورْبَا زَادَتْ الْحَلَقَاتُ ضَيْقًا، وَكَانَ الْقَضَاءُ الْأَهْلِيَّ - فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ - يَمْشِي الْهُوَيْنِي إِلَى غَايَتِهِ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، وَيَخْشَى أَنْ يُوَاجِهَ الْمُسْلِمِينَ صِرَاحَةً بَعْدَاءَ الدِّينِ، وَوَضَعَ الْإِنْجِلِيزُ يَدَهُمْ عَلَيْهِ فِيمَا وَضَعُوا مِنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ وَوَجَّهَهُ الْوَجْهَةَ الَّتِي يَرِيدُونَ بِرَفْقٍ وَلِينٍ، وَالْفَرَنْسِيُّونَ وَهُمْ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْقَانُونِ فِي الْعَالَمِ، يَنَازِعُونَهُمُ النُّفُوزَ، وَيَنَازِعُونَهُمْ رِجَالُ الْقَضَاءِ الْأَهْلِيِّ، فَيَأْخُذُونَ مِنْ عَقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، بِطَبِيعَةِ وَضْعِ الْقَوَانِينِ، وَكَانَتِ الْمَحَاكِمُ الْمُخْتَلَطَةُ وَالْمَحَاكِمُ الْقَنْصَلِيَّةُ مِنْ قَبْلِ الْإِحْتِلَالِ الْإِنْجِلِيزِيِّ، وَبِحُكْمِ وَجُودِ الْإِمْتِيَازَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ.

وطغت المحاكم المختلطة والمحاكم القنصلية على القضاء الأهلي، تسلبه

(١) شؤون التعليم والقضاء، ص (٦٣، ٦٤).

اختصاصه، ولا تحترم أحكامه، على قلة عددها، وقلة رجالها، تحميها الحكومات الأجنبية.

والقضاء الأهلي يشب على أطراف قدميه ليساميتها، فلا يرى له مندوحة من أن يرتسم خطواتها في التشريع وفي التطبيق، وَيَعُدَّ عن دين الأمة وعاداتها، بقدر ما يتقرب إلى الإفرنج الملحدين الوثنيين».

وتحدّث سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره، فقال<sup>(١)</sup>: «محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها، إما: بطريق مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام حينما تولى «دنلوب» القسيس تلك المهمة فيها<sup>(٢)</sup>، أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس «دنلوب»، وتخرّجوا فيها، فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو، يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ وإنما يسير نحو الإلحاد، ويدعو إلى الفساد».

واختراق جواسيس الكفار لم يقتصر على الجامعات بل تجاوزه إلى الأندية وكل المجاميع؛ حيث يكون الاختراق عظيمًا؛ قال العلامة محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ عن عناصر هؤلاء المفسدين<sup>(٣)</sup>: «ورابع، يقال له: «بيفن»، وهو معروف عند

(١) الدرر البازية ص(١٧٨).

(٢) بمصر.

(٣) أباطيل وأسار، ص(٣٨١).

من كان يرتاد نادي الجزيرة، ويعلم عنه الناس صلته بالمخابرات البريطانية، واشترائه في كثير من المؤامرات التي كانت تحاك يومئذ في بلادنا».

وقد رأينا الغرب الكافر يحتضن ويكرم وينصر من يتخذ دين الإسلام هزواً بدعوى الحرية، فقد منحت ملكة بريطانيا إليزابيث وساماً رفيعاً لسلمان رشدي الذي صنّف كتاباً في الطعن في القرآن أسماه «آيات شيطانية».

ومن قيام علمائنا بواجبهم في حراسة الشريعة وقيامهم بفقه الواقع - شدة نصرتهم لتطبيق الشريعة، فمع قيام مجموعة من الدول الإسلامية بتعطيل الشريعة وسن القوانين الوضعية، قام علماءنا ببيان محاسن الشريعة وإحاطتها بكل ما يحتاجه الناس في شؤونهم الدينية والدينية وبيان ضرورة ووجوب تطبيق الشريعة، كذلك قاموا ببيان ما في القوانين الوضعية من الشر والفساد، وما ذكره الله من الوعيد الشديد في الحكم بغير الشريعة.

قال سماحة المفتي العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «كما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذه المحاكم - الوضعية - مراجع هي القانون الملقق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة، وغير ذلك».

(١) مجلة راية الإسلام، العدد الخامس ربيع الأول ١٣٨٠هـ، مقالات كبار العلماء في الصحف

وقال العلامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وإنه لمن العجب إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة، واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض، واضحة الجور، فاسدة المعنى».

فلذا كثيراً ما يطرأ عليها التغيير والتبديل، كل يرى أنه أحسن ممن تقدمه، وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه، ثم يُجْرِي عليها تغييراً وتبديلاً بحسب رأيه، وهكذا دواليك، ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان».

فالشريعة وأحكامها كلها خير ورحمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [النمل: ٧٧]، فهذا القرآن يهدي إلى كل خير ويثمر كل خير في شئون الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فالله عزَّ وجلَّ جعل الشقاء في الإعراض عن شرع الله، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، ونفى الحرج عن شريعته، قال سبحانه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ [طه: ١-٢].

فالعمل بالشريعة ولزومها وتحكيمها خير للمسلمين في العاجل والآجل؛ قال العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «تأمل ما في الآية الأولى وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن نَنْزَعْنَهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر، ص (١٤٠)، مطبوع ضمن مجموع رسائل العلامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) تحكيم القوانين، مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية القديمة (٢/ ٣٥٠).

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، كيف ذكر النكرة وهي قوله: ﴿شَيْءٍ﴾ في سياق الشرط، وهو قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَهُ﴾ المفيد العموم فيما يتصور التنازع فيه جنسًا وقدرًا.

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. ثم قال جَلَّ شأنه: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ فشيء يطلق الله عليه أنه خير لا يتطرق إليه شر أبداً، بل هو خير محض عاجلاً وآجلاً.

ثم قال: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: عاقبة في الدنيا والآخرة، فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شر محض، وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة.

فالله أحياناً بهذا القرآن، فصارت لنا دولة وسؤدد وحضارة وقيادة للعالم كله، أفيعقل أن نضيع سبب هذا العز ونأخذ قوانين الغرب، فنكون أذناً لمن حقهم أن يتبعونا، قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «الحذر الشديد من موافقة الكفار، ولت أمة الإسلام اليوم تتبته لهذا الأمر، حتى لا تلهث وراء المادة، ووراء أهل المادة، فلو اجتمعت الأمة الإسلامية على هذا المنهاج لسادت العالم، لكن عندها ضعف في الشخصية وضعف في الإيثار، فانحدرت إلى ما ترون، فنسأل الله أن يعلي كلمته، وأن يعز دينه، إنه على كل شيء قدير».

وقال شيخنا العثيمين أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يجب علينا - نحن المسلمين - أن نعرف قيمتنا في المجتمع الأُمِّي، وأنا أحق الناس بالبقاء على الأرض، وأحق الناس برزق الله، وأحق الناس أن نعلو عليهم، هذا إذا كان لنا شخصية إسلامية، لكن لضعف الإيِّان وضعف التوكل على الله عَزَّجَلَّ صرنا أذنباً لغيرنا، أعزاء على قومنا أذلاء أمام الكافرين».

وقال العلامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ متحدثاً عن كمال الشريعة<sup>(٢)</sup>:  
 ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أكمل الله به الدين، وتمم به مكارم الأخلاق، أمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمعوزين، حتى قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»، وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ﷺ، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كما قال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.

وقال أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قام فينا رسول الله ﷺ - أو قال: لقد تركنا رسول الله ﷺ - وما طائر يقبِّب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً.

(١) تفسير سورة المائدة (٢/٤٤).

(٢) كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر، ص (١٣٠، ١٣١).

رسم لأمته طريق السعادة في الدنيا والآخرة في سياسته الشرعية التي يعجز كل أحد أن يأتي بناحية من نواحيها».

ومن بصيرة علمائنا بالواقع معرفتهم بإقرارات عقلاء الكافرين بكمال شريعة الإسلام، يريدون بذلك إيقاظ المغرورين الغافلين من بعض الانهزاميين من المسلمين المسارعين إلى التشبه بالكافرين المعرضين عما في الشريعة من كمال التشريع والهداية للتي هي أقوم في كل شيء، في العقيدة، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق، والآداب.

هذا مقصود علمائنا بذكر شهادة الكافرين على كمال شريعة الإسلام، وإلا فالإسلام ينادي على نفسه بكماله: صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام؛ قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال العلامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وقد سمعنا وقرأنا كثيرًا مما يدل على ذلك، فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا للسياسة: أن نشأة أوروبا الحديثة إنما كانت رشاشًا من نور الإسلام فاض عليها من الأندلس، ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب.

وقال القس تايلور: إن الإسلام يمتد في إفريقيا، وتسير الفضائل معه حيث

(١) مجموعة رسائل العلامة عبد الله بن حميد، ص (١٤٠، ١٤٤).

سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من نتائجه.

وقال كونتنس: يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجايا، وشرف في الأخلاق، قد طبعته في نفوسهم، ونفوس آبائهم وصايا القرآن، بخلاف غيرهم، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك.

ولسنا - والحمد لله - في حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته، ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به، وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه؛ إذ جهلوا مصالحه، وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال، وأنه فوق كل نظام.

ولا شك أنه الدين الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم المصالح، ويدراً عنهم المفساد، دين الفطرة السليمة، دين الرقي الحقيقي، دين العدالة بأسمى معانيها، دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح، دين العمل دين الاجتماع، دين التوادد والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والصنائع والحرف، لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات، بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على مرّ السنين، وتعاقب الدهور إلى أن تقوم الساعة.

ولكن يا للأسف ويا للمصيبة، إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره، وجهلوا حقيقته، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يبدسون عليه معاولهم ليهدموه، وليفرقوا أهله، ويُفضّلون أهل الغرب على المسلمين، ظناً منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي أخّره، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل، فأصبحوا في



حيرة من أمرهم، إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعي، ولكنهم تركوا دينهم، واقتنعوا بالترف والنعيم، وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم، لحازوا شرف الدنيا والآخرة».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «فمن تمسك بهذا القرآن العظيم فله المجد والعزة والكرامة والرفعة؛ ولهذا ننصح أمتنا الإسلامية بادئين بأفراد شعوبها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، ونوجّه الدعوة على وجه أوكد إلى ولاية أمورها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، وألا يغره البهرج المزخرف الذي يَرِدُ من الأمم الكافرة التي تضع القوانين المخالفة للشريعة، المخالفة للعدل، المخالفة لإصلاح الخلق، أن يضعوها موضع التنفيذ، ثم ينبذوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم، فإن هذا - والله - سبب التأخر، ولا أظن أحداً يتصور أن أمة بهذا العدد الهائل تكون متأخرة هذا التأخر؛ وكأنها إمارة في قرية بالنسبة للدول الكافرة؛ لكن سبب ذلك - لا شك - معلوم، هو: أننا تركنا ما به عزتنا وكرامتنا، وهو التمسك بهذا القرآن العظيم، وذهبنا نلهث وراء أنظمة بائدة، فاسدة، مخالفة للعدل، مبنية على الظلم والجور، فنحن ناشد ولاية أمورنا المسلمين جميعاً، ناشدهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يرجعوا رجوعاً حقيقياً إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ حتى يستتب لهم الأمن والاستقرار، وتحصل لهم العزة والمجد والرفعة».

(١) تفسير جزء عم، ص (١٤٤، ١٤٥).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «كلما أبعَد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر حتى يرجع إلى كتاب الله عزَّجَلَّ».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «من أكبر الأغلاط وأعظم الأخطاء استمداد الحكومات الإسلامية والجماعات والأفراد نظمهم وقوانينهم المتنوعة من النظم الأجنبية، وهي في غاية الخلل والنقص، وتركهم الاستمداد من دينهم، وفيه الكمال والتكميل، ودفع الشر والفساد!

ما بقي من الإسلام إلا اسمه ورسمه، نسمى بأنا مسلمون، ونترك مقومات ديننا وأسس وأعماله، ونذهب نستمدها من الأجانب، وسبب ذلك الجهل الكبير بالدين وإحسان الظن بالأجانب.

ومشاهدة ما عليه المسلمون الآن من الاختلال والضعف في جميع مواد الحياة الروحية والمادية نشأ عن ذلك كله توجيه الوجوه إلى الاستمداد من الأجانب، فلم نزد بذلك إلا ضعفاً وخللاً، وفساداً وضرراً، وإلا فلو علمنا حق العلم أن في ديننا ما تشتهيهِ الأنفس وتمتد إليه الأعناق من المبادئ الراقية والأخلاق العالية والنظم العادلة والأسس الكاملة - لعلمنا أن البشر كلهم مفتقرون غاية الافتقار أن يأووا إلى ظل الظليل الواقى من الشر الطويل، فما من مبدأ وأصل وعمل نافع للبشر إلا ودين الإسلام قد تكفل به كفالة الميء القادر على تيسير الحياة التامة على قواعده وأسس، وفيه حل المشكلات الحربية

(١) تفسير جزء عم، ص (١٥٢).

(٢) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (١٧٧/٢٢).

والاقتصادية وجميع مشاكل الحياة التي لا تعيش الأمم عيشة سعيدة بدون حلها.

أليست عقائده أصح العقائد وأصلحها للقلوب، ولا تصلح القلوب إلا بها».

وقال والدنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «إننا لو قَدَرْنَا أَنْ

هذا الرجل الذي سَنَّ النظام أو القانون من أذكى الناس، وأعلم الناس

بأحوال الناس، فإن علمه هذا محدود في زمانه، وفي مكانه؛ أما في زمانه:

فظاهر؛ لأن الأمور تتغيَّر، وقد يكون المصلحة للبشر في هذا الزمن كذا

وكذا، وفي زمن آخر خلافه، وفي المكان - أيضاً - قد يكون هذا التشريع

الذي سنَّه البشر مناسباً لأحوال هؤلاء الأمة في مكانهم؛ ولكن في أمة أخرى

لا يصلح؛ ولهذا ضلَّ كثير من المسلمين - مع الأسف الشديد - في أخذ

القوانين الغربية، أو الشرقية، وتطبيقها على مجتمع إسلامي؛ لأن الواجب

تحكيم الكتاب والسنة؛ والعجب أن بعض الناس - نسأل الله العافية -

تجدهم قد مشوا على قوانين شرعت من عشرات السنين، أو مئاتها، وأهلها

الذين شرعوها قد عدلوا عنها، فصار هؤلاء كالذين يمشمشون العظام بعد

أن تُرمى في الزبالة؛ وهذا شيء واضح: هناك قوانين شرعت لقوم كفار، ثم

تغيَّرت الحال، فغيَّروها، ثم جاء بعض المسلمين إلى هذه القوانين القشور

الملفوظة، وصاروا يتمشمشونها».

أيها المسلمون إن من أعظم نعم الله عليكم شريعته التي تعبدكم بها، صدق

في الأخبار، عدل في الأحكام، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا

(١) تفسير سورة البقرة (١/١٥٠، ١٥١).

مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [الأنعام: ١١٥]، فمن لم يعرف من نعم الله عليه إلا الطعام والشراب، فهو مغبون.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «وكلما كانت معرفة العبد أكمل وإيمانه أتم ظهر له من بركة هذه الشريعة وخيرها ما يوجب له أن يعلم أنها أكمل منة، وأفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأنها أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ويغتبط به المغتبطون».

فالله عزَّوَجَلَّ الكامل الذي خلق الخلق أعلم بما يُصلحهم ويصلح لهم، قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ولمعرفة علمائنا من أين يدخل الشر على المسلمين، ومن يقوم بذلك، وأسلحته ووسائله التي يستعملها، فإنهم استحثوا المسلمين عموماً، والعلماء وطلبة العلم والدعاة خصوصاً على مواجهة هذا الشر بالوسائل التي تدفع عن المسلمين أسباب إفساد عقيدتهم وأخلاقهم ومقومات قوتهم.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «وكل ذي بصيرة يعلم ما ينشر في هذا العصر من الشرور العظيمة، في الإذاعات والصحافة، والتلفاز وفي النشرات الأخرى، وفي المؤلفات الداعية إلى النار.

وهذا الجيش المتنوع الذي يدعو إلى طرق النار، يحتاج إلى جيش مثله،

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٢/١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى البازية (٧/٢٢٧، ٢٢٨).

وقوة مثله، بل وأكثر منه.

هذه الجيوش التي يسوقها أعداء الإسلام إلى المسلمين، وهذه الوسائل الخطيرة المتنوعة الكثيرة، كلها يسوقها وينشرها أعداء الإسلام إلى المسلمين، وإلى غير المسلمين، لإهلاكهم وقيادتهم إلى النار. وأن يكونوا معهم في أخلاقهم الخبيثة، وسيرتهم الذميمة، وأن يكونوا معهم في النار؛ لأن قائدهم يريد هذا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

ومن جهود علمائنا في فقه الواقع ومعالجته مناصحة حكام المسلمين من أول توليهم للحكم، ومن صدور ما يدل على مخالفتهم الشريعة والمضادة لها. فالإمام المجدد عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ ناصح صدام حسين من بداية توليه حكم العراق؛ فقد كتب سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ لما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية إلى صدام حسين يناصحه، فقال سماحته في برقيته<sup>(١)</sup>: «فخامة رئيس الجمهورية أخذ الله بيده إلى الحق:

إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تستنكر ما أصدرته الحكومة العراقية من القرارات الاشتراكية، وتضم صوتها إلى صوت علماء العراق وغيرهم من العلماء في إنكار النظام الاشتراكي، وتؤكد بأنه نظام كفري يصادم نظام الإسلام، ويناقضه، وتنصح حكومة العراق بالرجوع إلى نظام الإسلام وتطبيقه

(١) مجموع الفتاوى البازية (٧/٣٩٨).

في البلاد؛ لكونه أعدل نظام وأصلح تشريع عرفته البشرية، وهو كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية السليمة، وحل للمشاكل الاقتصادية وغيرها، وإيصال حق الفقير إليه على خير وجه، إذا أخلص المسلمون في تطبيقه.

والإسلام يحرم على المسلم دم أخيه وماله وعرضه، ويعطيه حرية التصرف الكامل في ماله في ظل الحكم الشرعي، وتصرح تعاليمه بأن ما يزعمه بعض الناس من أن النظام الاشتراكي مستمد من روح الإسلام زعم باطل لا يستند لأي أساس من الصحة.

هذا وأسأل الله أن يهدي الجميع صراطه المستقيم.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية

**عبد العزيز بن عبد الله بن باز.**

ومن فقه علمائنا بالواقع ومعالجته معرفتهم بالتغير الذي أصاب مجتمعاتنا، وتحذيرهم من الغفلة عن هذا التغير، ونصحهم لطلبه العلم للقيام بواجبهم في نصره السنة وحراسة العقيدة.

قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «العلم الحقيقي هو العلم الذي يرسخ في القلب، ويكون كالمملكة للإنسان، حتى إن الإنسان الذي يُوفق لهذا النوع من العلم؛ تجده لا تكاد تأتيه مسألة من المسائل إلا عرف كيف يُخرِّجها على الأدلة من الكتاب والسُّنة والقياس الصحيح، فلا بد

(١) شرح رياض الصالحين (٢/٥٦).

من علم راسخ.

والناس اليوم في عصرنا محتاجون إلى هذا النوع من العلم؛ لأن البدع بدأ يفشو ظلامتها في بلدنا هذه، بعد أن كانت نزيهةً منها، لكن نظرًا لانفتاحنا على الناس، وانفتاح الناس علينا، وذهاب بعضنا إلى بلاد أخرى، ومجيء آخرين إلى بلادنا ليسوا على عقيدة سليمة؛ بدأت البدع تظهر ويفشو ظلامها. وهذه البدع تحتاج إلى نور من العلم يضيء الطريق حتى لا يصيب بلادنا ما أصاب غيرها من البدع المنكرة العظيمة التي قد تصل إلى الكفر - والعياذ بالله -.

فلا بدّ من مجاهدة أهل البدع وأهل النفاق بالعلم والبيان، وبيان بطلان ما هم عليه بالأدلة المقنعة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم».

ومن فقه علمائنا بالواقع وجهودهم في معالجته إذا رأوا مظاهر التهيج والسعي في الإخلال بالأمن، قاموا بتذكير الناس بنعمة الأمن الحاضرة، ومقارنتها بضرها في زمان الفرقة والفوضى.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «نعمة الأمن في الأوطان، فإنها من أكبر النعم، ونضرب لكم مثلاً بما سبق عن آبائنا وأجدادنا من المخاوف العظيمة في هذه البلاد، حتى إننا نسمع أنهم كانوا إذا خرج الواحد منهم إلى صلاة الفجر، لا يخرج إلا مصطحباً سلاحه؛ لأنه يخشى أن يعتدي

(١) شرح رياض الصالحين (٢/٦٧).

عليه أحد».

وكان سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحْمَهُ اللهُ يتعاون مع مشايخه وسائر علماء الأمة على إصلاح الأوضاع، وصيانتها عن الزلل قبل وقوع ذلك، فقد بلغ سماحته أن بلدية المدينة النبوية كانت تسعى لإعادة بناء القبة على بئر الخاتم، فكتب لشيخه العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحْمَهُ اللهُ طالباً منه الاتصال بجلالة الملك لمنع ذلك، وهذا نص الرسالة:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة سماحة الوالد شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. وفقه الله ونصر به دينه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد: ففي هذه الأيام بلغني أن هناك حركة في بلدية المدينة المنورة لإعادة بناء القبة على بئر الخاتم المعروفة غربي مسجد قباء، ثم ثبت عندي صحة ذلك من طرق يوثق بها، فاتصلت بسمو أمير المدينة، وأخبرته أن هذا لا يجوز، وأن الواجب بقاؤها على حالها، أو دفنها ومواساتها بالأرض؛ سعةً للميدان الذي هي في وسطه، وهو موقف للسيارات - التكامي - وغيرها.

ثم اتصلت بفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وأخبرته بما بلغني، فتكدر لذلك، وكتب لسمو أمير منطقة المدينة في الموضوع، وإلى سماحتكم صورة ما كتبه. وإذا رأى سماحتكم الاتصال بجلالة الملك والمشورة عليه بأن الواجب دفنها؛ سعةً للميدان، وحسماً لمادة التبرك بها من أهل الجهل - فهو مناسب، وفيما يراه سماحتكم إن شاء الله كفاية.



سدد الله رأيكم وبارك في جهودكم، ونصر بكم دينه، وحمى بكم شريعته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ونحن لا ننكر أن الدولة السعودية - حرسها الله - أصابها شيء من التغيير، لكن الناصح يسد الخلل، والغاش يتربص بنا الدوائر.

فالواجب السعي في إصلاح دولة الإسلام، والمحافظة على ما فيها من خير، أما تحريض الشباب وتحييب الرعية، فهذا شأن الخوارج.

ولا يخفى على طالب العلم أن مبدأ الشرور من زرع الضغائن وتأليب الرعية على الراعي، وهذا المسلك الوخيم هو الذي سلكه الغوغائيون من مصر ومن أعانهم ممن جاء من اليمن لإسقاط الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومنهج أهل السنة تحييب الراعي إلى الرعية، والتناصح بالمعروف لا بالخروج وزرع الضغائن وتهيج العامة، ومن ابتلي بمنهج المحرضين فليصلح ما وقع منه من الخلل بذكر فضائل الدولة السعودية، وسلوك الطرق الشرعية في مناصحتها.

قال عثمان السهمي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «كان أهل مصر يتنقصون عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدّثهم بفضائل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص يتنقصون علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عيَّاش، فحدّثهم بفضائله، فكفوا عن ذلك».

وقال سماحة الإمام المجدد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ منصفاً الدولة

(١) تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٧١).

السعودية ومبيناً أنجع السبل وأقومها في حصول الخير والإصلاح في معالجة أخطائها<sup>(١)</sup>: «ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتُحَكِّمُ شرعه، فالواجب التعاون معها على الخير، وعلى إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة، والأسلوب الحسن، مع الإخلاص لله سبحانه، والصدق في العمل، وعلاج الأوضاع المحتاجة إلى العلاج بالطرق الشرعية حسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاية الأمور - وفقهم الله - بالمكاتبة والمشافهة، وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم».

وكتب الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ وصية ونصيحة لأحد الأمراء بالمملكة العربية السعودية - حرسها الله - بمناسبة تعيينه أميراً على بعض النواحي بالمملكة، قال فيها<sup>(٢)</sup>:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم /.....، وفقه الله للخير، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: حفظكم الله، علمت بإسناد جلالة الملك - حفظه الله - إلى سموكم الإمارة بمنطقة (.....)، وبهذه المناسبة فإني أهنيء سموكم بهذه الثقة الملكية، وأسأل الله سبحانه أن يجعلكم عند حسن ظن جلالته، وأن يزيدكم من

(١) مجموع الفتاوى البازية (٧/٣٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى البازية (٦/٢٩٥، ٢٩٦).

التوفيق، وأن يمنحكم إصابة الحق في القول والعمل، ولا يخفى على سموكم أن الولاية شأنها عظيم، وخطرها كبير، كما قال النبي ﷺ: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

وعليه فإني أوصي سموكم ونفسي بتقوى الله، والمحافظة على دينه، وأن تكونوا قدوة في كل خير، وأن تهتموا بشئون المسلمين أعظم اهتمام، وأن تعطوا الأمور الدينية أكبر قسط من العمل والعناية، وأن تساندوا هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجعوهم؛ لأن صلاح العباد والبلاد بالله سبحانه، ثم بقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخفى أن قوة الهيئة ونشاطها بالله سبحانه، ثم بتعزيد ولاية الأمور ووقوفهم في صفهم، مع حثهم على التثبت في الأمور والرفق في كل شيء.

ومن الأمور المهمة المبادرة بتنفيذ الأحكام الشرعية بكل حزم وقوة، والتأكيد على الجهات المختصة بذلك حتى يصل الحق إلى مستحقه بدون تعب ولا مشقة.

ومن المهمات أيضاً المحافظة على الصلاة في الجماعة، والتأكيد على الموظفين والخدام بذلك حتى يكون الجميع قدوة في الخير.

ومن الأمور المهمة أيضاً حفظ الوقت، والحرص على الإشراف بأنفسكم على حاجات المسلمين التي ترفع إليكم، لإيلائها ما تستحق من العناية.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يوفقكم لكل خير، وأن يعينكم على أداء ما يجب عليكم، وأن يمنحكم البطانة الصالحة، وأن ينصر

بكم الحق وأهله، ويخذل بكم الباطل وأهله، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ومن تحقق علمائنا بفقه الواقع عدم اغترارهم بالثورات والانقلابات الهلامية؛ قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «في أوائل سنة ١٩٥٨م» قام عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم بالانقلاب المشهور، والذي قُتِلَ فيه الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله وسائر أهل بيتها إلا امرأة واحدة، وقُتِلَ فيه نوري السعيد.

وظن أهل العراق كلهم أن هذا الانقلاب سيأتيهم بخير عميم، ويقضي على النفوذ الاستعماري، وحينئذ تفتح لهم أبواب البركات من السماء والأرض، إلا أنه بمضي الأيام ظهر لهم خطأ ظنهم؛ لأن العهد الملكي كان عهد استقرار ورخاء، وكان خيره أكثر من شره بالنسبة إلى الخاصة والعامة.

والرئيس عبد السلام عارف هو من أخص إخواننا السلفيين، وهو وفرقته قاموا بالانقلاب، ولم يشاركهم عبد الكريم قاسم إلا بموافقتهم، وقد أخطأ رَحِمَهُ اللهُ في ذلك الانقلاب، وكان أول من صلي بناه؛ فقد حكم عليه بالقتل، وسجن سنين وعذب، ثم أسعده الحظ حيث تمكن من قتل عدوه في أواخر الأمر وشريكه في أوله واستولى على الحكم، فكتب إليّ بخط يده وأنا في المغرب يقول: نحن تلامذتك، ونحن سائرون على الخطة التي اقتبسناها من

(١) الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، ص (١٤٥).

دروسك، وأبواب العراق مفتحة في وجهك، فأقبل إلينا. فشكرته على ذلك ولم أقبل دعوته، وما أدري كيف شعر بذلك أخونا السلفي الأستاذ محمود مهدي الإسطنبولي فكتب إلي يقول: علمت أن عبد السلام عارف من تلامذتك، وهذه فرصة لا تضاع، فهلم نسعى في عمل شيء ينفع الإسلام والمسلمين، فاعتذرت له، ولم ينشرح صدري لذلك؛ لأنني لم أتوقع نجاحًا.

ولما استولى عبد الكريم قاسم وأبعد عبد السلام عارف أولاً ثم سجنه ثانيًا، أطلق العنان للشيوخيين يقتلون من شاءوا، ويسجنون من شاءوا، ويسحلون من شاءوا «والسحل: هو وضع حبل في عنق الرجل وجره به على وجهه إلى أن يموت»، وعاث الشيوعيون في بلاد العراق فسادًا، فعمّ الخوف والفرع، ولم يبق أحد مطمئنًا على نفسه.

ووقعت حوادث فظيعة معلومة لا نطيل بذكرها».

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - محذرًا من الاغترار بالدعوات البدعية<sup>(١)</sup>: «ولا تنجح دعوة لم تتوفر فيها الشروط الإلهية التي اشترطها الله تعالى، ولا يبقى إلا الأصلاح دائمًا وأبدًا، ولو كثرت الجماعات الدعوية، ما دامت أنها ليست على الشروط التي اشترطها الله، والمنهج الذي رسمه الله ورسوله ﷺ، فإنها لا تنجح مهما بلغت من الكثرة والقوة، وستتلاشى وتصاب بالنكسة والفسل، أما إذا كانت مؤسّسة على العلم وعلى الإخلاص

والنصيحة، فهذه هي التي تنجح بإذن الله، ولو كانت من فرد واحد».

على كل حال الدعوات البدعية اضمحلها معلوم؛ لأنها تأسست على ضلال، وعلى مخالفة الشرع، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي فَوَائِدِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>: «في هذا دليل على أن الإنسان إذا ابتدع بدعة فإنه لا يوفق لإقامتها».

فدولة الرافضة التي قوام عقيدتها تكفير وسب الصحابة واعتقاد تحريف القرآن ونقصه إلى اضمحلال وزوال بإذن الله.



(١) تفسير: الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد، ص(٤٢٨-٤٢٩).

## الخاتمة

بعد هذا البيان والتوضيح لمنزلة فقه الواقع بالأدلة من القرآن والسنة، لا بد لطالب العلم أن يتأسس بالعلم الشرعي قبل طلب فقه الواقع، فإذا تحقق بالعلم الشرعي الصحيح فإنه لا يخفى عليه حال الأمة عموماً؛ لأنه يعيش بينهم ومعهم وهو يعلم ضرورة البداءة بإصلاح عقيدتها وبناء شخصيتها ومقومات قوتها وفق الأساس الإيماني، ويتأمل ثغور ديار المسلمين ويجتهد في محيطه وبلده ويناصر إخوانه في أقطار الدنيا من أجل إعادة الأمة إلى قوتها في عبودية الله والتأله له ولزوم شرعه، وحماية النشء المسلم من أسباب اغتراره بالكفار والكرهية للإسلام ودينه وثقافته وأهله.

وفقه الواقع لا يحيط بدقائقه وتفصيله في أقطار الدنيا آحاد الدعاة، فما عرفته في بعض النواحي ربما جهلت أكثر منه في نواحٍ أخرى، فتواضع للعلماء ولا تزهو عليهم بما عرفته من فقه الواقع، بل تعاون معهم لنصرة الإسلام وإعانة المسلمين لحفظ دينهم والقيام بشؤونهم الدنيوية. وعموم ما يحذره المؤمنون من مكر أعدائهم قد نبههم الله عليه في القرآن، وفيما جرى للنبي ﷺ من مضادة الكافرين له والكيد للإسلام بيان بليغ لما يقوم به أعداء الإسلام من التآمر عليه والكيد له، إلا أن صور هذا الكيد ووسائله تنوعت

في هذا العصر الحديث، وهذا يوجب التعاون بين المسلمين واليقظة لرده.

الواجب على الأمة تكييف الواقع وفق الشريعة، لا أن تتذرع به لتعطيلها، فالشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

لا نجد للشباب العكوف على وسائل الإعلام لطلب فقه الواقع؛ لما في هذه الوسائل من الأخطار على الدين والأخلاق، وكبار السن ممن ذهبت عنهم متعة الشباب وحدته وعرفوا بمتانة الدين يسلكون الوسائل المباحة في تحصيل هذه المعارف، ويقومون بتمييز ما فيها من تخرصات، ويتدبرونها وفق ما هو معلوم من سياسات أعداء الإسلام وعقائدهم.

ونحذر الشباب من الاغترار بدعاة الإسلام السياسي الحركي؛ فإنهم يجتذبونهم في ندوات ورحلات لتعليم الإدارة وفقه الواقع، وانتهى الحال ببعض هؤلاء المنظرين إلى الدعوة إلى الإلحاد وإباحة الرذة، وصارت بعض مؤسسات التغيير الحركية ولائج للكفار واليهود.

الأمة الإسلامية متى لزمتم منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله أثمرت دعوتها كل خير وقوة للإسلام، ومتى انحرفت عنه إلى المناهج البدعية تقهقرت وتأخرت، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والحمد لله رب العالمين.





## دليل الموضوعات

- ٣ المقدمة ❁
- ٥ ❁ الفصل الأول: منزلة فقه الواقع وأدلتها:
- ٧ - طلب موسى' من الخضر بيان واقع حوادثه
- ٨ - طلب النبي ﷺ معرفة واقع قومه معه لما بُشِّر بالرسالة
- ٩ - حديث: «ليس الخبر كالمعاينة»
- ١٠ - معرفة أعراف البلد واجب على القضاة
- ١٠ - سمر النبي ﷺ عند أبي بكر في أمور المسلمين
- ١١ - الفرقان
- ١١ - الفراسة
- ١٢ - إخبار شيخ الإسلام أصحابه والولاية بما يكون من التتر
- ١٢ - إخبار القرآن عن المنافقين في السور المكية
- ١٤ - حديث: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم...»
- ١٥ - طلب النبي ﷺ معرفة واقع أعداء الإسلام بنفسه
- ١٧ - أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت تعلم لغة اليهود
- ١٨ - امتدح الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ علمه وسياسته للدولة

- ١٩ - إخبار النبي ﷺ عن وقوع الفرقة في أمته
- ٢٠ - عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ينقض الإسلام من لا يعرف الجاهلية
- ٢١ - ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إذا أردت أن تعرف جهل العرب فاقرأ سورة الأنعام
- ٢١ - قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٥﴾
- ٢٢ - خبر الله أن الشرك لا دليل عليه
- ٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٤﴾
- ٢٨ - إخبار الله لنا عن أحوال أهل الملل معنا
- ٢٩ - الحديث: «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم»
- ٣١ - معرفة أحوال المسلمين في أقطار الدنيا هو شأن الأمة الواحدة
- ٣٢ - إخبار النبي ﷺ بأحوال الناس في توضيح شرائع الإسلام
- ٣٤ - حديث حذيفة أصل في معرفة فقه الواقع
- ٣٦ - إخبار النبي ﷺ الأمة بما يكون من واقعها
- ٤١ - العلامة العثيمين: الإخبار بالواقع لا يعني إقراره
- ٤٢ - الأمر بلزوم الشرع عند غربة الإسلام
- ٤٢ - الحض على نصره الإسلام عند تغير أحوال أهله
- ٤٤ - التحذير من التشبه بأهل الكتاب
- ٤٨ - رؤيا النبي ﷺ دخوله مكة آمناً
- ٤٩ - إخبار الوحي بما يكون بين الفرس والروم
- ٥١ - تحذير الله ورسوله أن يصيبنا ما أصاب من قبلنا

- ٥٢ - إخبار القرآن بما يستقبله الصحابة في المستقبل
- ٥٦ - معرفة المؤمنين بثمرات التوحيد والإسلام
- ٥٩ - تحذير الشرع من آفات الذنوب
- ٦٠ - إخبار النبي ﷺ بالصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
- ٦١ - مطابقة حديث «اثنا عشر خليفة» لخلفاء بني أمية
- ٦٢ - إخبار الله بحقيقة الدنيا وزخرفها ومآلها
- ٦٤ - أخبرنا الله بأحوال قلوبنا
- ٧٠ - النفس الأمانة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة
- ٧٢ - بيان النبي ﷺ لطبيعة خلق المرأة
- ٧٣ - إخبار الله بطبيعة الإنسان
- ٧٤ - إخبار النبي ﷺ بتغير أحوال الراعي والرعية
- ٨١ - مذاكرة السابقين لعواقب الفتن والخروج
- ٨١ - استخلاف الله للصحابة؛ لقيامهم بالشرع
- ٨٩ - إخبار النبي ﷺ بانقطاع المنتطعين
- ٩٠ - ثناء الله على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ معرفته بأحوال الآدميين
- ٩١ - تفقد نبي الله سليمان لشؤون مملكته
- ٩٢ - حديث: «كلكم راع ومسئول عن رعيته»
- ❖ الفصل الثاني: مقاصد الحزبيين في الطعن في العلماء في دعواهم
- ٩٧ - عدم فقه الواقع:
- ٩٩ - الرسوخ في العلم الشرعي قبل فقه الواقع

- ٩٩ - ابن عثيمين: ماذا ينفعنا إذا فقهنا في الواقع ولم نفقه ديننا؟
- ١٠١ - الفوزان: فقه الواقع يكون بعد الفقه الشرعي
- ١٠٣ - السبب في طعن الحركيين في علمائنا في فقه الواقع
- ١٠٣ - العثيمين: يدعون إلى التقليل من شأن العلماء لأنهم فقدوا الزعامة
- ١٠٥ - العثيمين: انشغال الشباب بفقه الواقع صدّهم عن الفقه في دين الله
- ١٠٥ - العثيمين: ظنون فقه الواقع تقديرات وتخمينات
- ١٠٩ - التعاون في فقه الواقع لا التهويش به لإسقاط العلماء
- ١١٠ - الحركيون: استفيدوا من العلماء في الأحكام، وفقه الواقع إلينا
- ١١١ - المبرّز في السياسة ضعيف العلم لا يمكن أن يقود الأمة
- ١١١ - ما يجهله الحركيون من فقه الواقع أكثر مما يعلمونه
- ١١٣ - الشريعة الإسلامية لا الأهواء القطبية:
- ١١٣ - النموذج السوداني
- ١١٤ - اليمن
- ١١٤ - الضغائن ضد الدولة السعودية
- ١١٥ - طعون القطبيين في عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- رد الإمام ابن باز على طعون عبد الرحمن عبد الخالق في فقه الواقع
- ١١٧
- ١١٨ - عدم تحقق القطبيين بفقه واقع الجهاد الأفغاني
- ١٢٠ - تحليلات سفر الحوالي عن إعادة بناء الشيوعية

- ١٢١ - جهل سفر الحوالي بواقع أذربيجان
- ١٢٣ ❁ الفصل الثالث: انحراف القطبيين في فقه الواقع:
- ١٢٥ - انحراف القطبيين في توحيد الحاكمية
- ١٢٦ - التفريط في توحيد الألوهية يدل على عدم التحقق بالتوحيد
- ١٢٦ - الإخوان المسلمون هيئوا الأجواء لتعطيل الشريعة
- ١٢٧ - تحول الإخوان من مشروع دولة الخلافة إلى العلمانية
- ١٢٧ - رعاية أمريكية أوربية لعلمانية الإخوان
- ١٣٠ - إقرار الإخوان المسلمين على أنفسهم ضعف اهتمامهم بالعلم الشرعي
- ١٣١ - الفوزان: أشغلوا أهل البوادي بالسياسة عن التوحيد والفقه
- ١٣٢ - تزييف القطبيين للواقع
- ١٣٢ - كذب سلمان العودة على العلامة الألباني في واقع الجزائر
- ١٣٣ - أيام الفتن تروج الفتاوى الكاذبة
- ١٣٤ - الكتب المزورة على الصحابة لقتال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- ١٣٥ - تعطيل الفتيا بالواقع لظنون مستقبلية
- ١٣٦ - علاقات الإخوان المسلمين المشبوهة مع الأمريكان
- ١٣٧ - المسعري والفقهاء: ولائح للكفار
- ١٣٨ - تناصر الفقيه مع القذافي ضد السعودية
- ١٣٨ - مضايوي الرشيد وعدوانها على الدولة السعودية
- ١٣٩ - إرجاء الإخوان المسلمين
- ١٤٠ - العلامة بكر أبو زيد: المراقب العام للإخوان المسلمين مرجعي

- ١٤٢ - حزب النهضة بتونس يتعهد بإبقاء العلمانية
- ١٤٤ - العلامة مقبل الوادعي: إذا اشتدت قوة الإخوان أظهروا ما عندهم
- ١٤٥ - التقية الحركية
- ١٤٩ ❁ الفصل الرابع: فقه الواقع الواجب الاهتمام به:
- ١٥١ - السلف كانوا يعملون نصوص القرآن في النوازل
- ١٥٢ - فقه واقع الناس في التوحيد وما يصاده
- ١٥٤ - ابن القيم: تجدد صور الشرك وعدم الشعور بدخول واقع الناس تحته
- ١٥٦ - ضرورة معرفة العقائد الباطلة والرد عليها
- ١٥٨ - العثيمين: واجب على شباب الأمة تعلم العلم على وجه راسخ لا سطحي
- ١٥٩ - يقظة السلف لحيل المبتدعة في صياغة بدعهم في قوالب أخرى
- ١٦٣ - معرفة زيف حضارة الدول الكافرة
- ١٦٥ - أذئاب الغرب معاول هدم لإفساد ديارنا
- ١٦٦ - الملك عبد العزيز: سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب
- ١٦٩ - إلغاء الملك فيصل اتفاقية «دارين» مع الإنجليز
- ١٧٠ - البخاري: من يستجهل الجهمية لا يكفرها
- ١٧١ - الأمين الشنقيطي: استعمار الصوفية لضعاف العقول أشد أنواع الاستعمار
- ١٧١ - المفتي محمد بن إبراهيم يبيّن طرائق الرافضة في غزو دولنا
- ١٧٢ - الإمام ابن باز يوصي بتحسس مشاكل الشباب ومعالجتها
- ١٧٢ - ابن باز يحذّر من ترك الشباب عرضة للأفكار الهدامة
- ١٧٤ - العلامة بكر أبو زيد: الانطلاق من فراغ مسلك الخوارج

- ١٧٦ - نموذج مقارنة بين الأئمة المصلحين والأئمة الجامدين
- ١٧٩ ❁ الفصل الخامس: الواجب تكييف الواقع حسب الشريعة:
- ١٨٢ - لا يجوز تبرير الواقع لتعطيل الشريعة
- ١٨٢ - العثميين: الواجب تكييف الواقع حسب الشريعة
- المفتي محمد بن إبراهيم: أصحاب الأغراض الدنيوية يجعلون النصوص تابعة لأغراضهم.
- ١٨٣
- ١٨٤ - رد الإمام عبد العزيز بن باز على عبد الرحمن عبد الخالق في تطبيق الشريعة
- العلامة العلمي: تغيير الأحكام يريد به دعاة الضلالة زلزلة قواعد الشريعة
- ١٨٤ - العلامة عبد الله بن حميد: تعطيل الشرع بدعوى التأخر من دسائس الغربيين
- ١٩١ - الإخوان المسلمون واستنساخ النظام الرئاسي الأمريكي
- ١٩٣
- ١٩٣ - العلامة السعدي: غلط من يقرب نظم الإسلام إلى نظم القوانين الوضعية
- عجب مطالبة الأمة الإسلامية بالتدرج في تطبيق الشريعة، وإلزامها بالشيوعية
- ١٩٤ والديمقراطية بلا تدرج
- ١٩٥ - منهج الإخوان المسلمين يتغير بتغير الزمان والمكان
- ٢٠١ ❁ الفصل السادس: جهود علمائنا في فقه الواقع وإصلاحه:
- ٢٠٣ - رد الإمام ابن باز على صحيفة «المساء» القاهرية تطاولها على رسول الله ﷺ
- ٢٠٦ - رد علمائنا على من ألغى جهاد الابتداء
- ٢١٠ - تحذير علمائنا من إفساد مناهجنا الدراسية
- ٢١٠ - العلامة الفوزان: التطرف سببه الجهل بالدين
- ٢١٢ - تحذير علمائنا من الغزو الفكري

- ٢١٣ - جهود علمائنا في رد الشيوعية
- ٢١٥ - جهود مشايخنا في الرد على الإباحيين ودعاة الحرية
- ٢١٨ - بيان ما في دعوة التقريب بين الأديان من التسوية بين التوحيد والشرك
- ٢١٩ - تحذير علمائنا من أخطار التعليم الأجنبي
- ٢٢٥ - مقارنة علمائنا بين أحوالنا وأحوال السابقين الأولين
- ٢٢٦ - بيان علمائنا أسباب النصر
- ٢٢٨ - توضيح علمائنا لأساليب الكافرين في غزونا
- ٢٢٩ - تحذير علمائنا من الرحلات السياحية المشبوهة
- جهود العلماء في نشر رسالة الإسلام في إفريقيا، وآسيا، وأستراليا، وأمريكا، وأوروبا
- ٢٣٤ - جهود رئاسة الإفتاء في الدعوة
- ٢٣٤ - التصدي لحملة تشكيك المسلمين في دينهم
- ٢٣٦ - جهود علمائنا في الاعتناء بالشباب
- ٢٥٢ - تحذير العلماء أبناء المسلمين من التحريش على الإسلام
- ٢٥٥ - تحذير علمائنا من التشاؤم؛ فإنه يقطع عن العمل
- ٢٦٧ - بيان العلماء لشرور المبتدعين في إفساد ديار المسلمين
- ٢٦٩ - بيان العلماء من أين دخل الشر على الأمة الإسلامية
- ٢٧٠ - تحذير العلماء من أذئاب الكفار
- ٢٧١ - تحذير العلماء من إفساد التعليم والقضاء
- ٢٧٢ - تحذير العلماء من الأندية الماسونية
- ٢٧٣ - تحذير العلماء من الأندية الماسونية



- ٢٧٥ - بيان العلماء ما في الخير العاجل والآجل في لزوم الشريعة
- ٢٧٧ - توجيه العلماء لأن نعرف قيمتنا في المجتمع الأممي
- ٢٧٨ - بيان العلماء لإقرارات عقلاء الكفار بكمال شريعة الإسلام
- ٢٨٤ - نماذج من نصائح علمائنا لولاية الأمر
- ٢٩١ - تحذير علمائنا من الاغترار بالثورات الهلامية
- ٢٩٤ ❁ الخاتمة



لكتابة الرسائل العلمية وصف وتحقيق كتب التراث وغيرها

القاهرة - هاتف: ٠١٠٠٧٢١٩٥٤٣

البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN\_SFEF@YAHOO.COM

EBADALRHMAN\_SFEF@GMAIL.COM

